

الفصل

مجلة ثقافية شهرية
AL FAISAL MAGAZINE

ISSUE 23 APRIL 1979

العدد (٢٣) - جادى الأولى ١٣٩٩ هـ / ابريل ١٩٧٩ م



الفصل

رئيس التحرير

علوي طه الصافي

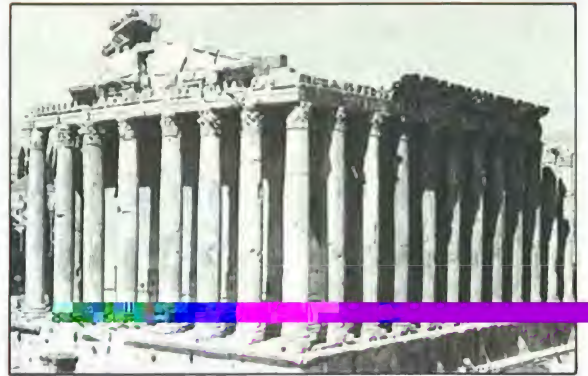
مجلة ثقافية شهرية
تصدر عن
دار الفیصل الثقافية

أبريل ١٩٧٩م

العدد (٢٣) جمادى الأولى ١٣٩٩هـ

فخذ العدد

ص	من كتاب هذا العدد
٤	الحركة الثقافية في شهر
٥	التحضر والتنمية في المملكة العربية السعودية د. عمر الفاروق السيد رجب
١٩	نحن ولغتنا د. محمود إسماعيل صيني
٢٥	بادية الدهناء د. محمد عبد المنعم خاطر
٢٨	حضارتنا بين العقيدة والتطور د. محمود بن الشريف
٣٠	أصداء (قصيدة) د. محمد المنعم الأنصاري
٣٣	بعلبك .. مدينة الشمس (مدينة وتاريخ) .. د. فوزي الأحذب
٣٥	قصيدة وقصة
٥٠	الشافعي ناصر الحديث ومنهجه الفقهي د. محمد سلام مذكور
٥١	قبل (قصيدة) شاكرا سليمان شاكوري
٥٧	القانون الإنساني، ما هو ؟ د. إحسان هندي
٥٨	ذكريات شخصية مع الصافي النجفي حسن الدجيلي
٦٢	الشعر بين الضحك والبكاء فتحي سعيد
٦٧	الإعلام الإسلامي - ماضيه - حاضره - مستقبله (ندوة الشهر) إعداد : محمد مبارك
٧٤	شرق آسيا المنطقة التي اكتشفت مؤخراً عبد الله جفري
٧٨	(في بلاد الله)
٨٣	علم الأساطير (رحلة في كتاب) عرض وتحليل : جمال بدران
٩١	اليونيسيف وعالم الطفولة (موضوع خاص)
١٠٠	من أمثال العرب
١٠١	من أمثال الشعوب
١٠٢	خالد بن الوليد (قصيدة) الياس قنصل
١٠٦	مالك بن النخيل نفيسة بنطالب
١١١	إيسن .. بعد ١٥٠ عاماً فوزي سليمان
١١٦	شاعر هويته المزن - محمد حسن فقسي (لقاء مع)
١٢٢	الشعر الحديث في الحجاز (مطالعات في الكتب) عرض وتحليل : د. عباس عجوب
١٢٦	لوحة وفنان (ثلج على لوفانسين) ألفريد سيزلي
١٢٨	رحلة في عقل الطفل العربي عبد البديع عبد الله
١٣٩	المفتاح الصغير (قصة) من الأدب الفلبيني ترجمة : طه حواس
١٤٢	التحول ... (قصة) أحمد الشيخ
١٤٤	العار ... (قصة) السيد إبراهيم
١٤٦	الغاية ... (قصة) علي درويش
١٤٧	الكمبيوتر والتعليم إعداد : محمد سليمان القويقل
١٥٠	الفواصات (الإنسان والعلم)
١٥٣	دائرة المعارف
١٥٦	مع الأصدقاء
١٥٧	ردود قصيرة
١٥٨	كتب وردت إلى المجلة
١٥٩	مسابقة مجلة الفیصل



★ تعتبر بعلبك من المدن التاريخية العريقة بأثارها، وتاريخها الموهل في القدم الذي يعود إلى أكثر من أربعة آلاف سنة .. فقد دلت آثارها على أنها كانت مأهولة قبل الإغريق والرومان (طالع ص ٣٥) ★

★ تمر عملية التحضر في المملكة العربية السعودية حالياً بذروة مرحلتها الانتقالية .. وهذا يعطيه أهمية خاصة تجعلها مجال دراسة وبحث من خلال الإحصاءات، والرسوم البيانية، وتأثيرات خطط التنمية في عملية تيارات النزوح من البادية إلى المدن، وما تقوم به هذه الخطط من صناعة المتغيرات الاجتماعية والاقتصادية والصناعية (طالع ص ١٩) ★



★ تقوم منظمة «اليونيسيف» بدور إنساني هام في المجتمعات البشرية، وبمناسبة احتفاء العالم بعام الطفولة طوال عام ١٩٧٩م، وانطلاقاً من التزام المجلة بمناقشة قضايا الطفولة من خلال أعدادها التي تصدر في عام الطفل، نقدم استطلاعاً التعريفي بهذه المنظمة، والأعمال التي تقوم بها (طالع ص ٩١) ★

د. فوزي
الأحبد

- ★ من مواليد حمص - سورية عام ١٩٣٩ م.
- ★ دكتوراه في حقوق واقتصاد الشرق الأوسط - جامعة ليون - فرنسا.
- ★ يجيد الإنجليزية والفرنسية والإيطالية.
- ★ عمل في التدريس الثانوي والجامعي، ومعاهد المعلمين، كما عمل باحثاً اقتصادياً.
- ★ يعمل حالياً باحثاً اقتصادياً بوزارة التخطيط في الرياض.
- ★ قام بعدة رحلات إلى أوروبا، وأمريكا.
- ★ له مجموعة من البحوث باللغتين الفرنسية والإنجليزية نشرت في مجلات عالمية متخصصة.



- ★ ترجم من الفرنسية إلى العربية عدداً من الكتب، كما ألف كتاباً في المنطق، وكتب مقالات في مجلات عربية.. وله برامج ثقافية ودينية بالإذاعة والتلفزيون.



نقيسة
بسطالب

- ★ من مواليد مراكش - المغرب عام ١٩٥٣ م.
- ★ الإجازة في اللغة العربية - كلية الدراسات العربية.
- ★ تعمل في حقل التدريس.



أحمد
الشيخ

- ★ من مواليد ١٩٣٩ م - المنوفية.
- ★ كلية الآداب - قسم التاريخ.
- ★ نشرت أعماله في عدد من الصحف والمجلات العربية.
- ★ أولى مجموعاته كانت بعنوان «دائرة الانحناء» وله رواية تحت الطبع ومجموعة قصص بعنوان «النش في الدماغ».
- ★ وله مسرحية لم تطبع.
- ★ حصل على التفرغ لمدة عامين من وزارة الثقافة عامي ٧٠، ١٩٧١ م.



- ★ الكتاب العربي، ووكيلاً لإدارة المجلات الثقافية، كما عمل مراقباً عاماً بالمهينة العامة للكتاب.
- ★ يعمل الآن مديراً للتأليف بدار المعارف.



حسن
الدجاني

- ★ من مواليد مدينة النجف بالعراق (١٩١٤م).
- ★ درس في العراق وإنجلترا والولايات المتحدة.
- ★ ليسانس في العلوم الاجتماعية من جامعة ولاية شمال كولورادو.
- ★ ليسانس في التربية من كلية المعلمين بجامعة كولومبيا - نيويورك.
- ★ ليسانس في الحقوق، كلية الحقوق في العراق.
- ★ تقلد مناصب تعليمية وإدارية بوزارة التعليم.
- ★ اشتغل بالصحافة الأسبوعية والشهرية، حيث نشر العديد من المقالات التريوية والسياسية والاجتماعية.
- ★ له مؤلفات عديدة في التربية والتعليم.
- ★ يعمل أستاذاً في قسم التربية - كلية التربية - جامعة الرياض.

جمال
بدران

- ★ ليسانس فلسفة - جامعة القاهرة.
- ★ دبلوم معهد الصحافة.
- ★ عمل مدرساً للفلسفة واللغة

- ★ الفرنسية ثم مدرساً للمنطق والآداب بالمعاهد الدينية ومعهد البحوث الإسلامية.
- ★ عمل سكرتيراً لتحرير مجلة

*** من خلال هذا «الملف» سوف نحاول رصد الحركة الثقافية من اصدارات جديدة .. وندوات .. ومؤتمرات .. ومعارض .. ومناسبات .. وأحداث ثقافية .. وأدبية .. وفنية بصورة نطمح أن تكون مسحا شهريا لمجريات الحركة الثقافية ليس في «الوطن العربي» فحسب ، بل في «العالم» الانساني .
أملنا أن نجد من المؤسسات العلمية .. والتربوية .. والفنية .. الى جانب الأدباء .. والمفكرين كل عون في إمدادنا بالجديد الدائم من النشاطات لتحقيق الأهداف التي تسعى اليها المجلة لخدمة القارئ .. لإضافتها الى ما يزودنا به مندوبونا ، والله الموفق ***

- العمارة الإسلامية في ندوة عالمية في الرياض .
- مؤتمر عربي للعلوم والتكنولوجيا .
- المعرض السادس للفنانين التشكيليين العرب في الكويت .
- إنشاء «بنك للمعلومات» بجامعة الأزهر .
- صناعات تونس التقليدية في معرض .
- معرض للملصقات الفلسطينية في بيروت .

- اختراع جهاز لكشف لصوص الكتب .
- باريس .. من وجهة نظر الرسامين .
- أكبر خريطة في العالم .
- تأسيس أول متحف للملصقات الفرنسية .
- معرض للفن العراقي في إيطاليا .
- اكتشاف مرصد تاريخي قديم .

وقد تمت عدة اجتماعات بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، اشترك فيها عدد من مديري الجامعات في الوطن العربي ، لمناقشة ضرورة إيجاد هذا المركز .

طابع تذکاري

أصبحت مدينة الرياض ، المقر الدائم لهيئة بريد الخليج . لذلك ، أصدرت الإدارة السعودية طابعاً تذكاريّاً من فئتي ٢٠ ، ٥٠ هللة ، وقد تم طرحه للبيع في مراكز البريد بالمملكة .

مخطوطات أثرية

٦٠٠ مخطوطة من المخطوطات الأثرية الهامة ، حصلت عليها الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ، وضمنها إلى مكتبتها المركزية ، وقد تم تصوير هذه المخطوطات على «ميكرو فيلم» لمساعدة الباحثين والمحققين للاستفادة منها .

رسوم الأطفال

افتتح المعرض الخاص بمسابقة رسوم الأطفال بالملكة ، التي تنظمها المنظمة الدولية للطيران المدني مع الخطوط السعودية .

متاحف في المناطق الأثرية

يتم عما قريب إنشاء ستة متاحف في المملكة ، وسيختار أماكنها في المواقع الأثرية في كل من العلا ونجران وتبالة والجوف والأحساء .. وجيزان ، والهدف من إنشاء هذه المتاحف ، هو إبراز الآثار الموجودة في كل منطقة .. ويجري حالياً استكمال التصميمات النهائية ، تمهيداً للبدء في عملية البناء .

العمارة الإسلامية .. في ندوة عالمية

جامعة الملك فيصل بالدمام تقوم بالتخطيط لعقد ندوة عالمية عن
العمارة الإسلامية في بداية العام القادم . سوف يكون الموضوع المطروح هو
تعريف البيئة الإسلامية وأهدافها الأساسية من حيث مناقشة مفاهيم ومبادئ،
نظريات العمارة الإسلامية وعلاقتها بالحضارة والعوامل الاجتماعية والمناخية
والاقتصادية والتكنولوجية ، والبحث في الوسائل ودراسة هذه العلاقات .
سيشارك في الندوة ٢٠٠ من العلماء المختصين .

المؤتمر العربي للعلوم والتكنولوجيا

المؤتمر العربي الثاني للعلوم والتكنولوجيا ، سوف يعقد بالرياض يوم ٣١ مارس (آذار) القادم لمناقشة الدراسات التي أعدت من خلال مجلس الوحدة الاقتصادية ، بالتعاون مع المنظمة العربية للتنمية الزراعية ، وايضاً مع الهيئة العربية للاستثمار والإنماء الزراعي . كما سيجري خلال الاجتماعات ، استعراض ما قام به مجلس الوحدة بشأن المسح الشامل لإمكانات وإنجازات الشركات الزراعية المشتركة على مستوى الوطن العربي لعام ١٩٧٩ م .

الفائز بالجائزة الأولى

في معرض المقتنيات العام الذي أقيم بالرياض ، حصل الفنان التشكيلي سعدون السعدون على الجائزة الأولى في التصوير .

سلسلة جديدة لنشر

الرسائل العليا

الأستاذ عبد العزيز الرفاعي الأديب السعودي المعروف وصاحب سلسلة «المكتبة الصغيرة» سوف يصدر سلسلة جديدة - ما زال يبحث عن اسم لها - تم نشر الرسائل التي قدمها السعوديون لنيل الماجستير والدكتوراه .. أول حلقة ستكون رسالة الأستاذ حمزة بوقري التي أعدها لنيل شهادة الماجستير.

مركز لتطوير التعليم الجامعي العربي

هناك تعاون يتم بين المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم واتحاد الجامعات العربية ، وذلك من أجل إيجاد مركز بحوث لتطوير التعليم الجامعي . . وبلورة أهدافه ، من أجل تحقيق نتائج كبيرة للتعليم الجامعي والعالي .



★ رفاة الضفطوي ★

۵ مايو

١٨٨٩ مولد الذكور محمود
عزمي (طابع تاريخ
وفاته في العدد ١٨ من
هذه الرواية).

۸ مایو

١٧٧٣ وفاة علي بك الكبير .
٩ مايو
١٩٥٠ وفاة المفدى الشيخ
محمد رفعت .

۱۰ مایو

١٩٣٧ وفاة الأديب مصطفى صادق الرافعي (طالع شخصية النهر)

۱۸ مایو

١٢٩١ انتهوا، حكم الصليبيين
للأرض المقدسة،
ومقوطة عكا في يد
المماليك.

۱۹ مايو

١٨٧٥ إنشاء الجمعية
الحفافية المصرية.

۲۵ مایو

١٩٤٦ استبدال اسم الإمارة
شرقي الأردن باسم
المملكة الأردنية
الهاشمية .

1887

الخبر البرقي .

۲۷ مایو

١٣٣٢ مولد المؤرخ العربي
المعروف عبد الرحمن
ابن حليدون (طالع
تاريخ وفاته في العدد
٢٢ - هـ -

١٨٧٣ وفاة رفاعة الطهطاوي
(مطلع تاريخ مولده في
العدد ١٧ من هذه
الطبعة).

(الأحداث التالية بالتاريخ الميلادي الموافق للشهر الهجري الذي تصدر فيه المجلة)

- «أذرع الواحات المشمسة» المجموعة القصصية الفائزة بمسابقة القصة القصيرة التي أجراها نادي القصة السعودي بالرياض .
- يستعد عدد من الفنانين التشكيليين لإعداد كتاب يضم مجموعة من المقالات لعدد منهم ، حيث يطرحون من خلال هذه المقالات وجهات نظرهم في الفن التشكيلي ومشاكله وقضاياه .



* كتب جديدة *

- «حكايا الأمواج» مجموعة قصصية تأليف عبد القادر الشامي ، تستعرض حياة البحر ، مع تجسيد للمعاناة الكبيرة التي يعانيها الصيادون والبحارة .
- «الزواج» تأليف جو جول ، ترجمها إلى العربية محمد خير الوادي وحسن راجي ، وهي كوميديا من فصلين ، الناشر وزارة الثقافة والإرشاد .
- «مختارات من شعر الشاعر الإسباني انطونيو ماتشادو» ترجمة الدكتور محمود صبح الأستاذ بجامعة مدريد .
- المختارات ، عبارة عن أربع وثلاثين قصيدة ، الناشر وزارة الثقافة والفنون .
- «سياسة في المسرح» دراسة من تأليف علي عقلة فرسان .
- «قصان زرقاء» مجموعة شعرية للشاعر عادل محمود ، وهي المجموعة الأولى له ، الناشر وزارة الثقافة .
- القصص الاثني عشرة الفائزة بجوائز قصص الأطفال ، صدرت في ١٢ كتاباً ، يحتوي كل كتاب على قصة واحدة .



* د. زينب عبدالعزيز *



* عبد العزيز الرفاعي *

* كتب جديدة *

- «أرطاة بن سهية» الجزء ٢٨ من سلسلة «المكتبة الصغيرة» تأليف الأستاذ عبد العزيز الرفاعي .
- «حكاية حب ساذجة» مجموعة قصصية تأليف محمد منصور الشقحاء .
- «نافذة على الحائط المهدوم» تأليف هند صالح باغفار ، والكتاب على شكل المذكرات والرسائل الأدبية ، الذاتية .
- الدكتور محمد عبده يماني ، وزير الإعلام ، قرر أن يدفع إلى المطبعة روايتين من تأليفه ، الأولى بعنوان «مشرد بلا خطيئة» تتناول الحياة الإنسانية الفلسطينية وما يعانيه اللاجئين من خلال حياتهم في المخيمات ، والثانية بعنوان «اليد السفلى» تتناول الواقع المحلي والبيئة والعلاقات الاجتماعية والأسرية في المجتمع .

على السطح

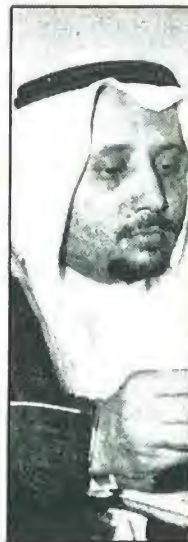
- لا نريد حضارة تستبدل تقاليدنا وتراثنا .. بل حضارة مبنية على التراث والتقاليد .
- د. محمد عبده يماني
السعودية

- قد يرفض التطور التكنولوجي موقف الشاعر ويقلل من أهمية أثره في الحياة ، ولكنه لا يستطيع بسهولة منع تأثير الشاعر في تحريك أحاسيس وعواطف الإنسان الذي يظل دائماً في حاجة للفن .

جبرا إبراهيم جبرا
العراق

- إذا قبل إن هذا الشعر مكتوب للأجيال القادمة ، فإنني أسأل : ومن قال إن الأجيال القادمة لن يكون لها شعراؤها الخاصون بها .

الدكتورة نجاح العطار
سورية



* د. محمد بن يوسف *

- لا أعتقد أن لدينا في تونس الآن مشاكل بالنسبة للتعريب ، ذلك أننا بلد عربي منذ أربعة عشر قرناً .. ولنا محتاجين لتعريب أي شيء في تونس .

الشاذلي القليبي
وزير الإعلام التونسي

- الإبداع في رأيي ، يعني المواصلة .. ولا يمكن أن يكون هناك إبداع بدون الاستمرار على الإصرار .. وقد درست الأدب من أجل فن الرسم .

زينب عبد العزيز
أستاذة الأدب الفرنسي
بكلية الآداب - جامعة الأزهر



★ بلزاك ★



★ بدر شاكر السياب ★

- الدكتوراة حياة شرارة ، والكتاب يبحث في القوى الخفية للكلمة .. واللغة في الرواية والتعرض لبعض أساليب الكتاب مثل بلزاك وتشيوخوف وتولستوي وغيرهم .
- «نحن أناس من الناصرية» مجموعة شعرية لصالح نيازي .
- «نحو لغة عربية سليمة» مجموعة من البحوث التي تدور حول تطوير اللغة العربية والحفاظ عليها ، الناشر وزارة الثقافة والفنون .
- «الهجير» مجموعة قصصية لناطق خلوصي .
- «الفن العراقي المعاصر» تأليف الفنان نزار سليم ، وهو بحث في فن التصوير .



★ فكري أباطة ★

وفاة «الضاحك».. الباكي

فقدت الصحافة المصرية واحداً من أبرز كتابها .. ورائداً من روادها الذين أمضوا في دهالبزها أكثر من نصف قرن ، حيث تتلمذ على يديه أجيال من المشتغلين بالفكر والصحافة .

إنه الكاتب الصحفي ، الناقد فكري أباطة ، المعروفة بـ «الضاحك الباكي» نسبة إلى كتابه الوحيد الذي صدر في حياته .. وهو كتاب نقدي اجتماعي ساخر .

- «الكتابة في دفتر دمشق» ديوان شعري للشاعر إسماعيل عامود .
- «الزف تحت الجلد» المجموعة الشعرية السادسة للشاعر علي الجندي ، الناشر : اتحاد الكتاب العرب .
- «اختلاط الليل والنهار» المجموعة الشعرية الخامسة للشاعر أحمد دحبور ، الناشر : دار العودة .

العراقي

معرض الكتاب الدولي

في ١٥ أبريل (نيسان) يقام معرض الكتاب الدولي الثاني ، الذي ستقيمه الجامعة المستنصرية ، تحت شعار : «الإنتاج الفكري العربي والعالمي في خدمة التنمية القومية» ، وسوف تشارك في المعرض سبع عشرة دار عربية للنشر والتوزيع والإعلان وخمسون دار نشر علمية .

* كتب جديدة *

- «الأسطورة في شعر السياب» دراسة للكاتب عبد الرضا علي حيث عالج فيها الأسطورة كظاهرة ومن خلال كونها فكراً إنسانياً بدائياً حمل لواء السياب موقفاً متميزاً من ناحية الإبداع .. وذلك من خلال استيعاب وفهم الشاعر للواقع اليومي .
- «منزل العرائس» مجموعة قصصية ، تأليف أحمد خلف .
- «إبراهيم صالح شكر» عنوان الدراسة التي أعدها عبد الحميد رشودي وخالد محسن وجيل الجبوري ، عن حياة الصحفي العراقي المعروف إبراهيم شكر .
- «أحكي لكم طفولتي يا صغار» تسع لوحات شعرية غنائية من تأليف الشاعر سليمان العيسى .
- «تاريخ علوم الطبيعة» تأليف محمد عبد اللطيف مطلب .
- «القيم السائدة في صحافة الأطفال العراقية» تأليف خلف نصار محيسن ، ويقع الكتاب في أربعة فصول .
- «الأفكار والأسلوب» تأليف ا. ف. شيتشرين ، وترجمة



★ توفيق ★



★ تشيكوف ★



★ سيف وائل ★

لوحات الأطفال في معرض

لوحات الأطفال التي فازت في مسابقات محلية ، ستعرض في معرض يقام في أربع مدن فرنسية .. سوف يستمر المعرض أربعة أشهر .. يبدأ في أبريل (نيسان) .

معرض .. بمناسبة عيد ميلاده

أقام الفنان التشكيلي راغب عياد معرضاً ضم ما يقارب من الخمسين لوحة ، وذلك بمناسبة عيد ميلاده ، بعد رحلة مع الفن عمرها ٨٨ عاماً . والمعروف أن راغب عياد من الفنانين الذين كان لهم الفضل في إنشاء الأكاديمية الفنية في روما .

لوحة فرعونية ، تختفي في ظروف غامضة !

اكتشفت البعثة الأثرية التشيكية ، مقبرة فرعونية قديمة في منطقة أبو صير .. واكتشفت داخلها إحدى اللوحات لكاهن قديم وزوجته . هذه اللوحة اختفت في ظروف غامضة .. وقد اكتشفت السرقة حديثاً .. يرجع تاريخ اللوحة إلى عصر الأسرة الخامسة .

معرض تشكيلي

افتتح في الأيام الماضية المعرض التشكيلي رقم ٣٧ للفنانة جاذبية سري ، التي تعمل أستاذة بكلية التربية الفنية بجامعة حلوان .. وقد أقيم المعرض في معهد جوته .

وفاة سيف وائلي

فقدت الحركة التشكيلية واحداً من روادها هو الفنان سيف وائلي ، الذي أمضى ٤٠ عاماً في خدمة الفن التشكيلي .. وكانت مجلة «الفصل» قد أجرت معه حديثاً مطولاً قبل وفاته استعرض من خلاله مراحل حياته الفنية ، وكفاحه الذاتي سوف يطالعه القارئ في أحد أعداد المجلة القادمة .

«تاريخ الإسلام الذهبي»

«تاريخ الإسلام الذهبي» ، ذلك الكتاب الذي يؤرخ للحركات الإسلامية والقادة المسلمين ومفكرهم وأنتمهم في ترجمات شاملة منذ بداية رسالة الإسلام حتى سنة ٧٠ هـ .

هذا الكتاب ، اقترح المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية تحقيقه وطبعه وذلك بانتهاء القرن الرابع عشر الهجري .. وقدم القرن الخامس عشر الهجري . الكتاب يقع في أربعين مجلداً .

بنك .. للمعلومات

كلية الهندسة بجامعة الأزهر ، تبحث حالياً مشروعاً بإنشاء أول بنك للمعلومات .. ونموذج للطاقة .. يتم ذلك بالاشتراك مع هيئة المعونة الأميركية ، حيث يتكلف المشروع حوالي ٨٠٠ ألف دولار ، وينفذ خلال أربع سنوات .

شخصية الشهر

مصطفى صادق الرافعي



● من مواليد مصر عام ١٨٨٠ م .

● أديب وشاعر .

● كتب في النثر الفني فأصدر «حديث القمر» ، «المساكين» .

● من مؤلفاته في الدراسات والبحوث «تاريخ آداب العرب» ، «عجاز القرآن» ، كما صدر له كتاب

«وحي القلم» وهو عبارة عن مجموعة من المقالات .

● من كتبه النقدية المعروفة «تحت راية القرآن» رد فيه على كتاب د . طه حسين «في الشعر

الجاهلي» ، كما هاجم شعر العقاد في كتابه «على السفود» .

● دارت بينه وبين معاصريه معارك نقدية ساخنة .

● توفي في ١٠ مايو (أيار) ١٩٣٧ م .



★ محمود أبو الوفا ★



★ سيد نوفل ★

* كتب جديدة *

- «حكايات الأمير» مجموعة قصصية من تأليف يحيى الطاهر عبد الله .
- «المواويل» ديوان شعري باللهجة العامية المصرية للشاعر الشعبي فؤاد قاعود .
- «الحلم» ديوان للشاعر حسن عقل .
- «المسرح التجريبي» تأليف جيمس روس ، وترجمة الناقد فاروق عبد القادر ، وهو من الكتب النقدية ، كما صدر لنفس المؤلف «ازدهار وسقوط المسرح المصري» ، تناول فيه رحلة المسرح المصري في الستينات .
- الشاعر محمود أبو الوفا ، الذي ودع الحياة خلال الشهر الماضي ، كان قد دفع إلى المطبعة كتاباً عن تجربته الشعرية التي امتدت إلى نصف قرن ، وقد أطلق عليها اسم «رحلة الحياة والشعر» .

لقطات

★ الطفل في الدول المتقدمة ★



★ الطفل في الدول النامية ★



كلمة

الطفل .. والأسرة العربية المسلمة

إذا سلمنا بأن إسرائيل ، والصهيونية ، والشيوعية من أبرز أعداء إنساننا العربي والمسلم ، فإننا يجب أن نسلم بأن الفقر ، والجهل ، والمرض هذا الثلاث الرهيب قد ساعد على إيجاد جيوب داخل صفوفنا لأعدائنا .. وإننا مطالبون أولاً من أجل دحر هؤلاء الأعداء بالتخلص من الثلاث الرهيب ليس بالكلام والشعارات ، وإنما بالعمل الجاد المتخلص .

فالشيوعية وجدت طريقها إلى بلادنا العربية والإسلامية من خلال ظاهرة الفقر التي تغشى مجتمعاتنا رغم ما فيها من خيرات . كما تسربت من خلال شعار « الجنة الموعودة للكادحين » بإقامة العدالة الاجتماعية الوهمية .. فوجدت أمامها الطريق مفتوحاً وتساقت الآلاف من أبنائنا الذين أهدر الفقر كرامتهم الإنسانية في شركها فأنفدت عقولهم ، وشككتهم في فيادتهم ، وكوّنت منهم طابوراً خامساً يخدم أغراضها اللاإنسانية ، وأهدافها الرامية إلى تعظيم كل مظاهر الأخلاق ، وتدمير روح الإنسان ، وعبادة الأديان السبائية التي جاء بها الأنبياء والرسول هداية البشرية ، وتعمير الكون على قواعد الخير ، وأسس العدل ، وحب الإنسان لأخيه الإنسان .

ونحيء الصهيونية من معطف الشيوعية لتنتسب لشراف من المطرودين والمنتزعين دولة في قلب الوطن العربي هي « إسرائيل » تساعد على تنفيذ مخططاتها في انتشار الفساد والرذيلة ، والتوسع على حساب الإنسان العربي .. حدث هذا لأنها وجدت أن مجتمعات هذا الإنسان مرزومة بظواهر الفقر والجهل والمرض .

قد يتساءل القارئ .. وما علاقة كل هذا بعنوان الموضوع الخاص بالطفل والأسرة ؟

والإجابة هي أن كثيراً من الأسر في مجتمعاتنا العربية والإسلامية تعيش حياة الفاقة والحرمان ، فأى مستقبل ينتظر أطفال هذه الأسر ؟ وهل ستكون الأجيال القادمة خيراً من جيلنا في ظل « الأمية » التي تحتل ٧٠ ٪ من نسبة السكان ؟

ألا تستطيع الشيوعية ، والصهيونية ، وإسرائيل من خلال الأجيال القادمة أن تثبت أقدامها ، وتقدم بخطوات أوسع ، فتزايد الجيوب ، وتكثر الطواوير الخامسة ؟ إن الدول العربية والإسلامية مطالبة في هذه الفترة الحاسمة من تاريخنا بالعناية بالأسرة بصفقتها الركيزة الأساسية للتركيبة الاجتماعية . فنحن في حاجة في هذه المرحلة إلى صناعة الأسرة من منطلقات عربية وإسلامية نحميهم من ذل الحاجة ، وامنهم الحرمان قبل تشييد المصانع .. لأن إنشاء مصنع « ما » ليس بالأمر الصعب إذا ما توافر له عنصر المال ، لكن هذا العنصر ليس كافياً في غياب عنصر الإنسان الذي هو أساس أي مشروع صناعي .

كما أن إدخال المتغيرات الاجتماعية والاقتصادية والنفسية في حساباتنا لإقامة مشاريعنا الصناعية مسألة في غاية الأهمية ، إلى جانب خطورها وخطورتها .. فهل وعى المخططون لهذه المشاريع هذه الناحية .. وهل قامت خططنا من خلال حاجات إنساننا ، وقدراته لتلبية متطلباته الذاتية . إن الدول العربية والإسلامية مطالبة لخلق أجيال خالية من الأمراض الاجتماعية ، والجسمانية ، والعقد النفسية ، وهذا لا يتأتى إلا من خلال العناية بالطفولة العربية والإسلامية ، ورعايتها صحياً واجتماعياً ، ونفسياً ، وذهنياً .. لأنه على يد هذه الأجيال سوف ينحسر المد الشيوعي وتنتحر الأرض . والموضوع ما زال موصولاً ، ومتصلاً لأنه محصلة تركة ضخمة من التخلف والفقر والجهل والمرض .. والله المستعان !!

علوي طه الصافي



★ جوت ★

● « الرومانسية في الأدب الفرنسي » تأليف أمال فريد .. وهو عرض لتاريخ الحركة الرومانسية التي تركت آثارها الواضحة على الأدب الفرنسي بصفة خاصة وعلى الآداب العالمية بصفة عامة .

● « السحار .. الغائب الحاضر » تأليف محمود فوزي ، وذلك بمناسبة الذكرى الخامسة لرحيل الأديب ، المفكر المؤرخ عبد الحميد جودة السحار .

● « الأفران الصناعية » تأليف المهندس سعيد عبد الغفار .. وهو سلسلة جديدة عن المعارف والتكنولوجيا ، تصدر عن دار المعارف ، حيث تقوم بتقديم العلوم بأسلوب علمي مبسط .

تونس

الملتقى الثاني ليحيى بن عمر

انتهت الدورة الثانية للملتقى ليحيى بن عمر بمدينة سوسة ، حول دور إفريقية في إثراء الثقافة العربية ، واشتمل الملتقى على عدة محاضرات ساهم فيها أساتذة جامعات تونس .

الطفل .. والمحيط

نظمت دار الثقافة للتنظيم العائلي والعمران البشري ، ندوة تحت عنوان « الطفل والمحيط » وذلك بمناسبة عام الطفل ، شارك فيها رجال الفكر والمربون .

مجلة الفكر ومعرض وثائقي

أقيم بدار الثقافة ، معرض وثائقي عن مجلة « الفكر » التونسية ، حيث ضم عدداً من الصور والوثائق لمسيرة المجلة خلال ٢٣ عاماً .. وكان ذلك بمناسبة دخولها عامها الرابع والعشرين .

الصناعات التقليدية في معرض

أقيم معرض للصناعات التقليدية للبلدان الأعضاء بوكالة التعاون الفني والثقافي ، تحت إشراف اللجنة الثقافية القومية ، وتضم الوكالة ٢٦ بلداً عضواً .. وقد احتوى المعرض على بعض العروض لمختلف فن الحضرارات والصناعات التقليدية .

معارض تشكيلية وفوتوغرافية

أقيم معرض بدار الثقافة « ابن رشيق » ، ضم عدداً من الصور الفوتوغرافية والوثائق عن حياة المهاتما غاندي .

المعرض

الفن المعاصر

أقيم بمدينة الرباط أسبوع للفن المعاصر .. حيث ضم نماذج عديدة ومختلفة من الفنون المعاصرة .

* كتب جديدة *

- « عيون الليل » مجموعة قصصية للكاتب مبارك الدريبي .
- « معارك » و « الإسلام أهدى » كتابان من تأليف الأستاذ عبد الله كنون .

الكويت

معرض لفنانة كويتية

٥٠ لوحة فنية من البيئة الشعبية الكويتية ومن إسبانيا وزاثير والقاهرة ، قامت بعرضها في معرض خاص الرسامة الكويتية ثريا البقاصمي بالكويت .

المعرض السادس للفنانين التشكيليين

أقامت الجمعية التشكيلية للفنون ، المعرض السادس للفنانين التشكيليين العرب في صالة الفنون بضاحية عبد الله السالم .

* كتب جديدة *

- « يهود إيران » تأليف البروفيسور . ي سندرير ، ومقدمة لرؤوف شحوري ، الناشر دار القبس .

البحرين

* كتب جديدة *

- « الغابة » مجموعة شعرية ، للشاعر حسن الشرفي .
- « نصوص يمانية إعداد علي محمد العلقلي ، بمقدمة لسفيان أحمد البرطي ، والكتاب وثاني ، يورخ لفترة من التاريخ السياسي لليمن الشهابية .

ليبيا

* كتب جديدة *

- « رحلة عبر الكلمات » و « الجدار » ، كتابان من تأليف يوسف الشريف ، الناشر : منشورات الشركة العامة للنشر في ليبيا .
- « أقوال شاهد عيان » مجموعة قصصية من تأليف محمد علي الشويهيدي .

فلسطين

المجلس الثقافي اللبناني

اجتمعت الهيئة العامة للمجلس الثقافي اللبناني الشبالي بطرابلس وانتخبت رئيساً لها ، كما اختارت رؤساء لجنتها على الوجه التالي :

كما أقام الفنان التونسي حمادي بن سود ، معرضه في المركز الثقافي الأمريكي ، حيث تضمن المعرض ٣٠ لوحة من أعماله .

* كتب جديدة *

- « الحب .. مع وقف التنفيذ » ديوان للشاعر الصادق شرف (أبو وجدان) .. ويقدمه محمد المصمودي .
- « البرد » مجموعة قصصية من تأليف عبد القادر بن الحاج نصر .
- « الخطبة .. كنثر فني » تأليف الدكتور عثمان بوغافمي .
- « حياة واحتضار » رواية من تأليف الأدبية سعاد هدري .
- « أفلاطون والديالكتيكية » تأليف الدكتور فتحي التريكي ، الناشر دار الوسط ، ضمن سلسلة المعارف .
- صدر العدد الأول من الجريدة الثقافية التربوية والتي تحمل اسم « الوعي الحر » ، وهي متخصصة في الشؤون الثقافية والفكرية والتربوية .

البحرين

مهرجان الفولكلور الفلسطيني

في قاعة بلدية رام الله ، أقيم مهرجان الفولكلور الفلسطيني ، الذي اشتركت فيه ٢٥ فرقة فنية تمثل الجمعيات الخيرية والأندية والفرق الخاصة في الضفة الغربية وقطاع غزة .

يأتي هذا المهرجان رداً على عملية التزييف التي تقوم بها السلطات في الأرض المحتلة ، التي تحاول أن تقدم هذا التراث للعالم الخارجي على أنه تراثها هي .

* كتب جديدة *

- « عهد من القدس » مجموعة قصصية من تأليف لجوى قعوار فرح .
- « نداء الأرض » مجموعة مسرحية ، تأليف عدنان أبو شرح ، وهي محاولة للتاريخ لانتفاضة يوم الأرض في فلسطين المحتلة ، في إطار فني .

- «شارلي شابلن» إعداد إبراهيم العريس ، دراسة في حياة عبقرى السينما شارلي شابلن ، وأعماله .
- الكتاب من تأليف مارسيل مارتين ، وعدد آخر من الكتاب .
- «دير ياسين» رواية من تأليف عاصم الجندي .
- «تيارات رئيسية في علم الاقتصاد» تأليف أجناسي ساكس ، وترجمة الدكتور فاضل عباس مهدي .
- «مقومات التنمية الاجتماعية وتحديدها» تأليف الدكتورة مهي المقدم .
- «ميثاق ١٩٤٣» تأليف الدكتور باسم الجسر ، الناشر ، دار النهار .
- «أناديك يا ملكي وحبيبي» ديوان للشاعر محمد علي شمس الدين .
- «فصل من افتتاحية دون كيشوت» ، ديوان شعري محمد العبد الله .
- «هذا هو الماء ، هذا هو الحجر» مجموعة من القصائد النثرية ، تأليف طلال الحسيني .
- «بابل العصر» صور ولوحات شعرية من تأليف محمد علي فرحات .
- «صباح التعب» مجموعة للشاعر محمد علي شمس الدين ، الناشر : دار الآداب البيروتية .
- «نقوش على حجر العصر» مجموعة شعرية للشاعر اليمني عبد الرحمن فخري ، الديوان عبارة عن خمس قصائد طويلة .

فلسطين

* كتب جديدة *

- «النساء والحب» مجموعة قصصية من تأليف الأديب السعودي خليل إبراهيم الفريز .

البحرين

* كتب جديدة *

- «اعتذار للطفولة» ديوان للشاعرة حمدة خميس .. يضم الديوان خمس عشرة قصيدة .



* محمد علي شمس الدين *



* ميم بير *

- د . مصطفى الرافعي ، رئيساً للمجلس الثقافي للبنان الشمالي .
- د . عبد الحميد جيدة ، رئيساً للجنة الثقافية .
- د . إبراهيم الأميوني ، رئيساً للجنة الاجتماعية .
- د . عماد المقدم ، رئيساً للجنة الإعلامية .



* عمود درويش *



* عبدالله كرون *

درع الثورة الفلسطينية لفنان وشاعرين

بمناسبة الذكرى الرابعة عشرة لانطلاقة الثورة الفلسطينية ، منح رئيس اللجنة التنفيذية للمنظمة ياسر عرفات ، درع الثورة للفنون والآداب لكل من الشاعرين محمود درويش ومعين بسيسو ، والفنان التشكيلي إسماعيل شموط .

معرض للملصقات الفلسطينية

أقيم في جامعة بيروت معرض للملصقات الفلسطينية ، ضم ما يزيد على الخمسمئة ملصق ، يرجع تاريخها إلى ما بين عامي ١٩٦٧ - ١٩٧٩ م ، في كل من بيروت ودمشق وعمان وبغداد ، وذلك بالإضافة إلى مجموعة من الملصقات التي صدرت في فرنسا وإيطاليا واليابان وغيرها من بلدان أوروبا ، كلها تدعو لدعم الثورة الفلسطينية . أشرف وساهم في تنظيم المعرض منى سعودي بالتعاون مع الفنان مصطفى الحلاج .

* كتب جديدة *

- «في الوحدة العربية والتجزئة» تأليف منير شفيق .
- «رحلة الدقائق الخفيفة» رحلة تأملية في المطلقات المعنوية للإنسان ، تأليف نجيب روبا سفري .
- «مصر لبنان في مشاريع» تأليف الدكتور محمد المجذوب .
- «الجمهرات» ديوان للشاعر سليم بركات .
- «دراسات في النقد» دراسة في الشعر الحديث وما يدور حوله من قضايا ، تأليف الدكتور الياس خوري .
- «أشعار الربان» مجموعة من أشعار بابلو نيرودا الشاعر التشيلي ، ترجمة هالة نابلسي .



★ أرنست منحوي ★

معرض تشكيلي

الفنان الفرنسي المعاصر «أوليفيه روبير» ، أقام معرضاً للوحاته التي تتميز بمساحتها الكبيرة . . وهارمونية اللون .

أكبر جائزة في الموسيقى

أخيراً ، منحت فرنسا الجائزة الدولية في الموسيقى لجورج أوريك . . وهو رائد من رواد الموسيقى المعاصرة .
من أربع أعماله الموسيقية ، تلك الموسيقى التي وضعها لروايات «جان كوكتو» ومنها «دماء الشاعر» و«العودة الأبدية» .

باريس من وجهة نظر الرسامين

فنانو القرنين التاسع عشر والعشرين ، أقيم معرض للوحاتهم المشهورة التي تصور مدينة باريس .
المعرض يحمل اسم «باريس من وجهة نظر الرسامين» .

وإذا كنت الشافحة عن الشعر القديم تسحب على المدافع الاتهام بالسلفية ، فالتحليل الهادي للمعاداة الشعرية الحديثة لا يبريء الخلل من غصبة المدللين بتمزجهم الملتزم ، ومواقفهم القيادية ، غير أن الحقيقة لا تمكن الباحث من نفسها ما لم يحلل ويوازن ، وما لم يضع الشعر المعاصر على محك الالتزام القديم ، لينتج ما فيه من تحس أو تمس . وليحدد مكانه من مبادئ الحياة الخاضعة ، في الطليعة الرائدة ، أو في السقطة المساقة .

كان الشاعر القديم ينطلق من ذاته إلى المجتمع ، وعذا الشاعر المعاصر يجمع ذاته ، أو ذاتاً أخرى ، يلقها بها ذاته من حيوط الحياة الاجتماعية ، وراقع السياسة ، وسين الشعاعين فرق : فالأول كان يأخذ من تحريرة حجة ، يعايشها حدثاً بعد حدث ، والثاني أصبح يقبس من تحريرة واسعة أقسامه الشعرية قسماً بعد قس ، وشأن دين من يتخطى ليصطل ، وبين من تنحصر نفسه هماً محرفاً ، لا يحتاج إلى من يوريه . لقد تار عنقته على سواد ، يحطه عن أقدار البيض ، وتسب ظنين يحفره في أنظار السراة ، فإذا هو محارب وعاشق ، يقبل ناياباً عجيبة على شفرة السيف ، ويغوص معركة إنسانية بحماسة ذاتية محض .

أما الشاعر المعاصر لمطالب بأن يخالط تجربة قد يجر بها ، وقد لا يجر ، وأن يناقش قضايا ، قد يكون واحداً من يصنعونها ، وقد لا يكون ، ومتى أراد أن يبرح مواقع الرقابة إلى مواقع الفادة امتد أمامه طريقان : طريق التجربة الحية كالطريق التي نشأها شعراء الأرض المحتلة ، وطريق المعاصرة الواكبة ، كالطريق المعبد ، التي تشق أمام المستطلعين الجوالين ، ممن يحومون حول الفلاح ، ولا يدخلونها ، فلا يصفون إلا ما تسمح الأسوار برؤيته .

لنقطة الأولى قضية غير مفروضة على الشاعر ، ولا ملصقة به ، بل مرتبطة به ارتباط العضو بالجسد . فهو يتأثر بها ، ويؤثر فيها ، ويتغلب بتصاريفها ويفعل بعض هذه التصاريف ، لأنه ربيب

أول متحف من نوعه !

متحف خاص بالملصقات الفرنسية ، تم تأسيسه ، حيث يعتبر واحداً من المتاحف الجديدة في النوعية وفي طريقة العرض . . وتحوي ردهاته على آلاف ملصق ، كما يضم المتحف ملصقات أخرى معروضة في تسلسل يوضح تاريخ الملصقات الفرنسية في الثلاثمئة سنة الأخيرة .

احتفال بـ «جان راسين»

بمناسبة مرور ٢٨٠ عاماً على وفاة المسرحي «جان راسين» ، احتلقت الأوساط الثقافية بهذه المناسبة ، كما قدم الفنان جان كريستان مسرحية «فيدرا» التي كان قد كتبها راسين عام ١٦٧٧ م .
المسرحية قدمت بأسلوب جديد ، يعتمد على الأصوات الموسيقية والمؤثرات الجملالية المختلفة .

ناقدة

الشعر بين القيادة والانقياد

أين يقف الشاعر المعاصر من قضايا الأمة العربية ؟ أيظوف بها صفوف الرقيب ، أم يفتحهم حومنها اقتحام الفارس المستميت ؟ وهه اقتحم . أيقفهم ليفود ، أم يفتحهم ليتنظم في موكب المقاتلين ؟

تلك طائفة من أسئلة كثيرة نلح على الإنسان العربي . وهو يقرأ ما قيل في الالتزام فديمه وحديثه . ويرى ما يفعل الملتزمون المحدثون من العرب ، ويقبض مواقف المعاصرين بمواقف الأقدمين .

من الآراء التي فازت في رسوخها قواعد العظ استأثرت الشعر الحديث من معاناة عميقة ، بخالط فيها الشاعر موضوعه مخالطة معانية ، حتى يغدو شعره القاء ، يتوهج فيه وجدان الأمة . أو يغدو وجدان الأمة له حياء ، تمهلاً له آفاق الانطلاق ، فيرود ويفود ، وقد رافق هذا الاعتقاد الراسخ إزاء الشاعر القديم ، يتمه كله أو جلّه بالتعاقب في المواقف ، وسالارقاء على أقدم النوجها ، ولتقلب مع أهواء الساسة ، حتى شامت صورة الشعر القديم في أذهان الناشئة ممن تصل أبديهم إلى لقده ، ولا تصل إلى دواوينه ، فيقبلون الرأي الرئيل ، ولا يتمكنون من معرفة الشعر القديم ما يدحسون به الشطط والتقول .

من القوال المعاصرة

●● الفنان .. إنسان يعرف كيف ينظم الإحساسات .

هتري ماتيس
فرنسا

●● إن الإنسان هبة الله إلى الأرض كما أن الأديان ، كل الأديان ، هي طرق هداية لا هدم ، ولهذا لا يجوز التعرض لها بل ينبغي الرضوخ لما تأمر به والامتناع عما تنهى عنه ، إذ أنها تسعى في مجملها إلى تحقيق سعادة الإنسان وخيره ورفاهيته .

ايرمانو أولمي
إيطاليا

●● الإنسان يمكن أن يتحطم ، أن يندثر ، ولكنه لا ينهزم أبداً .

ارنست همنجواي
أمريكا

●● مقدمة ابن خلدون ، أعظم ما أنتجه العقل في كل العصور .

أرنولد توينبي
بريطانيا

واللهذه من الشعر الحزم ، لا يظهر إلا بعد أن تزول الحجب الساترة ، فإذا ظهر كان مفصلاً عن زمانه ، وكانت المشكلة التي يعالجها قد صوّتت تحت إبط مشكلة أخرى ، نتيجة التطور في الحياة . قد يظهر ولكن لا يكون لظهوره أثر ملموس . في شعر وعي . أو توضيح غامض ، أو اقتراح حل ، إنه أشبه بحكمة بطل تداوُلها ، قطعها وتزويرها لا يرفع حاكمها ، ولا يعي محكومها . وقد يشرب الغضب الخلق في نفوس الشعراء من مسارب خفية . أو يتزيا بسري غريب جليل ، ليهرب من القضاء ، كما يتنكر الجواسيس . وسريالية الشعر الغامض واحد من المسارب التي يؤم منها غضب الشاعر إلى الشعب ، لكنه تضيق السلك والتواء لا يصل إليه إلا خائراً بلهت . فلا يبره ، ولا يثيرة ، بل يغرق في مثل الإههام الذي نجم منه ، وينتهي إلى مثل الضياع الذي يطوي عليه ، فيكون ماله كمال غيره من الشعر ، فلا هو مفهوم فيؤثر ، ولا هو معهود . فينبغ للنواضح الظهور ، وإنما هو السائد بقوة الإعلام ، المفروض على الألفهام لتحريضها من الصهم .

وبعد ..

فإن لم يكن الشعر الحديث - أو قدر غير يسير منه - قادراً على المصاولة ، فليكن قادراً على التواضع . على الافتقار بأن الشعر القديم لم يكن كله ريفاً وعاملة ، وإذا كنا لا نطالعه باستيصال الشهاد ، فإننا نطالعه بالأل يكر على بعض القديم استشهاده . ونطالعه كذلك بأن يدفعه الالتزام الذي ينبغي به إلى استلام الزمام وتثبيت الخطوات ، حتى يكون حديراً بالقيادة والريادة .

غازي طليحات
سورية



* ناتالي ساروت *



* اندريه مالرو *

* أحدث الكتب *

● « المسرح » تأليف الأدبية ناتالي ساروت ، ويدور موضوع كتابها حول فكرة الحرية في الذهن البشري .

● « أكبر أدباء العالم » إنه اسم القاموس الجديد الذي صدر في ستة أجزاء ، حيث يضم أعمال ٤٠٠ كاتب من مختلف بلدان العالم الذين تألقوا في عصور مضت حتى وقتنا هذا .

● « ضوضاء خطواتنا » تأليف كلارا مالرو ، زوجة الكاتب الفرنسي الراحل اندريه مالرو .

● « الأخبار التاريخية للمهاجرين » تأليف كريستيان كاريز وميشيل فاندن ، مدعياً بعدد كبير من الصور ، وقد استغرقت فترة الإعداد لكتاب مدة عامين ، كان خلالها الكاتبان يجمعان التحقيقات في عملية بحث مستمر .

● « حكايات لافونتين » أعادت نشرها دار جاليمار وذلك بمناسبة

حفلها ودفعها . في الحيام وفي الخنادق ، وإذا اقتضاء هُت المعركة أن يكون وقوداً لها لم يتكص . ولم يُلْه الأحرار ، كم احترق عبد الرحيم محمود ، وغسان كنفاني ، وكمال ناصر .

وللغة الثانية معاناة من طع آخر ، لا تحاوز الاصداء إلى نشرات الأخبار ، والتأثير محاصرات المؤثرات . فلا تربي التجربة على التحسس البعيد . وعلى الاستحالة العفوية . لبعد من يعالي عن مركز المعاناة ، ولا عزائه في إسم الوضائف والمكاتب . ومن تقلت من القيد لم تكن الحرية المتاحة له تسمح له برؤية الحقائق ، ولا بولوج المناطق المحرمة . ومن أتبع له أن يرى ما لم يره سواء ، لم يتبع له أن يفصح عن نفسه إلا بقدر . فيتخلف ما يصور اللسان عن أدركت النفس .

وبين هاتير الطائفتين طائفة احترقت الشعر مهنة . وانغرت به بضاعة . فهي تنظم من ما يروج ، وتوصي به من يستام . وهي طائفة طيبة لينة . تحسن التقلب ، وتنسب لالأنواء ، فإذا أحسنت لدى الساسة ميلاً إلى الغرب عزيت . أو لزوعاً إلى الشرق لم تأتف من التشريق . كان شعرها ضرب من ضروب الإعلام .

أما الذين احتزوا على اقتحام الحرم ، وأدركوا - أو خُبل إليهم أنهم أدركوا - ما وراء الأكمة فقد فرغوا إلى أساليب ملتوية في نشر ما يظنوا . إذ هربوا من أعين الرقابة . وشوا شعريهم المحرم بين الجماهير ، كم تنوع البضاعة المهربة في الألفاق تحت الأسواق . ولا اعتقد أن هذا الشعر المهرب أقدر على قتل الفضائيا الهامة من الشعر الرسمي الإعلامي . ولا أظن أنه أسرع في ترجمة الحزن القومي منه . لكنه أقدر على اقراغ النفوس في غيظها الحق . وعييه الأكبر أنه حبيباً مرد على قوالب الشعر ، مرد كذلك على أدب الخطأ ، فقطيق يدغدغ عواطف الشعب بلغة مسوقة ، ومضى يشد ويعلن ، وهو يقلل أنه يفتح عيون الناس على أسرار المناسة . فإذا صُرب على الحثك لم يكن حفظه من التزييف أفضال من حفظه سواء .



★ برتراند رسل ★



★ بيكانو ★

* أحدث الكتب *

● « العمل والمعبد » دراسة عن أعمال الروائي الفرنسي بول كلوديل ، من تأليف أستاذ الأدب الفرنسي في جامعة كامبريدج جان برتيران بارار .

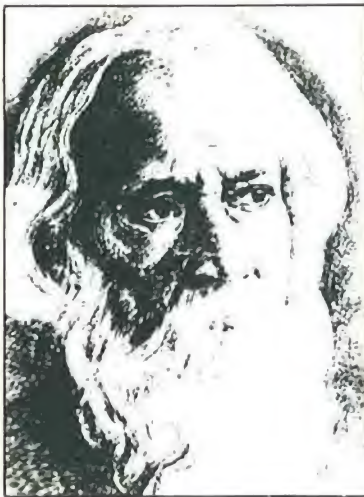


اختراع لكشف لصوص الكتب

تم طرح آلة جديدة في الأسواق لضبط سارقي الكتب من المكتبات العامة ، حتى لو كان السارق يخفي الكتب في جيبه أو في ملابسه الداخلية ، حيث تستطيع هذه الآلة فضحه . . . وقد تم اختراع هذه الآلة بعد أن اكتشف أن نسبة المسروقات من الكتب الجامعية قد وصلت سنوياً إلى عدد يتراوح بين ٢ ، و ٢٠ في المئة من الكتب الموجودة بها .

سرقة تماثيل

سرق أحد التماثيل الإغريقية المصنوع من الرخام ، والذي يرجع تاريخه إلى القرن الخامس قبل الميلاد ، من متحف الميتروبوليتان بقسم الآثار . المتحدث باسم المتحف ، يعتبر أن هذه أكبر سرقة في تاريخ المتحف الذي يرجع عهده إلى ١١٠ سنوات . التمثال المسروق ، يقدر ثمنه بحوالي (٥٠) ألف دولار .



★ طاويف بريشته ★

مرور ٣١٠ أعوام على صدور الطبعة الأولى ، والحكايات تتكون من ١٢ حكاية خرافية .

● عن حياة العالم الفلكي جوهاتر كيبلر ، صدرت دراسة شاملة ، تفصيلية عن حياته ، وهو من مواليد ١٥٧١ م ، وتوفي في عام ١٦٣٠ م . ● موسوعة تضم ١٢ جزء من تاريخ الأدب الفرنسي ، الجديد في هذه الموسوعة أنها تعتبر الأدب جزء من تاريخ فرنسا .

● « الجنون » تأليف ولاند جاكارد . . ويدور المؤلف في كتابه حول رايه بأن الجنون ليس ظاهرة ثابتة . . وإنما هو ظاهرة تتطور مع الجنس البشري ومصدره الخوف من العودة إلى مرحلة الحيوان . . أو التمزق بحثاً عن عالم مثالي ، الشيء الذي يدفع بالإنسان إلى القلق والضعف في الإرادة والاستسلام في طريق الجنون .



ملصقات عن فلسطين

المركز الثقافي العراقي في لندن ، كان قد أعلن عن مسابقة حول موضوعي « فلسطين بلد مغتصب » و « النضال من أجل الحرية الثقافية والسياسية في العالم الثالث » . . وقد فاز بالجائزة الأولى عن الموضوع الأول ، الفنان البولوني بازيك روالسكي . عن لوحته « رسالة بالبريد الجوي » ، والثانية كانت من نصيب الفنان الفنلندي ريجو كاليني ستروم ، عن لوحته « صورة يد » ، أما الجائزة الثالثة فكانت عن لوحة « كوفية عربية » ، وهي لوحة للفنان ماريان نوفيسكي .

وقد كانت الجوائز الثلاث الأخرى للموضوع الثاني ، هي حجب الجائزة الأولى ، ومنح الثانية للفنان البولوني نويتسكي . والثالثة تقاسمها الفنان التيجيري هيج دافيد وست مع فلاديسوف بلوتا . . وقد تقرر طبع هذه الملصقات الفائزة وتوزيعها في العالم .

اكتشاف مومياء مصرية

مومياء مصرية ، عمرها ٢,٠٠٠ عام ، تم اكتشافها في مدينة ليفربول البريطانية ، ويؤكد بعض الأثريين أن هذه المومياء تعود لشخص هو والد مومياء أخرى موجودة في ألمانيا الغربية .



★ سلفادور دالي ★

الاحتفال بـ «أنطونيو ماخادو»

الأوساط الثقافية في إسبانيا، تحتفل هذه الأيام بمرور ٤٠ عاماً على وفاة الشاعر أنطونيو ماخادو .. والاحتفال عبارة عن منح جائزة أدبية تحمل اسم الشاعر لأحسن عمل أدبي ظهر في إسبانيا خلال العام الماضي . من أشهر أعمال الكاتب، ديوانه «العزلة ومناظر كاستيل» .

مذكرات فنان

النحات الإسباني بابلو جرجالو ، صدرت له مذكرات ، بشرح فيها طريقته في النحت على الحجر واستخدامه لأول مرة بعض المواد الغربية في النحت ، مثل النحاس والرصاص والحديد .. كما يثبث الفنان في مذكراته ، أن بيكاسو كان يشجعه على الاستمرار .. وأنه ساعده على استلهم التكميلية في فن النحت .

* أحدث الكتب *

- «حيوانات إفريقية» تأليف برنار هو فلمانز ، وهو يتناول في كتابه ، الحيوانات غير المعروفة للعالم ، ويقوم حالياً بالتحضير للجزء الثاني .
- «القرن الـ ٢١» تأليف الدكتور هالاس .
- «فن تدمير» تأليف مالكوم كوليدج .

حدث في مثل هذا الشهر

(الأحداث التالية بالتاريخ الميلادي الموافق للشهر الهجري الذي تصدر فيه المجلة)



★ قاتل ★

- ٢٢ مايو ١٨١٣ مولد الموسيقار الألماني فاغنر
- ١٨٥٩ مولد الكاتب البريطاني أرنست دول
- ٢٣ مايو ١٩٠٦ وفاة الكاتب المسرحي السويدي هنريك إبسن (طالع)
- ناريخ مولده في العدد ٢٢ من هذه (الزوجة)
- ٢٤ مايو ١٩٠١ مولد سير ويليام هيني إيسنر
- دائرة المعارف البريطانية
- ٢٥ مايو ١٨٠٣ مولد الشاعر والفيلسوف الأمريكي رالف امرسون

- العدد ١٧ من هذه (الزوجة)
- ١٧٩٩ مولد الأديب الفرنسي بلزاك (طالع تاريخ وفاته في العدد ١٥ من هذه (الزوجة))
- ١٨٠٦ مولد الفيلسوف الإنجليزي جون ستورنت ميل
- ١٨٤٩ وفاة الأديبة الإنجليزية ترونتي (طالع تاريخ وفاتها في العدد ٢٠ من هذه (الزوجة))
- ١٩٧٠ وفاة الكاتب الأمريكي جون جتر
- ٢١ مايو ١٩٢٧ أول طيران عبر المحيط يقوم به طيار منفرد (شارلز ليندبرج)

- ناريخ وفاته في العدد ١٥ من هذه (الزوجة)
- ١٤ مايو ١٩٦٥ فخرت الصين فسلها الثانية
- ١٦ مايو ١٨٨٦ وفاة الشاعرة الأمريكية أميلي ديكسون (طالع تاريخ مولدها في العدد ١٩ من هذه (الزوجة))
- ١٧ مايو ١٥١٠ وفاة الرسام الإيطالي ساندرو بوتشيلي
- ١٨ مايو ١٨٧٢ مولد الفيلسوف الإيطالي برتراند رسل (طالع تاريخ وفاته في العدد ٢١ من هذه (الزوجة))
- وحدود طسويل (مع)
- ٢٠ مايو ١٥٠٦ وفاة كريستوفر كولس (طالع تاريخ اكتشاف أميركي في

- ٨ مايو ١٨٧٣ وفاة الفيلسوف الإنجليزي جون ستورنت ميل (طالع تاريخ مولده في هذه (الزوجة))
- ١٨٨٠ وفاة الروائي الفرنسي جوستاف فلوبر (طالع تاريخ مولده في العدد ١٩ من هذه (الزوجة))
- ٩ مايو ١٨٠٥ وفاة الشاعر الألماني شيلزر
- ١١ مايو ١٩٤٠ مولد الرسام الإسباني سلفادور دالي (طالع العدد الأول - السنة الثانية عن حياته)
- ١٣ مايو ١٨٤٠ مولد الأديب الفرنسي الفونس دوديه (طالع تاريخ وفاته في العدد ١٩ من هذه (الزوجة))
- ١٨٨٢ مولد الرسام الفرنسي جورج براك (طالع

- ١ مايو ١٦٧٢ مولد الكاتب الإنجليزي جوزيف اديسون
- ١٧٠٠ وفاة الأديب الإنجليزي جون دريدن (طالع تاريخ مولده في العدد ١٥ من هذه (الزوجة))
- ٢ مايو ١٥١٩ وفاة الرسام الإيطالي ليوناردو دافنشي (طالع شخصية عالمية)
- ٤ مايو ١٧٧٦ مولد الفيلسوف الألماني جوهمان هيربرت
- ٦ مايو ١٨٦١ مولد الشاعر الهندي رابندرانات طاغور (طالع تاريخ وفاته في العدد ١٥ من هذه (الزوجة))
- ٧ مايو ١٧١١ مولد الفيلسوف البريطاني دافيد هيوم (طالع تاريخ وفاته في العدد ١٥ من هذه (الزوجة))

شخصية عالمية

ليوناردو دافينشي
(١٤٥٢ - ١٥١١ م)

- ★ مصور ونحات ومعماري ، وموسيقي ومهندس وعالم إيطالي .
- ★ ولد ببلدة « فيشي » .
- ★ تتلمذ على يد « فيروشيو » بفلورنسا من ١٤٦٦ م .
- ★ ذهب إلى ميلانو (١٤٨٢ م) ، حيث عمل مصوراً في بلاط لودفيكو سفورتسا .
- ★ في فترة عمله في البلاط ، أنجز الجزء الأكبر من كتابه عن التصوير ، وبدأ مذكراته التي تناولت بحوثاً في الهيدروليكا والميكانيكا والتشريح والجيولوجيا والنبات .
- ★ عاد (عام ١٥٠٠ م) ، إلى فلورنسا .
- ★ من أشهر لوحاته « الموناليزا » أو « الجيوكوندا » .



★ دافيني ★

الإنسان

* أحدث الكتب *

● « نشأة اليوجا وتاريخها » ، تأليف نخبة من كبار الرياضيين في اليابان .

الحقائق

الفن العراقي الوطني

أقيم معرض للفن العراقي الوطني بمدينة « مسينا » في إيطاليا ، احتوى على ٨٠ لوحة من اللوحات المختارة من بين مجموعة المتحف الوطني الحديث بالعراق .. كما ضم أيضاً ٢٠ عملاً من أعمال فن « الجرافيك » . المعرض ينتقل بعد ذلك إلى روما .. ومنها إلى أميركا .

مخطوطات ليوناردو دافينشي

« مارينو نيس » الأستاذ بجامعة ميلانو ، عثر على مخطوطات للفنان الإيطالي ليوناردو دافينشي . حيث ألقت هذه المخطوطات الضوء على فكر الفنان وعلى الأخص بعد قراءته لعالم الرياضيات اليوناني « أقليدس » ، الأمر الذي أوصله إلى طرح بعض المشكلات الرياضية .

الهند

الفنان السريع .. في معرض

في متحف الفن المعاصر بنيودلهي ، افتتح معرض الفنان الهندي حسين ، حيث قدم فيه أحدث إنتاجه . الفنان الهندي من الفنانين المشهورين بسرعتهم الفائقة في مزاولة عملهم الإبداعي .

الصين

اكتشاف مرصد

اكتشفت في شمالي كينيا أنقاض مبنى مكوناً من تسعة عشر عموداً من نوع حجر البازلت الأسود . مكتشفو الأثر يقولون إن هذه الأعمدة تشبه إلى حد كبير أنقاض المرصد

القديم الذي اكتشف في إنجلترا ، وعلى الرغم من صعوبة فهم طبيعة الاتصال الذي كان قائماً بين إنجلترا وكينيا منذ آلاف السنين ، إلا أن هناك تأكيداً بأنه كانت توجد حضارة متقدمة في هذه المنطقة من إفريقيا .

البحر

وفاة ماري دلكور

توفيت الكاتبة البلجيكية ماري دلكور ، التي تخصصت في الحضارة اليونانية القديمة ، وفي دراسة اثنين من كتّاب عصر النهضة ، « توماس مور » و« جان شلومبر » .

البحر

* أحدث الكتب *

● الكاتب اللبناني المقيم في البرازيل منصور شليطا ، ألف كتاباً عن المملكة العربية السعودية ، والكتاب يهدف إلى التعريف بالملكة من جميع النواحي والمزايا ، وقد سبق للكاتب أن نقل إلى اللغة البرتغالية الكثير من آثار أدباء السعودية وشعرائها .

الصين

أكبر خريطة في العالم

معهد الخرائط في « صوفيا » ، انتهى أخيراً من وضع أكبر خريطة في العالم ، حيث تضمنت المعلومات بالتفصيل عن المحيطات والتضاريس .. وقد اشترك في إعدادها أخصائيون في الخرائط من عشر دول ، ذلك إلى جانب الباحثين في المعهد ، وقد استمر العمل لانتمائها ١١ عاماً .. وضعت بمقياس رسم ١ - ٢٥٠,٠٠٠ ، مساحة ١٤٤ متراً مربعاً .

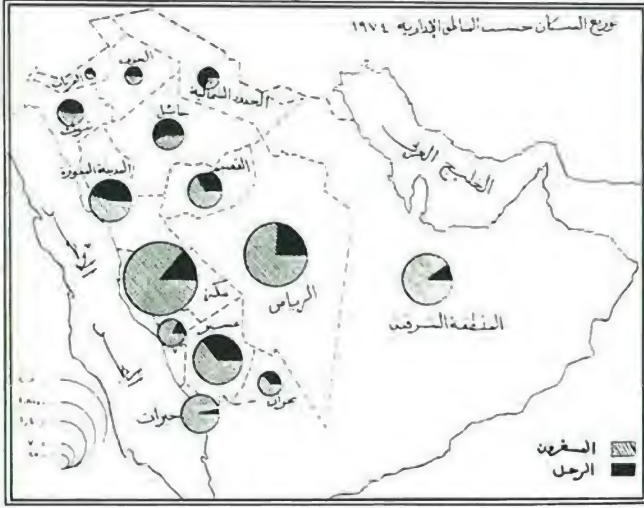
*أولا : مقدمة حول توصيف المرحلة الحضارية الراهنة في المملكة

تمر عملية التحضر Process of Urbanisation في المملكة العربية السعودية - الآن - بذروة مرحلتها الانتقالية ، ولذلك .. فهي مرحلة هامة .. كما هي معقدة متشابكة ، لقد بدأت هذه العملية ببطء نسبي بعد الحرب العالمية الثانية ، واشتد إيقاعها مع بداية الستينات .. وما تزال ، متسقة تماماً مع بدء إنتاج البترول فيها وتصاعد معدلات إنتاجه وإيراداته ، ومهما نَحْنَاهُ - البترول - عن مجال الرؤية المباشرة .. لتقتصر على آثاره ونتائجه ، فسيظل باستمرار بمثابة ضابط الإيقاع للعملية الجارية ، فمعه بدأت عملية التحضر هذه .. وما تزال ، ولذلك .. ربما يكون من أهم خصائص التجربة السعودية الراهنة .. أنها تتم من خلال التمويل ، وهو تمويل بحجم اتفاق ضخم للغاية ، غير أنه مهما بدا مصدر التمويل هائلاً ، فهو - طبيعياً واقتصادياً - قابل للنضوب ، ومن هنا ارتبطت عملية التحضر هذه بمشروعات التنمية الاقتصادية والاجتماعية .. وأصبح من شأن عملية التحضر أن تكون من وسائل التنمية ، كما أن الأخيرة من أسبابها ، ولقد منح هذا البعد الاقتصادي للعملية الجارية مستوياتها المتشابكة ، وأصبحت معظم مشروعات التنمية هي ذاتها معظم ظواهر التحضر .. وإن ظل لكل منها تداعياته وسماته ومشاكله الخاصة ، وإذا كانت عملية التحضر تمر الآن بمرحلة انتقالية .. فهي أيضاً نفس المرحلة التي تمر بها سياسة وبرامج التنمية ، وليس الارتباط هنا بالصدفة .. فالبتترول يقف من ورائهما معاً ، وعندما كانت إنتاجيته وإيراداته محدودة .. اقتضت عملية التحضر على مناطق إنتاجه .. ولم يكن ممكناً - حينئذ - البدء في سياسة تنمية شاملة .. وانجذب السكان من نواحي المملكة إلى هذه المناطق في تيارات نزوح فردية وتلقائية .. واستجابت البادية استجابة عالية لعوامل التغيير .. فمع ظهور مناطق الجذب الاقتصادية الحديثة .. برزت معه - على الفور - عناصر الطرد البيئي الكامنة في البادية .. كما بدأت من المناطق الريفية تيارات مماثلة تالية أقل امتلاء .. ومع تزايد الانتاج والإيرادات .. بدأ تراكم الثروة يعكس آثاره في موجات تتسع دوائرها لتشمل مناطق أخرى .. واستثمرت المراكز الحضرية القديمة والأسواق المحلية معطيات هذا الواقع الاقتصادي الجديد قبل غيرها .. ذلك بحكم امكانياتها الخاصة .. ولأن سياسة الانتعاش والتنمية التي بدأت انجهد إليها أولاً ، وفي نفس الوقت بدأت مرحلة جديدة من التحضر في المملكة .. وتمثلت في نمو حجم المدن القديمة بمعدلات كبيرة ، ونزوح مجموعة من المراكز الحضرية الحديثة ، ولم تعد تيارات النزوح تتجه فقط إلى مناطق إنتاج البترول مباشرة ، بل أيضاً إلى هذه المدن والمراكز الحضرية التي استوعبت تداعيات البترول الانتاجية ، ولكن تراكم الفائض من البدء في سياسة تنمية وانهاش عامة على مستوى الدولة ، تمثلت في تجهيزات شبكة مترامية من الطرق البرية ، وفي انشاء العشرات من المدارس والوحدات الصحية ، وفي تأسيس

التحضر والتنمية في المملكة العربية السعودية

بقلم : د. عمر الفاروق السيد رجب





(شكل ١)

وأصبحت نسبة الريفية نحو ٢٥٪ بها أيضاً (تعداد ١٩٧٤ م لسكان المملكة) ، وتخطت إلى حد ما مناطق المملكة ، حيث تزيد نسبة الحضرية عن متوسطها في المنطقتين الشرقية والغربية ، وتمثل المنطقة الشمالية .. ظل البداوة الأساسي .. بينما تقل نسبة الريفية إلى أعلاها في المنطقة الجنوبية ، أما المنطقة الوسطى (الرياض ، القصيم) .. فهي تمثل الوسط الحالي في المملكة .. بداوة وحضرية وريفية (شكل ١) .

وقد مرت هذه الصورة بعدة مراحل أيضاً .. حتى وصلت إلى ما هي عليه .. في البداية اجتذبت المنطقة الشرقية تيارات النزوح من الداخل والخارج .. بحيث وصلت درجة من الامتلاء وازنت به الثقل السكاني التاريخي للمنطقة الغربية .. وتدرجياً بدأت مناطق أخرى في المملكة - خاصة المراكز الحضرية - تستقبل هي أيضاً تيارات النزوح هذه .. خاصة مع انتقال نتائج البترول الاقتصادية إلى خارج منطقة إنتاجه .. ووضوحها على المستوى العام لمناطق المملكة ، وكذلك مع إنشاء شبكة المواصلات الجيدة - البرية - الحالية التي يسرت إلى حد كبير عملية النزوح السكاني .. خاصة من المناطق البعيدة نسبياً عن المراكز الحضرية الرئيسية في المملكة .. وهكذا حدثت عملية إعادة عملية توزيع سكاني Population re-distribution واسعة وعميقة بين مناطق المملكة .. وتغيرت أيكولوجية التوزيع السكاني القديمة .. إلى أيكولوجية حديثة متسقة مع عوامل النمو الاقتصادي المعاصرة .. في المراكز الحضرية وعلى طول شبكات المواصلات .. وحول عقدها الهامة ، وتشكلت خريطة التوزيع السكاني المعاصرة ، بحيث أصبح هناك أربع مناطق للتجمعات السكانية .. تتمثل في (الحجاز ، الرياض

البلديات ، وغو الجهاز الحكومي بكافة مستوياته .. وغير ذلك ، وبرزت خصائص هذه المرحلة منذ منتصف الستينات بوضوح .. مثلثة أهم ملامح المرحلة الانتقالية الراهنة ، وإذا كانت المرحلة الأولى (١٩٤٥ - ١٩٦٠ م) قد تميزت بقلّة إيرادات البترول ، وعدم وضوح سياسة للتنمية الاجتماعية .. وباقتصار مظاهر عملية التحضر المعاصرة على مناطق البترول ذاتها ، فقد اختلفت عنها المرحلة الحالية (١٩٦٠ - ١٩٧٥ م) .. المتميزة بتصاعد موارد البترول بمعدلات يصعب ملاحقتها ، وبالبداية في سياسة تنمية اجتماعية واقتصادية .. ويدخول عملية التحضر اطاراً يشمل المدن والريف والبادية .

ولقد أبرزت ضخامة العملية الجارية مدى الخطر المتمثل في اعتماد هذا البناء كله على مورد قابل للنفاذ ، والمؤكد أن تستمر خصائص هذه المرحلة الانتقالية بكل مشاكلها على مستوى التحضر والتنمية معاً .. طالما ظل الاعتماد قائماً بدرجة عالية الراهنة على البترول .. والمرجح أن تجتازها المملكة .. إذا ما نفذت بالفعل استراتيجية «تنويع مصادر الانتاج» الواردة ضمن أهم مبادئ خطة التنمية الثانية في المملكة (١٣٩٥ - ١٤٠٠ - ١٩٧٥ - ١٩٨٠ م) ، وتأسيس التجهيزات اللازمة لقيام الصناعة (البترولية خاصة) وتدعيم الاقتصاديين الزراعي والرعوي في مناطقها بشتى الوسائل والبرامج العلمية الممكنة ، وكما أمكن مع البترول البدء في عملية الانتقال الراهنة هذه بموارد أقل .. فإن موارده الحالية - بعد السبعينات - تعلن بوضوح عن ضرورات تأسيس قواعد انتاجية راسخة غير قابلة للنفاذ .. ومعها تتخذ عملية التحضر المعاصرة أبعادها كاملة ويتضح معناها .

*** ثانياً : ظواهر واتجاهات التحضر والتنمية في المملكة**
تعكس الخريطة العمرانية المعاصرة للمملكة - بدرجات مختلفة - جملة التغيرات الحضارية التي بدأت بها منذ نحو ربع قرن .. لقد تغيرت خصائص التوزيع السكاني من التبعثر المرتبط بحرفة الرعي وبعض المراكز الحضرية والريفية المتباعدة ، إلى درجة من التجمع المرتبط بالمراكز الحضرية القديمة والبارزة ، وهذا الاتجاه المعاصر نحو التركيز السكاني الشديد .. يعد استمراراً - بشكل ما - ولكن بمقياس أكبر لصورة التوزيع السكاني القديمة .. فهذه الصورة القديمة تتلخص في صيغة قوامها «التركز والتبعثر» .. التركيز في بعض المدن والقرى .. والتبعثر في البادية .. وتشير اتجاهات التوزيع الحالية إلى تغير هذه الصيغة نحو «التركز الشديد والتفريق» .. التركيز الشديد في بعض المدن الرئيسية والمراكز الحضرية الحديثة .. وذلك على حساب تفريق البادية ثم الريف من سكانها .. وتتضح هذه الظاهرة في تضخم حجم هذه المدن والمراكز .. بحيث أصبحت تستوعب ما لا يقل عن ٥٠٪ من جملة السكان ، وفي تناقص نسبة سكان البادية إلى نحو ٢٥٪ فقط .. بعد أن كانت تقدر بما لا يقل عن ٧٥٪ حتى وقت قريب ،

والقصيم ، المنطقة الشرقية ، عسير وجيزان) . (شكل ٢) .

وإذا كان البدو قد استجابوا بسرعة لعوامل الجذب الحديثة هذه ، لأسباب تتصل بقسوة الحياة وصعوبتها في بيئات المراعي التقليدية في المملكة .. فإن الأمر لم يتأخر كثيراً بالنسبة للزراع .. وإذا كان الزراع بطبيعتهم أقل ميلاً للنزوح .. لشدة ارتباطهم بزرعاتهم وأراضيهم وحقولهم ، فضلاً عن رسوخ اقتصاديات الزراعة بالقياس إلى اقتصاديات الرعي ، فإن عوامل الجذب للنزوح ما تلبث أن تفعل فعلها بينهم .. خاصة مع المواصلات الميسرة ، وبالأخص مع انتعاش المراكز الحضرية في مناطقهم ذاتها .. ولقد أدى ذلك إلى تقصير مدى النزوح ، وأصبح إغراء الأجور العالية المضمونة والأعمال السهلة .. قريباً للغاية من مناطق تجمعات الزراع الرئيسية في عسير والاحساء والحجاز وغيرها .. ومن ثم فقد تعرض «الريف» لمثل ما تعرضت له «البادية» قبل مرور أقل من عقدين من السنين من بدايته الأخيرة .

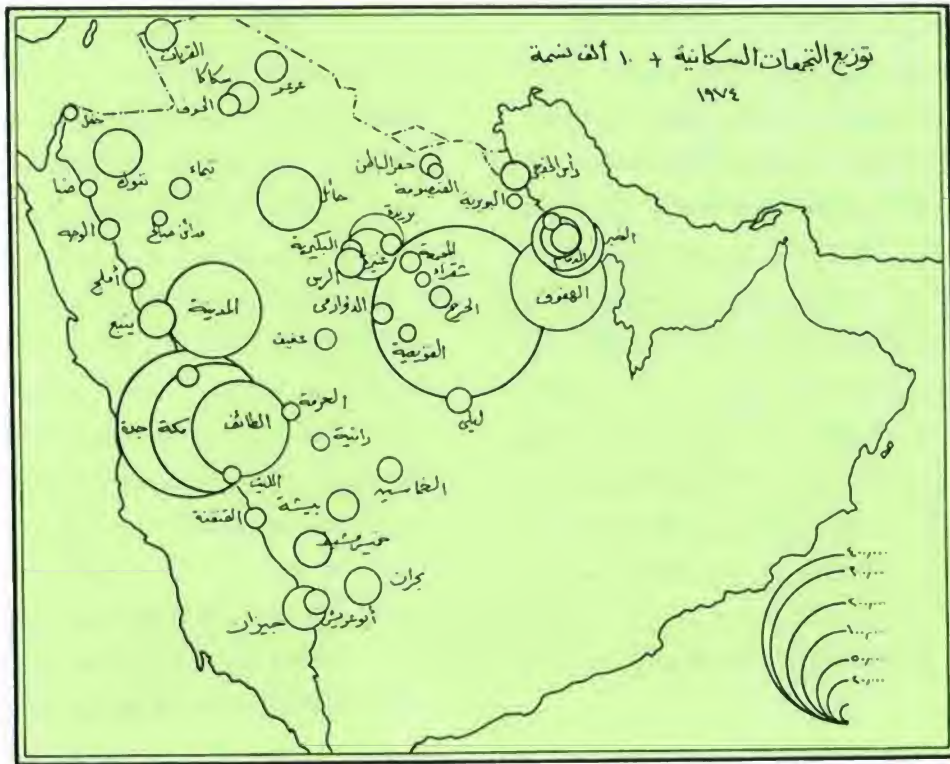
ومن ناحية أخرى .. فقد أدت تداعيات البترول المالية والانتاجية ، وإنشاء عدد كبير من البلديات (١٠١ بلدية ١٩٧٥م) ، وتأسيس شبكة الطرق البرية المترامية (نحو ١٢ ألف كم ١٩٧٥م) .. وغير ذلك من تجهيزات التنمية الأساسية .. إلى الحد من تيارات النزوح نحو المنطقة الشرقية ، ومن ثم فقد بدأت أيكولوجية التوزيع السكاني في المملكة تتجه نحو درجة من الانساق مرة أخرى .. حيث بدأت المدن الأخرى ومراكز الخدمة الحضرية البازغة في استقطاب هذه التيارات محلياً .. أي إن مدى النزوح - كما سبقت الإشارة - قد قصرت مسافته ، ولم يعد ضرورياً الاتجاه نحو البترول للاستفادة من مزاياه ، بعد أن انتقلت هذه المزايا إلى خارج مناطق انتاجه أيضاً .. على شكل تجارة وأموال سائلة ومواصلات ومنشآت .. ورغم أن ظواهر التحضر هذه قد أعادت للتوزيع السكاني بعض اتساقه .. إلا أن صيغة «التركز والتفرغ» ما تزال سارية ، ذلك أن هذه المدن والمراكز الحضرية الجديدة .. أخذت بدورها تجتذب إليها سكان البادية وتفرغها من سكانها ، بل وسكان الريف أيضاً .. الذين قاوموا في البداية إغراءات النزوح ، وهكذا شهدت «الرياض ، جدة ، الطائف ، أبها ، جيزان» .. وغيرها تيارات النزوح إليها من الريف المتناثر حولها أيضاً ، وظهرت الصورة .. وكأنها تتجه بسكان المملكة للتجمع في المدن والمراكز الحضرية ، وذلك على حساب تفرغ الريف والبادية معاً من سكانها ، وعند هذه النقطة من منحى تغيرات النزوح تظهر ضرورة تنمية الاقتصاديين الريفي (الزراعة) والبدوي (الرعي) ، لأن المسألة أولاً وأخيراً مسألة أجور .. وما دامت «البلديات» تقوم بدورها في عملية التحضر اجتماعياً (المساكن ، الكهرباء ، المياه ، التعليم ، الصحة .. وغير ذلك) ، فقد بقي أن تدعم اقتصاديات المناطق المحلية التي تقوم البلديات بخدومتها ، حتى تتعدل صيغة التغير الاقتصادي الجارية نحو تحول المملكة إلى سكان حضر وخدمات واستهلاك ، وتنهار - بذلك - تماماً اقتصاديات الريف والبادية الانتاجية .

وهنا تجدر الإشارة - بصفة خاصة - إلى ظاهرة تتصل بالتحليل السابق ، فالواقع أن انتهاء دور الرعي ثم الزراعة في المملكة ليس ظاهرة هينة بحال .. ولقد يبدو أن «البترول» قادر حالياً على إعالة جميع سكان المملكة بمستوى معيشة مرتفع ، ومن ثم .. يظهر وكأن لا حاجة هناك للعمل الانتاجي ، ويتحول المجتمع للاستهلاك وللعمل في الخدمات وتجارة الاستهلاك ، قد يبدو ذلك - وما يتداعى عنه - ممكناً .. ولكن إلى حين ، ولذلك ومنذ عام (١٩٧٠م) . فقد وضعت الخطط للتنمية قواعد الانتاج ، خاصة وأن قدرة البترول على تمويل «الصناعة والزراعة والرعي» .. لا تقل عن قدرته على إعالة مجتمع يتجه بسرعة للتحول إلى «مجتمع للاستهلاك» .. بل إن العمل على تحويل المجتمع للانتاج تمثل القاعدة - إن لم يكن الضمان - لاستمرار تلبية متطلباته الاستهلاكية بمستوياتها العالية الراهنة .



ثالثاً : التخطيط للتحضر والتنمية في المملكة (شكل ٣)

لقد سبقت الإشارة إلى دور التمويل في عملية التحضر المعاصرة في المملكة ، ولذلك فإن هذه العملية تكاد تتفق مع مراحل القدرة على التمويل كماً وكيفاً ، فهي قد بدأت ببطء بين عامي ١٩٣٨ - ١٩٦٠م .. متمشية مع مرحلة تراكم الموارد الرأسمالية وبناء الهيكل العام للاقتصاد ، ثم دخلت مرحلة الانطلاق بين عامي ٦٠ - ١٩٧٠م .. عندما وصل التراكم حداً يسمح باستثمارات وتوظيفات إنمائية واسعة النطاق ، ومنذ عام ١٩٧٠م بدأت مرحلة التخطيط مع تشعب الاستثمارات وتعدد الحركة الكلية لرأس المال .. ووصول الدولة إلى مرحلة القدرة على توجيه اقتصادها توجيهاً شاملاً من أجل المستقبل .. في إطار تصوراتها المحددة لهذا المستقبل ، ورغم أن تراكم الثروة لازم دائماً لعملية التحضر ، وهو ما تشته مراحل هذه العملية تاريخياً في أوروبا وغير من مناطق الحضرة الراسخة ، إلا أن حجم التمويل في السعودية كان من الضخامة بحيث اختزل عشرات السنين من التحضر التدريجي المطرد مع تراكم الثروة ، لقد اقتضى خروج أوروبا من إطارها الحضاري في العصور الوسطى قروناً من التطور .. بلغت ذروتها بما عرف في تاريخها بالثورتين التجارية والصناعية ، ولم يكن ذلك يسيراً بأي حال ، بل قد صاحبه من الحروب والمشاكل ما شغل عشرات من السنين ، غير أن خلاصة ذلك .. أن كل مرحلة كانت تؤدي للأخرى بواقعية ورسوخ ، بل لقد تباينت ظلال الحضرة الأوروبية في أنحائها بمقدار ما حققتها أجزاؤها من تطور في اتجاه التجارة والصناعة ، وتم الآن هذه العملية في المملكة في إطار من موارد الثروة التي لم تتح - ربما - لدولة واحدة من قبل بهذا القدر وبهذه السرعة ، غير أن للعملية أبعاداً أخرى غير التمويل ، ولعل أهمها ما يتصل بيزوغ المدن الحديثة ، ثم بخطوط الاحتكاك الفردي والاجتماعي بين القديم والجديد ، ثم بتطبيق مبدأ تنوع قواعد الاقتصاد .. وإنشاء قواعد الصناعة



(شكل ٢)

كانت أم رعية ، ولعل في تجربة انشاء المناطق الصناعية في «الرياض وجدة والدمام» ما يفيد في هذا المجال ، فهي بمثابة وضع الأساس لقيام وظائف مدنية حقيقية بها ، كما أن ارتفاع المستوى الفني لوظائف هذه المدن . . من شأنه أن يحدد من تيارات النزوح إليها ، فالثابت أن قطاعات الخدمات والبيع والشراء تقع في أدنى سلم المهارات الوظيفية ، وهي تجتذب النازحين لأن العمل يبدأ بها فوراً ولا يحتاج إلى إعداد طويل أو تدريب متخصص . . أما الصناعة وتجارة المؤسسات الكبيرة وشركات التبادل الحديثة والخدمات عالية المستوى . . فهي فضلاً عن كونها من علامات قوة المدينة ورسوخها ، فهي لا تجتذب إليها سوى العناصر ذات الكفاءة الخاصة ، أما العناصر الأخرى (غير الفنية) فسوف تواجه صعوبات كثيرة في الحصول على الأعمال والالتحاق بالوظائف ، ولا تقتصر نتائج ذلك على كم النازحين ونوعيتهم فقط . . بل تمتد أيضاً إلى مرافق المدينة وخدماتها ومساكنها ، وما تمثله الأعداد الكبيرة من النازحين عليها من ضغوط تفوق طاقتها الحالية والتخطيطية . . بل ويتعدى ذلك إلى التأثير في النواحي الجمالية للمدينة .

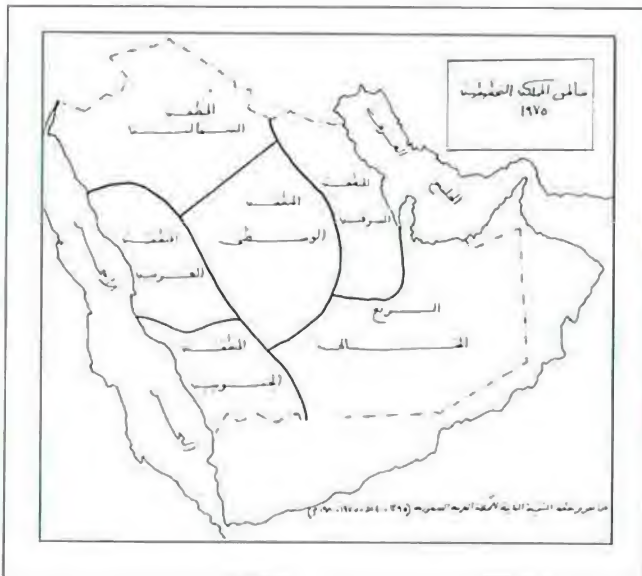
وليس من شك في أن حركة نزوح البدو الحالية في المملكة إلى مراكز الاستقرار المختلفة . . تمثل حركة سكانية بارزة لها أبعادها وخصائصها ، وهي تختلف تماماً عن تحركاتهم القديمة وراء الرعى أو انتجاعهم قرب مراكز الحضر ومناطق الريف أوقاتاً متفاوتة الطول ، فالهجرة الآن لها نقطة انطلاق ونقطة انتهاء محددة أشبه بالخط المستقيم ، أما البداوة القديمة فهي شبه دائرية من حيث عدم وجود نهاية محددة للحركة ، فساكن

وانعاش الزراعة والرعي في مناطقها كماً وكيفاً ، ولا شك أن بزوغ المدن يعد من أهم ظواهر التحضر وديناميات التنمية ، غير أن للمدن وظائفها غير مجرد تأدية الخدمات ، فقد ظهرت مئات من المدن في أوروبا إبان مراحل تحضرها ، غير أنها كانت إما مدناً صناعية أو مراكز للتبادل التجاري أو موانئ . . أو غير ذلك بدرجاته ومستوياته الوظيفية ، وقد اتضح من دراسة توزيع قوة العمل في معظم مدن المملكة الرئيسية أو البازغة . . أنها تتوزع أساساً - وبشكل متكرر متشابه بينها - بين أنشطة الخدمات بأنواعها وتجارة الاستهلاك جملة وتجزئة . . وفي قطاعات أخرى نامية مثل التشييد والبناء ، أما القطاعات الانتاجية (وأهمها الصناعة) . . فلا تستوعب سوى أقل النسب ، وقلما تزيد عن ٥٪ في أي مدينة منها ، بل إن النسبة الكبرى من ميزانية تنمية هذه المدن والمراكز الحضرية إنما ترصد لها من خارجها . . ضمن الميزانية العامة للدولة . . وهذا يعني آخر الأمر - ضمن ما يعنيه - أنها مدن خدمات حضرية أكثر منها مدن وظائف حضرية ، والثابت أن معظمها يحوز امكانيات «المدينة» سواء من حيث الموقع بالنسبة لمناطقها أو لشبكة المواصلات ، أو بحكم أنها قد استثمرت قبل غيرها - وليس هذا بالصدفة - معطيات الواقع الاقتصادي الجديد ، ولكنها تحتاج أيضاً - بعد ذلك - إلى أن تتحول إلى مدن الوظائف الحضرية ، ولن يكون التحول قسرياً ، فلكل مدينة منها ظروفها وامكانياتها ، سواء تلك المرتبطة بمزايا موقعها أو امكانيات موضعها ، والمرجح أن يمارس «البترو» دوره في مجال تحويلها إلى مدن الوظائف الحضرية . . كما مارسها من قبل في مجال بزوغها كمراكز للخدمة الحضرية ، وذلك بتشجيع مشاريع الصناعة في كل منها ، وتنمية اقتصاديات منطقتها زراعية

الاستقرار هو في نفس الوقت نقطة حركة لمكان آخر ، غير أن الأهم من شكل الحركة مضمونها ، فالبداءة تمثل كياناً اجتماعياً متكاملأ .. له نظمه وقيمه وخصائصه وعلاقاته وتصورات ، ولم تكن تحركاتها السابقة تحمل أي تغيرات لمقومات هذا الكيان المادية وغير المادية معاً ، أما الهجرة الحالية للبدو ، فهي تعني التخلص بدرجة أو نهائياً من اطار البداءة ، والدخول في كيان اجتماعي جديد له قوانينه وظروفه وقيمه وعلاقاته فضلاً عن اقتصاده ، وتحمل الهجرة الحالية معنى النزوح الفردي .. ومن هنا فالتغير حتمي سواء بالنسبة للمجتمع البدوي .. حيث يتناقص عدد أفراد مع ما يتداعى عن ذلك من نتائج ، أو بالنسبة للمجتمع الحضري .. بما يضاف إلى كيانه من نوعيات مختلفة .. وبما يمثله من بوتقة لتفاعل النازحين ، أو بالنسبة للفرد ذاته وما يتعرض له خلال فترة التكيف ، والواقع أن البداءة بمعناها الاجتماعي قد لا تعني عدم الاستقرار بالضرورة ، فالاستقرار لدى البدوي يتحقق من خلال الكيان الاجتماعي .. فهو مستقر في كيان متحرك ، وبمعنى آخر .. هناك في البداءة استقرار اجتماعي مصحوب بعدم استقرار جغرافي ، فالاستقرار لدى البدوي لا يعني استقراراً في المكان (جغرافياً) .. بل هو استقرار في القبيلة أو العشيرة (اجتماعياً) .. فالقبيلة أو العشيرة هي وطن البدوي .. ومن هنا .. فإن ما يحدث في هجرة البدو الآن إلى مراكز الاستقرار .. يتضمن تحوله عن معنى الاستقرار القديم الراسخ في نفسه ، واستبداله بنوع آخر يتضمن استقراره في المكان والمجتمع الجديدين معاً ، وأن يقيم علاقاته مع أفراد جدد ، ربما يمتزجون بمثل تجربته .. أو مروا بها فعلاً .. أو لم يتعرضوا لمثل تجربته أصلاً ، وفترة الانتقال هذه هي أصعب الفترات ، لأن البدوي عندما يهاجر يكون - غالباً - قد ألقى جميع أسلحته ، تخلّى عن قبيلته (الأمان الاجتماعي) ، وفقد حيوانه (الأمان الاقتصادي) ، وانضم أعزلاً لمجتمع جديد .. غير أنه لم يتخل بعد عن عقله ونفسه .

ويواجه النازحون عديداً من مستويات التكيف في أوطانهم الجديدة ، وتشمل التكيف المادي Physical adjustment مع السكن والملبس والغذاء ورحلة العمل اليومية ، والتكيف الاقتصادي Economic adjustment .. مع الوظيفة ونوع العمل والأجر ونظم العمل وممارسته ، والتكيف الاجتماعي Social adjustment مع العلاقات الجديدة والأفراد والمؤسسات ، والتكيف الفكري Ideological adjustment مع الأفكار والمعلومات والثقافات ، وتظهر خطوط الاحتكاك بين القديم والجديد في المدن والمراكز الحضرية .. كما تظهر في الريف والبادية ، فهناك أنماط من العلاقات والتنظيمات الاجتماعية (القبيلة في البادية ، والقرية في الريف) ما تزال تواجه مشاكل التحضر المعاصرة ، إما على شكل تخلف ثقافي Cultural lag أو على شكل مشاكل التكيف النفسي والمادي والفكري والاجتماعي ، ولقد تجلّت هذه المشاكل حين واجهت التنظيمات الاجتماعية والمنظمات التقليدية حالة تختلف تماماً عما

استمرت عليه قروناً متطاولة ، وتمثلت أخطر أبعاد هذه الحالة في هجرة أفضل عناصر البادية والريف من شبابها الذكور .. مما أدى إلى تدهور قوة العمل بها ، ثم إن هذه العناصر ذاتها واجهت موقف التكيف مع مجتمعات حضرية لم تتعود طرق حياتها ، ثم إن هذه المجتمعات الحضرية ذاتها قد واجهت موقفاً تكثفت فيه بها عناصر سكانية طارئة لها ارتباطاتها التقليدية بمناطقها الأصلية .. وهذه - وغيرها - تمثل في مجملها مشاكل التحضر الاجتماعية ، ولقد أدت برامج التنمية الاجتماعية .. ومشروعات تأسيس التجهيزات الأساسية للتنمية الاقتصادية في الريف والبادية .. إلى التخفيف نسبياً من حدة المشكلات المترتبة على مثل هذه المواجهة لمواقف بهذه الكيفية ، خاصة عندما بدأت عملية التحضر تتخذ صيغة نقل نمط الحياة Mode of life الحضرية إلى الريف والبادية ، ولم تعد هذه الصيغة - كما بدأت - مجرد حركة نزوح تلقائية وتورم حضري فوق الحد .. وقد اتبعت صيغة نقل طابع الحياة الحضرية وسائل شتى ، أهمها التعليم والمواصلات والخدمات وذلك في اطار « البلديات » التي توزعت في جميع مناطق المملكة .. وقد أدى ذلك - ضمن ما أدى إليه - إلى تقصير مدى النزوح .. كما أن التمرس التدريجي على أساليب الحياة الحضرية قد قلل من حدة المواجهة بين الحياة في الوطن الأصلي ريفاً أم بادية .. وبين الحياة في المراكز الحضرية ، ويظل قائماً ضرورة تدعيم ذلك اقتصادياً بواسطة مشروعات انعاش الريف والبادية ، لكي يتسق قدر الامكان الوسط الحضري الاقتصادي بينهما وبين المراكز الحضرية .



(شكل ٣)

وهنا تجدر الإشارة إلى برامج توطین البدو في المملكة .. باعتبارها من أهم اتجاهات التنمية الاجتماعية والاقتصادية بها .. كما أنها تتصل اتصالاً مباشراً بعملية التحضر الجارية الآن .. وهي البرامج التي ترمي أساساً إلى القضاء على ظاهرة الترحل التاريخية .. وذلك بإنهاء أسبابها . والثابت أن البداوة الخالصة ظاهرة نادرة في المملكة ، والشائع أن يراوح البدو بين الترحل والاستقرار في دورة حياتية منتظمة .. أو شبه ذلك . وتتفاوت مدى الترحل ومدة الاستقرار مكانياً وزمانياً من منطقة إلى أخرى ، وبهذا فإن الاستقرار ليس بظاهرة مستحدثة بين البدو ، وكل ما تطمح إليه مشروعات التوطین هو إطالة مدة الاستقرار إلى الحد الذي يصبح فيه استقراراً كاملاً ، وذلك بانعاش عوامل الاستقرار الايكولوجية وإنهاء أسباب الترحل بها .. والواقع أن الاتجاه نحو التوطین الزراعي يمثل عودة للنسيج الايكولوجي الاقتصادي الطبيعي في المملكة ، ولكن في ظل امكانيات أوسع ووسائل لم تكن متاحة على الإطلاق من قبل ، وقد لا يقبل مصطلح **التحضر** بمعناه الغربي اعتبار المناطق الزراعية حضراً استناداً على عامل الاستقرار وحده ، غير أن الاستقرار في بيئة مترحلة هو في حقيقته مستوى من التحضر أو درجة من درجاته ، خاصة وأن للاقتصاد الزراعي ظواهره الحضرية التي لا يمكن تجاهلها .. حتى بالمعنى الغربي للتحضر ، فلهذا الاقتصاد - إذا توافرت الامكانيات المناسبة - أسواقه ومدنه وشبكة مواصلاته ومحطاته ، ومن هذه الزاوية .. فإن التحضر بالزراعة (الاستقرار) هو بحق أحد اتجاهات التحضر الرئيسية الحالية في المملكة .. وتشير التقارير الميدانية لبعض الشركات العاملة في مجال التنمية الزراعية في المملكة وعلاقتها بتوطین البدو بالزراعة .. إلى وجود احتمالات بدرجات متفاوتة في مناطق المملكة لمثل هذه التنمية .. بحيث يمكن مضاعفتها تقريباً في المملكة ككل ، وتقرر أن التنمية الزراعية وتحضير البدو بالزراعة من أهم وسائل الحد من تدفق الأيدي العاملة نحو مناطق انتاج البترول والمراكز الحضرية .. وإيقاف تفريغ البادية من سكانها ، واستثمار قواها العاملة في أعمال إنتاجية .. بدلا من تسربها إلى أعمال الخدمات أو استقرارها في أسفل سلم المهارات الوظيفية في قطاع البترول ، ومن **زاوية إيكولوجية** .. فإن الزراعة في مجال دراسة التربة وتحليل المياه الجوفية والكشف عن خزاناتها العميقة ، واستثمار منجزات الزراعة العلمية من البذار للحصاد .. ومن **زاوية اجتماعية** .. فهي تمثل الحل الوسط لنزوح البدو ، حيث لا يحتاج التحول من حياة البادية إلى الحياة الحضرية ومن **زاوية اقتصادية** فاللاحظ أن المملكة قد أصبحت تستورد معظم احتياجاتها الغذائية من الخارج .. فنظراً لارتفاع الدخل القومي وتزايد السكان .. فإن معدل الزيادة في استهلاك المواد الغذائية يشهد ارتفاعاً سنوياً يقدر بنحو ٥,٢٪ سنوياً (بين ١٩٧٠ - ١٩٧٥ م) ، وذلك بالنسبة لعدد من السلع الغذائية والزراعية الهامة ، وبلغت جملة المواد الغذائية المستوردة نحو ٥٥٪ من مجموع المواد الغذائية اللازمة .. ويمكن للتنمية الزراعية أن تسد جانباً من هذه الاحتياجات ، كما أن لها نتائجها بالنسبة لاعادة توزيع السكان ، والتخفيف من تضخم المدن

الرئيسية في المملكة من ناحية الحجم ، والايقاف من الاتجاه السكاني الحالي نحو التركيز في مدن كبيرة الحجم .. تفصلها فراغات سكانية كاملة أو شبه كاملة ..

ولا شك أن من أهم أهداف التنمية الزراعية وبرامجها المختلفة هو العمل على توطین البدو .. كمرحلة أولى في اتجاه التحضر ، ومن هنا يجدر النظر إلى «التوطین» كعملية انشائية تتضمن تغييراً في الظروف الطبيعية واستغلاله اقتصادياً ، فهو يتجاوز بأهدافه عملية التهجير البسيطة التي لا تستهدف أكثر من نقل السكان من مكان إلى مكان ، وقد يتضمن التوطین التهجير أحياناً ، وذلك في حالة قلة الموارد القابلة للتنمية في البيئة المحلية ، غير أن غايته الأساسية هي القضاء على الترحل .. وتكثيف المرحلين في مراكز استقرار مرتبطة بموارد اقتصادية غير قابلة للنضوب ، فهو نوع من المواجهة لعملية تفريغ منطقة من سكانها تحت ظروف جذب قوية من خارجها ، خاصة إذا ما نتج عن عملية التفريغ مشاكل اجتماعية وسكانية وحضرية متفاقمة ، ولذلك .. فلا بد وأن يتضمن التوطین التنمية الاقتصادية والاجتماعية للبيئة المحلية ، ودراسة واسعة للموارد الممكنة والمتاحة ، والتعرف على الحالة الحضارية للمجتمع المحلي ، ولأن التوطن يتضمن قيام علاقات إنتاج جديدة ، سواء في أسلوب العمل أو في طريقة الحياة ، وحتى لا يتعرض المجتمع إلى انقطاع الاستمرار في قيمه ونظمه الحضارية ، وفي نفس الوقت عليه أن يتطور في اتجاه المعطيات الجديدة ، خاصة ما يتصل منها بمفهوم الملكية وتراكم الثروة والعمل الفائض ، وبالأخص ما يتصل منها باكتساب المهارات اللازمة - من خلال التدريب - للعمل الجديد ، وتعد مرحلة التكيف الحضاري أهم مراحل التوطین .. لأنها تمثل حالة الانتقال من القديم إلى الجديد ، ولقد يتاح رصد الميزانيات الضخمة لعملية توطین البدو .. ، غير أن مشكلة التوطین الأساسية ليست الجانب المادي وامكانياته فحسب ، بل الجانب الحضاري الاجتماعي أساساً .

وهكذا تأتي تنمية الاقتصادين الريفي والرعوي .. وإنشاء أساسات الاقتصاد الحضري (الصناعة) .. بمثابة وضع مبدأ تنوع قواعد الاقتصاد في المملكة موضع التنفيذ ، كما أنها تعد الخطوات الحقيقية في اتجاه تحضرها المعاصر ، وداخل هذا الاطار تندمج عمليتنا التنمية والتحضر ، وكأنها عملية واحدة .





نحن ولغتنا

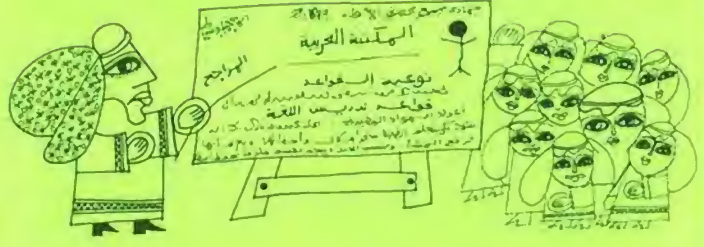
مشكلة العربية: اللغة.. أم الأمة؟

بقلم: د. محمود اسماعيل صيني

تغيير نظام الكتابة إلى حروف لاتينية أو بالتخلص من حركات الإعراب ولا باستبدال الفصحى بالعامية ولن نحل المشكلة بتوجيه النقد المؤذب أو اللاذع إلى الطلاب أو المدرسين أو الكتاب وسائر المثقفين. فالمشكلة أعقد من ذلك، ويمكننا أن نلخص عناصر هذه المعضلة في النقاط التالية:

١ - نظرة المجتمع الخاطئة إلى مسؤولية استعمال اللغة السليمة واعتبارها من شأن علماء اللغة ومدرسيها والأدباء والعاملين في الإذاعة أو التلفاز، ولذلك نسمع العبارة المتكررة من أفواه المثقفين وهي تطلب المذرة إذا أخطأوا في لغة محاضراتهم أو أحاديثهم «حيث إنهم ليسوا متخصصين في اللغة العربية»... وهذه النظرة ليست مؤسفة فحسب بل هي خطيرة جداً لما لملل هذه الفكرة من آثار سيئة على لغة مثقفينا وعلمائنا، وهي إلى جانب ذلك نظرة غريبة، حيث أن المثقفين في أي بلد من بلدان العالم المتطور لا يلجأون إلى مثل هذه الاعتذارات لأنهم يعلمون أن اللغة السليمة يجب أن تكون أول

هناك حقيقة لا يجهلها أحد منا وهي أن مشاكل عديدة تواجه العرب ولغتهم وأهمها هو ذاك الجفاء الذي تعاني منه اللغة العربية والجفوة التي يحس بها معلمو اللغة العربية من طلابهم تجاه هذه اللغة الجميلة. وقد تحدث عن هذا المتحدثون وناقش الأمر المناقشون ولكن الأسئلة لا زالت تتردد في خاطر كل مفكر عربي والأمور لا زال يحز في نفوس المخلصين للغة العربية مما تعانيه هذه اللغة من أبنائها طلاباً ومعلمين وكتاباً ومفكرين، ونحن حينما نسأل أنفسنا «لماذا هذا الضعف العام؟»... لا نجد جواباً شافياً له، وسر الصعوبة في الإجابة على هذا السؤال هو أنه ليس من جواب واحد ولا عامل وحيد يمكننا أن نحمله المسؤولية أو فرد نستطيع أن نلقي بالبعة على كاهله فلا أظن أن نظام الكتابة بفرده أو صعوبة النحو (القواعد) أو مدرسة الكوفة أو البصرة أو زيد أو عمرو مسؤول عن هذه المعضلة، ومن ثم لا أظن أننا سنحل المشكلة بمجرد



المعدة للاطلاع العام ويرجع إليها غير المتخصصين في علوم العربية وآدابها من كتب مبسطة في النحو أو الصرف أو أصوات اللغة أو مفرداتها، ونلاحظ أنه حتى لو توفر بعض من هذه المراجع فقلة قليلة من مثقفينا يبذل مجهوداً في اقتنائها أو استشارتها، ولتوضيح هذه النقطة أكثر نذكر أنه لا تخلو أية مكتبة في المنزل أو المكتب خاصة أو عامة في بلاد العالم المتحضر التي زرتها من معجم أو أكثر يرجع إليها الأستاذ والعالم والطبيب والمدرس والتلميذ والموظف، بل وحتى الناسخة على الآلة الكاتبة... فنسأل: كم من مثقفينا سمع عن -ولا أقول اقتنى واستعمل- المعجم الوسيط مثلاً أو القاموس المحيط أو لسان العرب أو فقه اللغة للشعالبي؟... بل كم منا يعرف كيف يبحث عن كلمة ما في أي من هذه المعاجم؟

أما بالنسبة للمراجع العامة -وبذلك أستثني المراجع الخاصة بخبراء اللغة وعلومها-، فإننا نجد أن المكتبة العربية تكاد تخلو منها بيتاً تزخر لغات العالم الغربي بمئات المراجع التي ألّفت للدراسة الفردية وليرجع إليها غير المتخصصين حتى لبحار المراء في التفضيل بينها.

ب - قواعد تدريس اللغة

نوعية القواعد التي يطلب إلى التلاميذ دراستها في المدارس: فكثير من المواد المقدمة للطلاب لا تمت إلى حاجتها ودوافعهم بصلة مباشرة أو حتى غير مباشرة أحياناً، ومن ذلك الاصطلاحات الكثيرة التي يطلب إلى التلميذ حفظها عن ظهر قلب. (مثلاً لكي يتعلم الطالب استخدام كان وأخواتها ويعرف أنها ترفع المبتدأ وتنصب الخبر يجد نفسه ملزماً بحفظ اصطلاحات كثيرة مثل: الفعل الناقص، والفعل الناسخ، وأفعال الرجاء والمقاربة، والشروع... الخ مما يضيع على الدارس الهدف من قاعدة بسيطة كهذه)... ثم هناك الأبواب الخاصة بأمور نظرية بل وتاريخية أحياناً، كالإبدال والإعلال مثلاً، والأمنلة على هذا أكثر من أن نحصى في مقال كهذا.

علامة مميزة للثقافة والمثقفين وعنواناً للحضارة والتحضر (حتى أن علماء اللغة في البلاد الغربية يؤكدون أن اللغة الرسمية هي لغة المثقفين من أبنائها).
٢ - ولكن لومنا هذه الفئات من المثقفين يجب أن لا ينسبنا أن الأمر لا ينتهي عند هذا الحد، فلنا أن نسأل: لماذا يضطر كثير من المثقفين إلى مثل هذه الاعتذارات؟، فهم لا شك مسؤولون عن أخطائهم اللغوية إلى حد ما ولكن هناك عوامل أخرى جديرة بالدراسة ومنها ظاهرة الازدواج اللغوي الحاد في العالم العربي نظراً للاختلاف الكبير بين اللهجات المحكية واللغة الرسمية (الفصحى) على مستوى النحو والصرف بوجه خاص والمفردات والأصوات بوجه عام، أضف إلى ذلك خلو الكتابة اليومية من الشكل وصعوبة قواعد الفصحى نتيجة كونها تسجيلاً لتلك القواعد إبان أوج النضوج اللغوي للغة العربية الأدبية قبل ما يربو على القرون العشرة وتأثر ذلك التسجيل بالفلسفة والمنطق واعتماده على لغة الشعر إلى حد كبير.

٣ - مرة أخرى لا تعفينا أمثال هذه الأمور من مسؤولية الضعف العام الذي نقاسي منه لأن السائل يستطيع أن يقول عفاً لنفرض أن قواعد اللغة الفصحى معقدة كما تقول فهناك علوم ومعارف كثيرة لا تقل صعوبة عنها ومع ذلك نجد الناس عرباً وغير عرب يتعلمونها ويجيدونها على أحسن ما تكون الاجادة، كيف تم ذلك؟، للإجابة على ذلك نقول إن هذا صحيح وقد أشار الدكتور طه حسين إلى ظاهرة تعلم الغربيين للغات مئة أمثال اللاتينية واليونانية القديمة... إذاً هناك عوامل أخرى لا بد أن نأخذها بعين الاعتبار وهي:

١ - المراجع المبسطة في اللغة

ندرة المراجع المبسطة في اللغة وقواعدها وعدم تعود عامة العرب الرجوع إلى مثل هذه المراجع اللغوية من معاجم وكتب في النحو والأساليب: فالعرب على الرغم من اهتمامهم بالكلام وفنه -كما يقال- لم يخدموا اللغة الفصحى في عصورهم المتأخرة كما يجب، ولا أدل على صدق كلامنا هذا من العجز الكبير الذي نقاسي منه المكتبة العربية في الكتب اللغوية الحديثة



ج - طرائق التدريس

طرائق تدريس اللغة العربية وتدريب قواعدهما بشكل خاص : فبالرغم من التقدم العالمي الملحوظ في أمثال هذا المجال فإن تدريس اللغة العربية لا تزال طرائقه في حاجة ماسة إلى تطوير أكثر، ذلك التطوير المبني على ما جادت به البحوث اللغوية التطبيقية من خبرات وأفكار جديدة في دراسة المقررات اللغوية وطرائق تدريسها والوسائل السمعية والبصرية المختلفة بما في ذلك أجهزة السماع كجهاز التسجيل والهاكي والمذياع ، أو الوسائل البصرية كالصور الثابتة أو آلات العرض على الشاشة الفضية ومواد العرض الثابتة والمتحركة ، ثم السمعية البصرية كالصور المتحركة الناطقة سواء منها ما يثبت على شاشة التلفاز أو يعرض على الشاشة الفضية .

وجدير بالذكر أن المشكلة الأساسية ليست توفير هذه الأجهزة بل الأهم من ذلك هو :

- أولاً : إعداد المواد المفيدة ابتداء من الصور الحائطية والبطاقات وانتهاء بالبرامج المصورة والناطقة والمواد المبرجة .
- ثانياً : تدريس المدرسين على استخدام هذه الوسائل بطريقة جديدة ومثمرة .

وهاتان المشكلتان الأخيرتان لا تزال تقاسي منها حتى الدول الغربية ولكن بشكل أقل حدة منا نحن العرب .

وقد يسأل سائل : ولكن ما قيمة كل هذه الوسائل ؟ الجواب هو أننا نريد أن نحقق شيئاً أساسياً واحداً من تعلم اللغة وهو تمكين الطالب من استخدام هذه اللغة الفصحى بطريقة سليمة - سواء كان ذلك في المجال الشفهي أو المكتوب - ونريد كذلك أن نحاول تحقيق هذا الهدف بأقرب الطرق وأيسرها بل وبطريقة مشوقة إن لم تجذب الطالب فهي على الأقل لا تنفره كما يحدث أحياناً في وضعنا الحاضر للأسف .

د - التمرين على استعمال اللغة

وتدريس اللغة العربية يعاني كثيراً من تشتيت الجهود في دراسة أشياء قد لا تسهم بجد في تدريب الطالب على تطور ملكته اللغوية فإعرااب الجمل والتعرف على العامل والمعمول والفاعل أو الخبر المقدّر وما شابه . . كثيراً ما يضيع وقتاً من الأجدى أن يستفيد منه الطالب في التدرب على استعمال اللغة السليمة والتمرين على التطبيق الشفهي والمكتوب للقواعد الأساسية .

قلة فرص التمرين على استعمال اللغة الصحيحة ، تقع مسؤولية هذه المشكلة على عوامل عدة منها :

- أولاً : طريقة وظروف تدريس اللغة العربية فالمنهج أحياناً لا يعطي الفرصة للتدريب المركز للطالب وحجم الفصول وأعباء المدرسين لا تسمح لدرس اللغة أن يعطي طلابه الفرص الكافية للتدريب على اللغة سواء في الفصل أو في خارجه ، وحتى الكثير من وسائل الإعلام المكتوبة والمسموعة والمرئية تساعد على حرماننا من فرصة التدريب على الفصحى حينما تلجأ هذه الوسائل إلى استعمال العامية أو الفصحى المليئة بالأخطاء الفادحة .

- ثانياً : نظام الكتابة الحاضر كثيراً ما يسمح للكاتب أو القارئ أن يقلت من مسؤولية الاستعمال الصحيح للغة حيث إن الكلمة غير المشكلة قابلة للنطق بطرق مختلفة - على العكس من الكلمة التي تظهر الحركات القصيرة فيها ، فإنها تفضح أخطاء الكاتب وقد تضطره إلى تحري الدقة فيما يكتب كما أنها تعين القارئ على القراءة الصحيحة - ، ومن ثم فإن الغالبية العظمى منا تكتب وتقرأ الكثير ولكننا قليلاً ما نضطر إلى الكتابة الصحيحة إعراباً أو نقراً قراءة صحيحة من حيث الإعراب بعد أن نخرج من درس اللغة العربية - وحتى هذا الدرس كثيراً ما يستخدم فيه المدرس والطالب اللهجة العامية - ، ومن ثم يسود الاعتقاد بأن الكتابة والقراءة أو النطق الصحيح هو شغل المذنب ومدرس اللغة العربية والأديب والخطيب فقط ، كما أشرنا في بداية هذا المقال .

بادية الدهناء

مسح جغرافي يرتكز

معارفها ومنكراتها من شعر «ذي الرمة» فذلك أمر يطول شرحه ، ولكن حسبنا تحديد الملايح العامة وما يتصل برمال الدهناء من الشمال والجنوب :

(١) ذكر ذو الرمة من معالم «الدهناء» في أقصى الشمال «الوحيد» ويقع عند التقاء «الصمان» بالكتبان الرملية الحمراء من رمال الدهناء ، وهو المنزل الذي كانت تقيم فيه «ميرة» حبيبة «ذي الرمة» كل شتاء حيث تتجمع في جانب منه مياه الأمطار ، وفيه التقى «ذو الرمة بميرة» أول لقاء :

تميمية ، نجديّة ، دار أهلها

إذا موه الصمان من سبل القطر

ويلتقي «بالوحيد» جبل طويل من رمل هو «أمل القراف» .

يقول الراعي النخري :

مهاريّس لاقت بالوحيد سحابة

إلى أمل العراف ذات السلاسل

وقريب من الوحيد مكان ملتصق به يعرف «بحوضي» وفيه مسجد بناه رسول الله ﷺ أثناء مسيره إلى تبوك . ومن «حوضي» كان يشرف ويحاول تحديد مسير الطعائن وفيهن «مي» :

فأشرفت الغزالة رأس حوضي

أراقبهم وما أغنى قبالا

كأن أشهل العينين باز

على علياء شبه فاستحالا

وقريب من «حوضي» و«الوحيد» في الشمال أيضاً من الدهناء توجد أرض «حزوى» و«خفان» وهما كما قال «الأحول» موضعان قريبان من السواد بالعراق^(٢) . يقول ذو الرمة :

أداراً بحزوى هجت للعين عبرة

فماء الهوى يرفض أو يترقرق

ويشير إلى أن «حزوى» يقابله مكان آخر هو «الزرق» الذي يتمنى أن يعمّه المطر وهو يدعو لدار ميرة بالسّقيّا ، ويتحسر على الفراق . ومفهوم شعر ذي الرمة أن «الدحل والقرنية» ، واللوى ، والجرائر ، كلها مواضع متقاربة من «حزوى» .

وفي نفس المنطقة توجد «وقبتين» التي يصف فيها سير الشور الوحشي ، وتحركه إلى ناحية الخضرة ، كما توجد «الخلصاء» وهي أرض

«الدهناء» كما حدد موقعها جغرافيو العرب القدماء أرض تقع فيما بين البصرة واليمامة في طريق البصرة الجنوبي إلى مكة المكرمة ، يخرج السائر من البصرة على طريق المنكدر لمن أراد مكة فيسير إلى «كاظمة» ثلاثاً ، ثم إلى «الدو» ثلاثاً ثم إلى «الصمان» ثلاثاً ، ثم إلى «الدهناء» ثلاثاً^(٣) ، وهي تقترب أشد الاقتراب من منطقة «الأحساء» الشرقية ، يمتد طولها من خزّن «ينسوعة» شمالاً إلى رمل «يبرين» جنوباً ، ويتصل بها من الشمال رمل «عالج» عندما يسمى «بزود» وهو الرمل الذي يحيط بأكثر أرض العرب ، والذي ينقطع طرفه من دون الحجاز ، حجاز وادي «القرى وتيما» ، ويتصل بها من الجنوب الغربي أرض «اليمامة» وكان يسكنها بطون «تميم» ، وضبة ، وعدي ، ويشكر ، وقشير ، وجمدة^(٤) .

واسعة مخيفة ضربوا بها المثل في السعة فقالوا : أوسع من الدهناء وفي هذا الاتساع تتمثل خطورتها .

قال الهمداني : ذهب في «صيهّد» - بأرض اليمن - بعهدنا قطار فيه سبعون جملاً من الحاج صادقين من «نجران» كانت في أعقاب الناس ، ولم يكن فيهم دليل ، وأصبحوا قد تياسروا عن الطريق ، وتمادى بهم الجسور حتى انقطعوا في الدهناء فهلكوا^(٥) .

وقال أبو منصور : و«الدهناء» من ديار بني تميم ، وهي سبعة أحبل - بالحاء المهملة - من الرمل في عرضها ، والحبل منها يكون ميلاً وأكثر من ذلك ، وبين كل جبلين شقيقة ، والشقيقة ربما كانت فرسخاً عرضاً ، وهي أرض تقع بين الجبلين ، ليس بها من الرمل شيء ، هجول^(٦) ، وأكثر شجرها العرفج ، وهي من أكثر بلاد الله كلا ، وإذا أخضبت «الدهناء» أريعت العرب جميعاً لسعتها وكثرة شجرها ، عذاة ، نزهة ، من سكنها لا يعرف الحُمى لطيب تربتها وهوائها^(٧) .

وقالوا : في سبب تسميتها بالدهناء : إن ذلك يرجع إلى اختلاف النبات والأزهار في عرامها ، وذلك أخذاً من تفسير قوله تعالى : ﴿ فكانت وردة كالدهان ﴾ حيث شبهها في اختلاف ألوانها بالدهن ، أو الأديم واختلاف ألوانه .

الدهناء

هذه الدهناء نشأ على أرضها الشاعر «ذو الرمة» فعشق رمالها وكتباتها وذكرها في شعره ، ولسنا هنا في مجال رسم خريطة كاملة للدهناء

عاش الشعر القديم

بقلم : د. محمد عبد المنعم خاطر

في ديار « بني يشكر » كانت فيها مضارب قوم « مي » .

(٢) فإذا ما انتقلنا إلى أسفل « الدهناء » من ناحية الجنوب وجدنا « القلات » و « شارع » ، وهما موضعان في ديار بني تميم ، وإليهما اتجهت مضارب قوم « مي » حبيبة ذي الرمة . يقول ذو الرمة :

ألا ليت أيام القلات وشارع
رجعن لنا ثم انقضى العيش أجمع

ويقول مالك بن نويرة :

فجتمع الأسدام من حول شارع
فروى حبال القريتين فضلفنا

وقريباً منها في أسفل « الدهناء » (قسا) وهو الموطن الأصلي لذي الرمة وفيه عرف « أميمة » قبل أن يعرف « مية » . يقول ذو الرمة :

تغير بعدي من أميمة شارع
فصنع قساً فاستبكي أو تجلدا

ويقول :

ولكنني أقبلت من جانبي قساً
أزور امرأ محضاً نجيباً يمانيا
وقريباً من قساً أو من حذائه توجد واحة « يبرين » في الجنوب الشرقي من الدهناء^(٧) . يقول ذو الرمة :

إليك أمير المؤمنين تعسفت
بنا البعد أولاد الجدِيل وشدقم
نواشط من يبرين أو من حذائه

من الأرض تعمى في النحاس المحرم
كما يوجد في نفس المنطقة « نعف الأجرع »^(٨) وهو مكان قريب من القلات وشارع . يقول ذو الرمة :

قلت لنفسي حين فاضت أدمعي
يا نفس لاقِيْ ثُوبِي أو دعي
ما في التلاقي أبداً من مطمع
ولا ليالي شارع برُجُوع ..
ولا ليالينا بنعف الأجرع
إذ العصا ملساء لم تصدع

و « نقي الزرق » ، و « حومانة الزرق »^(٩) ، و « الهدملة » وهي موضع تنسب إليه حروب كانت في الأيام الغابرة ، والعرب تضرب مثلاً

للأمر الذي تقادم عهده فتقول كأن هذا أيام الهدملة . قال كثير عزة :

كأن لم يدمنها أنيس ولم يكن
لها بعد أيام الهدملة عامر

قال الأحول :

الهدملات : أكتبة بالدهناء وأنشد لذي الرمة :

ودمنة هيجت شوقي معالمها
كأنها بالهدملات الرواسم^(١٠)

وبين الشمال والجنوب تتناثر أماكن أخرى جاءت في شعر ذي الرمة هي « السبية » ، وجرعاء السبية ، والمعاء ، وسهل المعاء ، وفتاخ ، والرمادة ، ورحا جابر ، وبرقة الثور ، والشعلبية ، وذو الأرطى ، ومحل الخوامين ، وبطن مشرف ، وعوج اللهام ، وذو الرمث .. وغيرها .

وذكر ذو الرمة من جبال الدهناء - بالحاء المهملة - الفوارس ، وهو جبل رملي ، كما ذكر من مياه الدهناء « عين أثال » ، وهي قريبة من ذي الفوارس . يقول ذو الرمة مصوراً اتجاه وهدف قطع الحُصْر الوحشية :

والهم عين أثال ما ينازعه
من نفسه لسواها مورداً أرب

والوشيج : يقول مصوراً مسير الظمائن :

فأصبحن يهدن الحدر بسدفة
وقلن الوشيج الماء والمتصيف

إلى غير ذلك من تلك الأماكن الكثيرة المتناثرة التي حاول ذو الرمة أن يحدد معالمها وهو يعتسف الفلاة من الشمال إلى الجنوب ومن الشرق إلى الغرب .

(١) معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع ج ٢ ص ٥٦٦ .

(٢) السابق ج ٣ ص ٩١٤ .

(٣) السابق نفس الصفحة .

(٤) هجول : جمع هجل وهو المظلم من الأرض يكون موطنه صلباً .

(٥) لسان العرب ج ١٧ ص ٢٠ .

(٦) معجم ما استعجم ج ٤ ص ١٣٨٤ .

(٧) معجم ما استعجم ج ٣ ص ٧٧٥ .

(٨) النعف : ما انحدر عن السطح وغلط وكان فيه صعود وهبوط .

(٩) الحومانة : القطعة الغليظة من الأرض .

(١٠) معجم ما استعجم ج ٤ ص ١٣٤٩ .

حضارتنا بيت العقيدة.. والتطور

بقلم: د. محمود بن الشريف

«من عاش في هذا الكون خلواً من العقيدة كان فيه كالريشة الطائرة في مهب الريح بغير قرار ..»
عباس العقاد

﴿ قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد ﴾ . وجعل الصلة بين المخلوق والخالق صلة مباشرة لا تحتاج إلى كاهن أو وسيط أو شفاعة يحتكرها ولي أو قديس ، قال تعالى : ﴿ وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي لعلهم يرشدون ﴾ .

والعقيدة الإسلامية أشعرت الإنسان بموقفه من أخيه الإنسان ، ومن بني جنسه من البشر ، وبوحدة الجنس البشري فغيرت نظريته السالفة ومشاعره التي كان يشعر فيها بانتمائه فقط إلى قبيلته وعشيرته وقومه ، وبذلك أخذت بيد الإنسان إلى تكوين مجتمع إسلامي إنساني تلتقي فيه القبائل والشعوب على أساس من المساواة والكرامة الإنسانية .

ووجهت العقيدة نظر الإنسان إلى الكون وجعلت الكون كتاباً للمعرفة ومحراباً للفكر والنظر والتأمل والاعتبار وأبانت للمتأمل بناء الكون وتصميمه وما يقوم عليه من وحدة وتناسق ونظام ﴿ لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل في فلك يسبحون ﴾ ، ﴿ الله الذي رفع السموات بغير عمد ترونها ثم استوى على العرش وسخر الشمس والقمر كل يجري لأجل مسمى يدبر الأمر يفصل الآيات لعلكم بلقاء ربكم توقنون وهو الذي مد الأرض وجعل فيها رواسي وأنهاراً ومن كل الفرات جعل فيها زوجين اثنين يغشى الليل النهار إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون ﴾ .

للعقيدة أثر في السلوك الإنساني وفي التقدم الحضاري ، فضلاً عن دورها في علاقة المؤمن بربه وأخذها بيد الخلق نحو الخالق .
وبما لا مرأى فيه أن العقيدة الإسلامية قد كونت إنساناً لا عهد للبشرية به من قبل .. ولأجل أن نلقي مزيداً من الضوء على تلك القضية علينا أن نرجع إلى الأجواء التي سبقت ظهور تلك العقيدة حتى ينكشف لنا أثر هذه العقيدة في الإنسان والإنسانية .
فالعالم قبل انبثاق هذه العقيدة ، كان قد ساد فيه الفساد وانتشر فيه الظلم ، وأهدرت فيه الكرامة الإنسانية ، واضطربت فيه موازين الأخلاق ولم يكن للعقيدة السليمة الصحيحة وجود .

وأصبح العالم وكأنه غابة تسودها شريعة الغاب شريعة الخلب والنباب ﴿ أو كظلمات في بحر لجي يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب ظلمات بعضها فوق بعض إذا أخرج يده لم يكد يراها ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور ﴾ .

وكان النور في هذا العهد بعث محمد ﷺ ليخرج الناس من ظلمات الظلم والجهالة والكفر إلى نور الإيمان والإسلام ، فنادى بالعقيدة الإلهية السليمة الصحيحة .. عقيدة التوحيد والإيمان بالله رباً وبمحمد رسولا وبالإسلام ديناً ، ودعا الفرد إلى عبادة الله الواحد الأحد ونهاه عن عبادة الأشخاص وتقديسهم ، كما نهاه عن عبادة مظاهر الطبيعة وظواهر الكون ، وكشف له عن زيف العقائد الوثنية وما يتصل بها من خرافات وأوهام وأساطير وعمق في نفس الإنسان الإيمان بوحدانية الله الفرد الصمد

إن القرآن الكريم بهذه اللمسات الموجهة إلى آيات الله وقدرته وعظمته ووحدانيته يوقظ القلب وينبه العقل ويشد الانتباه والنظر، ثم يترك بعد ذلك للفكر أن يعمل ويبحث ويجمع الجزئيات ليصل إلى الحقائق والنتائج.. . فليس من منهج القرآن الكريم أن يفصل العلوم.. . ولكنه يدل على الطريق ويضع المعالم ويترك مجال البحث والتفكير مفتوحاً موجهاً على مدار الزمن.

ولما كانت العقيدة الإسلامية دافعة للمؤمن إلى معرفة آيات الله تعالى وسننه في الكون، فقد دفعته بالتالي إلى التفكير العلمي فكان التقدم العلمي والحضاري.

ومن هنا ظهرت الحضارة الإسلامية بخصائصها ومميزاتها وبانتشارها في سائر المجالات الحيوية : إذ بعد أن دفعت العقيدة المؤمن إلى دراسة الكون دفعته بعد ذلك إلى استغلال ما في الكون واستثماره وتذليله وتسخيرها؛ لأن الإنسان مستخلف في هذه الأرض من الله تعالى، ومطلوب إليه عمارتها والانتفاع بما عليها وبما أودع فيها، مستغلاً ذلك لصالح الإنسانية وللبناء والتعمير.. . وبذلك كانت العقيدة الإسلامية دافعة إلى العمل وإلى تنشيط الحياة الاقتصادية وإلى استثمار ما في الكون فازدهرت الحياة الاقتصادية في القرون التي أعقبت ظهور الإسلام.

وفي المجال العلمي ظهر أثر العقيدة، فقد أعدت الأفكار إعداداً كاملاً لفكر التفكير العلمي، وتقدم المسلمون بالعلوم الرياضية والطبيعية فابتدعوا علم الجبر، وتوسعوا في الهندسة وحساب المثلثات، وارتقوا بالطب، وابتدعوا الطريقة التجريبية في الكيمياء والفيزياء، وبنوا المراصد الفلكية.. . وكان ذلك كله بفضل العقيدة الإسلامية.

لهذا لم يكن هناك ثمة تعارض - في العصر الإسلامي الأول - بين الإيمان الديني والبحث العلمي، ولم يكن ثمة تعارض في العقلية الإسلامية بين الإيمان بالله خالق الكون وخالق الحوادث وأسبابها وبين

ارتباط الأسباب بنتائجها، لأن ذلك كله من خلق الله . ومن أجل ذلك كله سطر التاريخ في سجل الحضارات أن العقيدة الإسلامية في صدر الإسلام أدت إلى تقدم رائع للإنسانية والحضارة في المجالات الإنسانية والكونية والفكرية والعملية . لأن فهم الجيل الأول من المسلمين للإسلام كان قائماً على أن الإسلام نظام كامل شامل، ولم يكن الإسلام بالنسبة إليهم مجرد عبارات فردية إنما كان في وعيهم رسالة متكاملة يسهم الواحد منهم في نشرها والجهد لتحقيقها على صعيد البشرية جمعاء .

مسرى التيار الحضاري الإسلامي

بلغ المسلمون مجدهم الحضاري إبان الدولة العباسية أيام الرشيد وابنه المأمون في بغداد وأيام المعز وابنه العزيز الفاطمي في القاهرة، وكان سلطان العرب السياسي في عهد الرشيد قد وصل أقصى ما وصل إليه سلطان المسلمين في الشرق .

وقد فتح المسلمون بلاد الأندلس سنة ٩٢ هـ، واستمروا بها حوالي ثمانية قرون وكانت الأندلس الإسلامية آنذاك منبع العلم ومنطلق التقدم في كل المجالات .

وهبت ريح الحضارة الإسلامية الأندلسية على البلاد الأوروبية المجاورة، وفي عام ٢١٧ هـ، امتد الفتح الإسلامي إلى جزيرة صقلية، ثم إلى الجزء الجنوبي من إيطاليا.. . واستيقظت أوروبا النائمة بعد أن هبت عليها نسائم من الحضارة الإسلامية وقبسات من نور العلم العربي أضاء رحابها وبعث الدماء العلمية قوية حارة في تفكيرها القاصر.. . ونهضت أوروبا ونحرت.. . وتحضرت وبفضل الحضارة الإسلامية كانت الحضارة الأوروبية .

والعلم الحديث في منهجه وطرائق بحثه يدين للعلماء المسلمين وما خلفته الحضارة الإسلامية من كشوف ونظريات

* عملية
لتجريب
كسر
في عظام
الزرقوه *



يقول «بريقولت» العالم الانجليزي المعاصر ومؤلف كتاب «بناء الإنسانية» : «لقد كان العلم أهم ما جادت به الحضارة العربية على العالم الحديث ، ولكن ثماره كانت بطيئة النضج . إن العبقرية التي ولدتها ثقافة العرب في إسبانيا لم تنهض في عنقوانها إلا بعد مضي وقت طويل على اختفاء تلك الحضارة وراء سحب الظلام ، ولم يكن العلم - وحده - هو الذي أعاد إلى أوروبا الحياة ، بل إن مؤثرات أخرى كثيرة من مؤثرات الحضارة الإسلامية بعثت باكورة أشعتها إلى الحياة الأوروبية ، فإنه على الرغم من أنه ليس ثمة ناحية واحدة من نواحي الازدهار الأوروبي إلا ويمكن ارجاع أصلها إلى مؤثرات الثقافة الإسلامية بصورة قاطعة ، فإن هذه المؤثرات توجد أوضح ما تكون وأهم ما تكون في نشأة تلك الطاقة التي تكوّن ما للعالم الحديث من قوة متبايزة ثابتة ، وفي المصدر القسوي لازدهاره ، أي : في العلوم الطبيعية وروح البحث العلمي » .

ثم يقول : «إن ما يدين به علمنا لعم العرب ليس فيما قدموه إلينا من كشوف مذهلة مدهشة لنظريات مبتكرة ، بل يدين هذا العلم إلى الثقافة العربية بأكثر من هذا ، إنه يدين لها بوجوده نفسه ، فالعالم القديم لم يكن للعلم فيه وجود . وقد ظهر العلم في أوروبا نتيجة لروح من البحث جديدة ، ولطرق من الاستقصاء مستحدثة من طرق التجربة والملاحظة والمقاييس ، ولتطور الرياضيات إلى صورة لم يعرفها اليونان وهذه الروح وتلك المناهج العلمية أدخلها العرب إلى العالم الأوروبي » .

وتقول الكاتبة الألمانية «زيغريد هونكه» في كتابها «شمس العرب تسطع على الغرب» : «إن العرب هم الذين ابتدعوا طريقة البحث العلمي الحق القائم على التجربة والملاحظة ، فالبحث العلمي القائم على التجربة لم يبدأ إلا عند العرب ، فعندهم فقط بدأ البحث الدائب الذي يمكن الاعتماد عليه ، يتدرج من الجزئيات إلى الكلّيات ، وأصبح منهج الاستنتاج هو الطريقة العلمية الصحيحة السليمة للباحثين ، وبرزت الحقائق العلمية كثمرة للمجهودات المضنية في القياس والملاحظة بصبر لا يعرف الملل .

وبالتجارب العلمية الدقيقة العديدة اختبر العرب النظريات والقواعد والآراء العلمية مراراً وتكراراً فأنبتوا الصحيح منها وعدلوا الخطأ في بعضها ، ووضعوا بديلاً للخاطئ منها ، متمتعين في ذلك بجرية كاملة في البحث والفكر ، وكان شعارهم في أبحاثهم «الشك هو أول شروط المعرفة» تلك هي الكلّيات التي عرفها الغرب بعدهم بثمانية قرون . وعلى هذا الأساس العلمي سار العرب في العلوم الطبيعية شوطاً كبيراً أثر فيما بعد بطريق غير مباشر على مفكري الغرب وعلماؤه أمثال : «روجر بيكون» و«ليونارد دافنشي» ، و«جاليليو» .

ويقول «دريبر» الأستاذ بجامعة نيويورك في كتابه «النزاع بين العلم والدين» : «تحقق علماء المسلمين من أن الأسلوب العقلي النظري لا يؤدي إلى التقدم ، وأن الأمل في وجدان الحقيقة يجب أن يكون معقوداً بمشاهدة الحوادث ذاتها ومن هنا كان شعارهم في أبحاثهم : الأسلوب التجريبي والدستور العملي الحسي . ونتائج هذه الحركة العملية العربية تظهر جلية في التقدم الباهر الذي نالته الصناعات في عصرهم ، وإننا

لندعش حين نرى في مؤلفاتهم من الآراء العلمية ما كنا نظنه من نتائج العلم في هذا العصر ، فقد استخدموا علم الكيمياء في الطب ووصلوا في علم الميكانيكا إلى أنهم عرفوا وحدوا سقوط الأجسام ، وكانوا عارفين كل المعرفة بعلم الحركة ، ووصلوا في نظريات الضوء والإبصار إلى أن غيروا الرأي اليوناني القائل بأن الإبصار يحصل بوصول شعاع من البصر إلى الجسم المرئي ، وقالوا بالعكس ، وكانوا يعرفون نظريات انعكاس الأشعة وانكسارها ، وقد اكتشف الحسن بن الهيثم - وهو من علماء المسلمين في القرن الرابع الهجري له قرابة مثنا كتاب في الرياضة والفيزياء وغيرها ، وأشهر كتبه كتاب «المناظر» الذي ترجم إلى اللاتينية في القرن السادس عشر الميلادي - اكتشف الشكل المنحني الذي يأخذه الشعاع في سيره في الجو وأثبت بذلك أننا نرى القمر والشمس قبل أن يظهرها حقيقة في الأفق ، وكذلك نراها في المغرب بعد أن يغيبا بقليل » .

بعد كل هذه النصوص والشواهد من أقوال علماء الغرب ورجالاته ، لم يكن بدعاً من القول أن تحكم - نحن العرب - بأن الحضارة الأوروبية الحديثة قامت على أسس ودعائم من حضارة الإسلام ونهضة العرب .

إلا أن أوروبا حيناً استقت من المعين الإسلامي والمنهل الحضاري العربي أخذت الجانب المادي العقلي من الحضارة الإسلامية وتركت الجانب الروحي العقدي .

ومن أجل ذلك كان إنسان الحضارة الأوروبية المادية يعيش في أزمة وصراع وقلق وهدم ، لأن حضارته بعيدة عن الأمن والإيمان والاطمئنان الروحي .

إن العالم الغربي بشعوبه المختلفة له حضارة مادية آلية ارتقت بالآلات وبالجوانب المادية في الحياة والهدف من هذه الحضارة الغربية هو : الرفاهية ، والنعم المادي ، والإنتاج ، أما الإنسان في جانبه الإنساني والخلقي والروحي فذلك ساقط من أهداف هذه الحضارة لذا بقي الإنسان الغربي مريضاً من ناحية العواطف الإنسانية وبعيداً عن الضمير الخلقي الحي .

والبشرية اليوم في حاجة إلى حضارة تعيد للإنسان عزته وللعالم سعادته وأمنه ، ولقد أفلست الحضارات القائمة في دنيا الناس . . أفلست في إسعاد الإنسان روحياً ، وأخفقت كذلك في حل المشكلات العالمية ، واستخدمت وسائل العمران والتعمير في التخريب والغدر والتدمير !!

إن حضارة أوروبا اليوم - كما قال المنصفون من أهلها - أصبحت كصدفة لامعة براقية . . صدفة فارغة خالية من اللؤلؤ لأنها بمعزل عن الروح وعن الأمن .

فمن ذا الذي ينهض بالعالم الحائر اليوم ؟ أهى فلسفة القوة والاستعمار ؟ أم المادية والإحاد ؟ أم الوجودية والانحلال ؟ لم يكن هناك بُدٌ للعالم من العودة إلى حضارة الدين العالمي : دين الله . إن الدين عند الله الإسلام .

أجداد

شعر: عبد المنعم الأنصاري

هذا زمانٌ قبيحُ الوجه كذابُ
أنا وأنت به والحق أغرابُ
كنا معاً ومضةً في ليله ومُنَى
تهفو لها أنفسٌ حَيْرَى وألبابُ
كيف افترقنا بهذا التيه؟ وانغلقت
بيني وبينك أبوابٌ وأبوابُ
لا صرخةٌ عَبَرَتْ مِنِّي إليك ولا
شعاعٌ حُزنٍ على الأفاقِ جَوَابُ
عينك لي من سُموومِ الغَدْرِ ملتجأُ
عينك لي من فحيحِ الشَّكِّ مَحْرَابُ
إمّا أبوحُ بما يخفى وتلقفني
غالبُ تشهاني وأنيابُ

★ ★ ★



ما هَاجَرَ الطيرُ إلا عندما سكنت
برَوْضِهِ مِنْ عَجَافِ البومِ أَسْرَابُ
والأسدُ في الغابِ ما طابَتْ لَهَا جَيْفُ
إلا إذا جَوَّعَتْ آسَاذَهَا الغَابُ
يا ويلتي فدبيبُ الدَّاءِ في رثتي
وفزوقُ جسمي للاذلالِ أُنُوبُ
مصفرةٌ بِسَمَيِّ مسودةٌ شَفِي
جريئةٌ نظرتي والقلبُ هَيَّابُ

..★ ..★ ..★



عمري فداءٌ لفجرِ فاتِ موعدهُ
ولم أكن فيه حتى الآن أرتابُ
لكنني ونيوبُ الجوعِ تنهشني
وفي شيفاهي يطوي اللحن إرهابُ
والليلُ يحشدُ غَمَّ الزيفِ في أفقي
والأرضُ يذوي بها نبت وأعشابُ
قد لا يَصِيرُكَ مِنِّي إن سألتُ مَنِي
يا صاحبي غمِ هذا الزيفِ يَنجَابُ

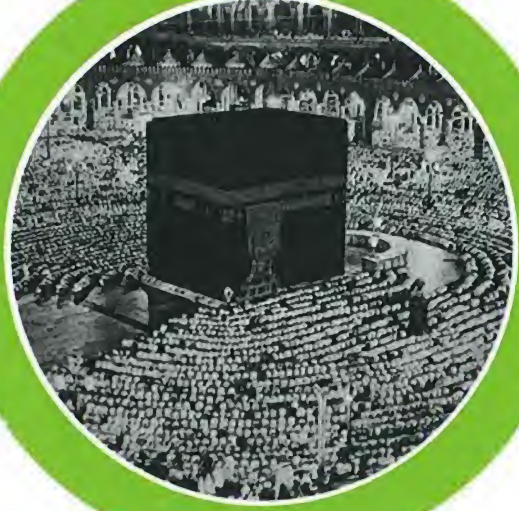


فندق



انتركونتيننتال

مكة



الأطباق الشرقية والعالمية .
وكافتيريا الزاهر في خدمتك ليلاً نهاراً .
إلى جانب كل ذلك ستكون بين يديك كافة
التسهيلات الممتازة التي تشمل المسجد ومركز للمؤتمرات
إضافة إلى جميع الخدمات الحديثة جداً كخدمات
التلكس والغسيل والكي وصالون الحلاقة بأسعار لا
تنافس وهناك أسعار خاصة لأفواج العمرة .
لكن ربما تعجب أكثر من أي شيء آخر خلال
إقامتك معنا بروح المجاملة والكرم التقليدي الذي
يميز الحياة الإسلامية .

كلما حضرت إلى مكة المكرمة ، سواء للحج أو العمرة
أو للعمل ، تعال للإقامة معنا ، فأنت على بعد خطوات
من مهبط الوحي ومن البيت المقدس ومن مركز المدينة
التجاري .
فكل ما تتمناه من رفاهية هورهن إشارتك إن
في غرف الفندق المكيفة الهواء أو إذا شئت في
الفيلات الجميلة المزودة بأفخر الأثاث وجميع لوازم
تأدية العمرة من ملابس الإحرام وسجادة للصلاة
ونسخة من القرآن الكريم .
أما مطعم تهامة الكبير فستجد فيه كل ما تشتهي من

فندق مكة انتركونتيننتال

mecca
INTER-CONTINENTAL-
HOTEL



طريق جدة - مكة - المملكة العربية السعودية
تليفون : ٣١٥٨٠ أو تلكس : ٠٤٤٠٠٠٦
إحجز عن طريق وكيلك للسفرات أو مكتب إنتركونتيننتال المحلي

مكة وتاريخ



★ معابد بعلبك في الماضي . كما تخيلها الرسام ★

بعلبك مدينة الشمس

بقام: د. فوزي أحمد الأحدب

★ إذا كانت بعض المدن قد حظيت بعناية التاريخ لها للدور الذي لعبته في كثير من مجالات الحياة والشعوب المختلفة بحكم موقعها من ناحية ، ولعوامل أخرى ساهمت مع الأيام في إيجاد خصائص مميزة لها ، فإن مدينة بعلبك واحدة من هذه المدن التي لعبت دوراً كبيراً في تاريخ عدد من الشعوب ابتداء من العهد البرونزي القديم (٢٩٠٠ - ٢٣٠٠ ق . م) ، والعهد البرونزي المتوسط (١٩٠٠ - ١٦٠٠ ق . م) ، وهذا يعني أن تاريخ هذه المدينة تمتد جذوره العريقة إلى أكثر من أربعة آلاف سنة ★



★ خارطة توضح موقع بعلبك كما يشير السهم ★



★ الأعمدة الستة في معبد جوبيتر... في الليل ★

ومدينة كهذه لا شك أنها قد تأثرت بكل العصور على مدى كل الحقب التاريخية ، وهذا التأثير منحها مكانة ، جعلتها تستأثر باهتمام المؤرخين ، وعلماء الآثار .
وإذا كانت تلك هي مكانة بعلبك على صفحات التاريخ القديم ، فإنها لم تفقد تأثيرها في التاريخ المعاصر ، وما زالت تحظى بالاهتمام الكبير على المستوى العلمي ، ومستوى الأفراد الذين يأتون إلى لبنان لقراءة التاريخ على الطبيعة من خلال آثارها الباقية التي لم تؤثر فيها عوامل الزمن بصورة تفقدها بريقها ، ونألقها ★

الجنوب الشرقي منها ، وهناك نبع آخر في (عين لجوج) على بعد ستة كيلومترات ، يمد المدينة بالمياه العذبة .

الموقع

تقع مدينة (بعلبك) على ارتفاع ٣٧٧٠ قدماً عن سطح البحر ، في وادي البقاع الخصيب الذي كان يسمى في التاريخ القديم (سورية المحوقة) . وتمتد وادي البقاع من الشرق ومن الغرب جبال لبنان الشرقية والغربية ، ويتراوح عرض هذا الوادي بين ستة وعشرة أميال . ويقرب هذه المنطقة تقع نقطة توزع المياه حيث يتجه نهر العاصي Orontes ببطء نحو الشمال ، بينما يتجه نهر الليطاني Leontes نحو الجنوب . وهي بهذا تسيطر على حوضي الليطاني والعاصي .

وكما هي الحال في كثير من المدن التاريخية والقديمة هنالك (بعلبك) الحديثة بأسواقها ومساجدها ومقاهيها الفسيحة وفنادقها السياحية ومهرجاناتها الدولي ، وهي اليوم المدينة الرئيسية وأكبر مركز زراعي في محافظة البقاع في لبنان . وهناك بعلبك الأثرية التي تكاد تمتزج ببعلبك الحديثة فتتداخل البيوت والبساتين مع الآثار . لقد اجتذبت (بعلبك) القديمة ، نظراً لوقوعها على طرق التجارة قوافل التجار إليها فكان على القوافل القادمة من موانئ المتوسط والمتجهة إلى الداخل والقوافل القادمة من بلاد ما بين النهرين أو الشرق أن تتوقف هنا فتخط الرحال إلى حين ، قبل أن تتابع رحلاتها . ولعل وفرة المياه العذبة في منطقة (بعلبك) كانت سبباً من أسباب توقف القوافل ، فنبع (رأس العين) مثلاً لا يبعد عنها كثيراً ويقع إلى

في إعراب بعلبك

جاء في معجم البلدان لياقوت الحموي ما يلي :

« وهذا الاسم ونظائره من المركبات أحكام ، فإن شئت جعلت آخر الأول والثاني مفتوحاً بكل حال كقولك : هذا بَعْلَبُك ، ورأيت بَعْلَبُك ، وجئت من بَعْلَبُك ، فهذا تركيب يقتضي بناؤه ؛ فكانك قلت بَعْلُ وبُك ، فلما حذفت الواو ألفت البناء مقامه ففتحت الهمزة كما قلت خمس عشر ، وإن شئت أضفت الأول إلى الثاني فقلت : هذا بَعْلَبُك ، ورأيت بَعْلَبُك ، ومررت ببعلبك ، أعربت بدلاً وخففت بكاً بالإضافة ، وإن شئت بنيت الاسم الأول على الفتح وأعربت الثاني بإعراب ما لا يتصرف فقلت : هذا بَعْلَبُك ، ورأيت بَعْلَبُك ، ومررت ببعلبك . وتصغير بعلبك بَعْلَبُك ، كما نقول في طلحة طَلِيحة . ونقول في ترخيجه لورخته (يا بَعْلُ) كما نقول (يا طَلْحُ) ، ونقول في النسب إليه (بَعْلُ) ، كما نقول (طلحي) ، وأما من قال (بَعْلَبُكِي) فليس ببعلبك عنده مركبة ولكنه من أبنية العرب . »

★ منظر
عام
لأثار
بعلبك
من الجو
صورة
التقطت
عام
١٩٣٢ م ★



في المهود السامية والإغريقية

يعود تاريخ بعلبك إلى أكثر من أربعة آلاف سنة . وقد وجدت آثار تحت القاعة الكبرى لمعبد (جوبيتر) تشير إلى أن هذه المنطقة كانت ماسهولة قبل الإغريق والرومان . فقد كشفت الحفريات عن أساسات لمنازل من العهد البرونزي المتوسط (١٩٠٠ - ١٦٠٠ ق . م) ، كما وجدت قطع من الأواني الفخارية وغيرها تعود إلى العهد البرونزي القديم (٢٩٠٠ - ٢٣٠٠ ق . م) ، ووجدت آثار تعود إلى عهود الهكسوس (١٧٣٠ - ١٥٨٠ ق . م) . ولا نعلم عن بعلبك قبل وصول الرومان إليها سوى أنها كانت مركزاً لعبادة بعل أو حدد . ولم يرد اسمها في الألواح التي أثبتت المعاهدات الحربية الآشورية ، كما لم يرد ذكرها في تاريخ الآراميين أو فتوحات وغزوات الفرس . ولا بد أن بعلبك كانت حينذاك مركزاً تجارياً صغيراً على طريق القوافل ، ويجمع المؤرخون على أنه في تلك الحقبة سادت فيها عقيدة وثنية غامضة ، وبعد ذلك نشأت عقيدة وثنية تقديس ثلاثة أنواع من الأصنام هي : (بعل أو حدد) ورفيقته (آتارجاتيس) ، ووثن آخر قد يكون (هيرمز أو عطارد) . وأهم تلك الأصنام كان بعل أو حدد ، فكانوا يعتقدون ويزعمون أنه يرسل المطر أو يمنعه عنهم عندما يغضب منهم !! وكانوا يخافونه لأنه - كما يقولون - يرسل الخراب والدمار مستخدماً السيول والصواعق . كما كانوا يقدمون وثناً آخر على شكل امرأة يدعونها (آتارجاتيس أو عتار) ، تحيط بها تماثيل الأسود ، بينما كانت تحيط ببعل تماثيل الثيران ، وهذا الأخير دعي فيما بعد بأسماء مختلفة فهو زيوس في فترة الإغريق ، وهو جوبيتر عند الرومان .

وعندما اخترق الإسكندر الأكبر المكدوني سورية خلال زحفه من آسيا الصغرى إلى مصر ضم سورية إليه ودمجها في إمبراطوريته المكدونية . وعندما حاصر مدينة صور في سنة ٣٣٢ ق . م . قرر أن يسير داخل سورية على رأس بعض القضاة من الرماة والفرسان ، وقطع وادي البقاع ووصل إلى بعلبك . وبعد وفاة

بعلبك أو هيليوبولس

بَغْلَبَكْ : من الأسماء السامية مركب من (بَعل) و(بَك) ، وقد ذكرها الهمداني في كتابه (صفة جزيرة العرب) وعربها (بَاعِلْ بَك) . وقال ياقوت في المعجم : « اسمها مركب من (بعل) اسم صنم و(بَك) عتقة أي دقها » . وكلمة (بعل) في اللغة السامية تعني (السيد) ، وفي اللغة العربية (البل) هو الزوج . وكلمة (بعلبك) تعني (بعل البقاع) . ويبدو أن عبادة (بعل) قد انتشرت بين الأقوام السامية ، واتخذ هذا الوثن أسماء متعددة فهو بعل أو حدد أو اداد (عند الأكاديين) أو (بعل شمين) في مملكة تدمر . وقد ورد ذكره في القرآن الكريم في قوله تعالى : ﴿ اتدعون بعلأ وتذرون أحسن الخالقين ﴾ (١) .

وقد تغير اسم المدينة من بعلبك إلى (هيليوبولس) في عهد الإغريق . وبما أن الإغريق طابقوا (بعلأ) مع (هوليوس) وجعلوه معادلاً له ، وذلك في سبيل قيام علاقات متقاربة بين مصر وسورية تحت حكم البطالسة (حوالي ٣٠١ ق . م) ، فإن هؤلاء المكدونيين قد وجدوا أنه من المناسب إطلاق هذا الاسم (هيليوبولس) عليها ، وذلك لربط المراكز الوثنية فيها مع المراكز الوثنية في (هيليوبولس) في مصر . وأصبحت بعلبك تعرف باسم (هيليوبولس) أي مدينة الشمس منذ ذلك الوقت ، واحتفظ الرومان بهذا الاسم الإغريقي للمدينة . ومع ذلك فإن التأثير السامي لم ينقطع وبقي العرب يعرفونها باسم (بعلبك) ، وقد ذكرها امرؤ القيس فقال :

لقد أنكرتني بعلبك وأهلها

ولابن جريج في قرى حصص أنكرها

وهكذا نجد أن أكثر المقاطعات والجبال والأنهار التي اتخذت أسماء يونانية أو رومانية تعرف اليوم بأسمائها السامية .



★ آثار معبد قبتوس ★

سيفروس) الذي حكم من ١٩٣ - ٢١١ م، كما أعق سكاها من الضرائب . وقد وجد الرومان أنه من المناسب من الناحية السياسية أن يقيموا معبداً لبعل / حدد وأن يعطوه اسم ونهم جوبيتر . وأقيم المعبد على المعبد الأصلي وبدأ الأباطرة الرومان بتوسيعه . وقام تراجان باختيار مقدرة الكهنة على التنبؤ وذلك قبل أن يبدأ حملته الثانية ضد الفريثيين في سنة ١١٦ م . وقد تلقى جواباً على استئله بصورة رمزية وكان الجواب عبارة عن حزمة من العيدان ملفوفة بقطع من القماش . وكان موت تراجان في (كلكيلية) سنة ١١٧ م، ونقل رفاته إلى روما تفسيراً كاملاً إن لم يكن متأخراً لما ظهر من المعبد .

وقد بدأ التوسيع الملقن لمعبد هيليوبولس في عهد (انطونيوس بيوس) ، (من ١٦١ - ١٨٣ م) . واستمر حتى زمن (كاراكالا) (من ٢١١ - ٢١٧ م) ، وغيره من أباطرة السلالة السورية ، الذين أقاموا البناء وجعلوه من عجائب الدنيا . وتظهر صورة المعبد لأول مرة على أحد وجهي نقود سيبتيموس سيفروس . وحفر ابنه الإمبراطور كاراكالا ووالدته الحمصية جوليا دومنة^(٢) كلمة (هيليوبولس) على نقودهما . ولا تزال النذور على شرف هذين الاثنين مقروءة جزئياً في اللغة اللاتينية على قاعدة رواق المعبد ، حيث تقول الكتابة الأثرية إن الأعمدة النحاسية قد دشنت وطلبت بالذهب على شرفها .

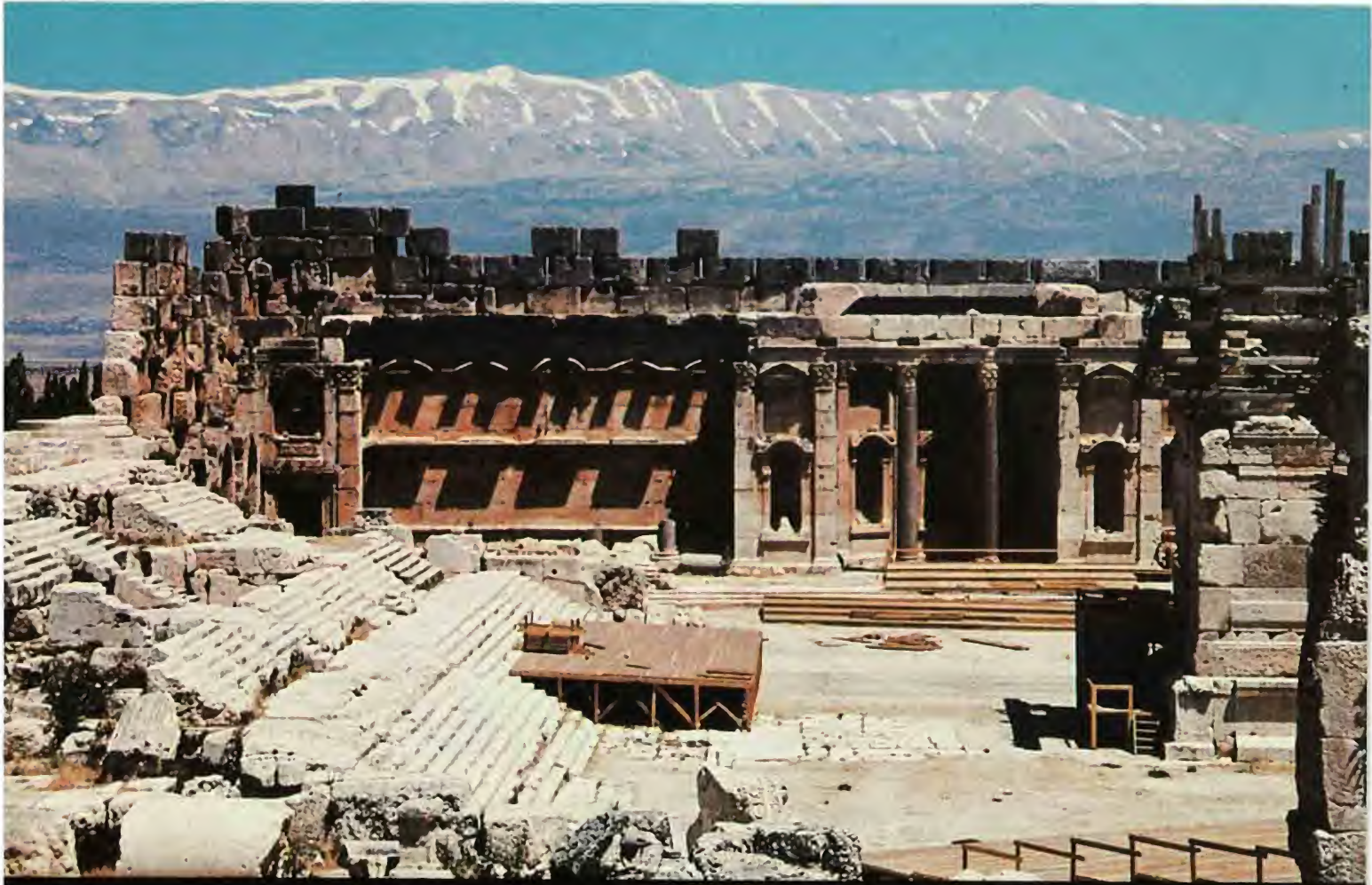
كما يرد اسم المعبد على نقود الإمبراطور فيليب العربي (٢٤٤ - ٢٤٩) ، وكان عربياً من قرى حوران كما كان قائداً للحرس قبل أن يعتلي عرش الإمبراطورية . وكانت تقام في المدينة احتفالات سنوية ، ومعرض تجاري والعاب رياضية . وقد جعل المعبد من بعلبك أشهر مدينة في منطقة لبنان وثاني مدينة بعد أنطاكية في ولاية سورية لعدة قرون .

الإسكندر سنة ٣٢٣ ق . م . انقسمت إمبراطوريته بين قواد جيشه ، وهكذا كانت سورية من نصيب (سلوقس) Seleucus ، ومصر من نصيب (بطليموس) الذي أضاف إليها فيما بعد فيثيقيا وسورية ، وأصبحت سورية وليشان تحت حكم البطالسة . وفي سنة ٢١٩ ق . م ، قام أحد أحفاد (سلوقس) وهو (انطيوشوس) الثالث باحتلال فيثيقيا وأخرج البطالسة منها وبقيت تحت حكم السلوقيين حتى سنة ٦٩ ق . م ، عند سقوط أسرة السلوقيين وبداية الحكم الروماني .

ومعابد بعلبك توضح هذا الأثر المزيج للتأثير الهيليني (الإغريقي - السوري) والروماني . فوضع المعابد شرقي ورؤوس أعمدتها إغريقية (كورنتية) والإضافات إليها تعتبر رومانية الطراز .

في العهد الروماني

في سنة ٦٩ ق . م ، انهارت دولة السلوقيين وذلك عندما قام الرومان بقيادة (بومبي) Pompey بحملة ضد الشرق جعلوا فيها من سورية ولاية رومانية وأصبحت بعلبك مستعمرة رومانية . ولم يؤسس الرومان سوى مستعمرات قليلة في سورية ، فكانت لهم جالية من الخاربيين في بيسروت وأخرى في بعلبك . وقد فطن الرومان إلى أهمية المدينة من الناحية العسكرية والاقتصادية والدينية . فأنحسروا فيها بعد قابلية تطبيق القانون الروماني فيها واعتبارها أرضاً رومانية غير مشمولة بنظام المستعمرات . وهذه المنحة المسماة ius Italicum لا تعطى إلا للمدن التي تحوز على رضاهم وأعجابهم . وقد حدث ذلك في عهد الإمبراطور الروماني (سيبتيموس



★ مدرجات معبد جوبيتر ★

★ قبة دوريس ★



وعندما اعتنق الإمبراطور قسطنطين المسيحية عام ٣١٢ م، قام بإغلاق المعابد الوثنية، وأمر ببناء كنيسة في الطرف الغربي، وهي من نوع (البازيلكا). ولكن الوثنية عادت من جديد في عهد جوليان (٣٣١ - ٣٦٣)، فأعاد فتح معابد الأوثان في بعلبك وهدمت الكنائس وتم نهب محتوياتها وحدثت مذابح ضد المسيحيين في عهده.

وقد نقل الإمبراطور جوستنيان من بعلبك الأعمدة من (البورفير) التي جلبت بالأصل من مصر، واستعملها في بناء كنيسة القديسة صوفيا، وظهر في أحد هذه الأعمدة، بعد أن كسر، المعدن الذي يصل بين أقسامه.

وهكذا استطاع الرومان - من بعلبك - أن نقلوا ثقافتهم وحضارتهم إلى أجزاء أخرى من إمبراطوريتهم.

الفتح الإسلامي

يذكر المؤرخ والجغرافي (سترابو) الذي عاش في القرن الأول بعد الميلاد، أن منطقة البقاع يسيطر عليها العرب. وهذا يدل على أن القبائل العربية استوطنت المنطقة وامتزجت مع السكان المحليين. ويضيف (سترابو) أن هذه السلالات العربية حكمت البقاع وأرهبت المناطق المجاورة خلال حكم السلوقيين وحتى الحكم الروماني. وكان هؤلاء العرب من الألبان ويسمى (سترابو) (بالعرب والعبيطوريين) (٣)، وقد تم ذلك قبل العهد المسيحية بفترة طويلة.

وبعد انقسام الإمبراطورية الرومانية إلى قسمين في القرن الخامس بعد الميلاد



★ نقود رومانية من عهد الإمبراطور «كاراكالا» ★

المعابد الزخارف الخارجية البارزة خشية تسليقها من قبل الأعداء ، وحفر حولها خندق يمنع الوصول إليها . كما بنوا أبراجاً حربية على سطح الأعمدة في الزاوية الجنوبية الشرقية لمعبد (باخوس) ، ورفعوا جداراً ضخماً تزيد سماكته على ثلاثة أمتار أمام مدخله الرئيسي . وقد هدم بأمر والي سورية العنابي وشيّد باشا عام ١٧٠٠ م ، وقد أضاف إليها العرب عناصر للجند واسطبلات للخيل وخزانات للمياه وبنوا في داخلها مسجداً . كما كان يحيط بالمدينة سور ضخّم ، ومع ذلك كان السكان يلجأون إلى القلعة للاحتباء بها أثناء حصار المدينة .

وقد بقيت بعلبك ، خلال فترات طويلة ، جزءاً من إقليم دمشق وإحياناً كانت تابعة لبشاش طرابلس ، إلى أن جاءت السلطة الفرنسية المنتدبة فضممتها إلى لبنان . أما تاريخ بعلبك فهو تاريخ حافل تعرضت فيه للحصار والغزوات والفنن ، وخلال القرنين الحادي عشر والثاني عشر م ، أحاطت بها الولايات من كل جانب وهذه الفترة تخللتها الحروب والفيضانات والزلازل والفنن الداخلية .

في سنة ٩٠١ م ، قام قائد القرامطة (زكرويه) بزحفه على سورية وهزم الحامية الطولونية وحاصر دمشق واحتل حصص وقضى على عدد كبير من أهالي حماة ومعة النعمان وكاد أن يبيد سكان بعلبك .

وفي عهد الحمدايين بعد موت سيف الدولة حدثت فتن داخلية وانقسامات مما مكن نقفور من بسط سلطانه على الجزء الشمالي من سورية في سنة ٩٦٨ م ، وبعد ذلك بست سنوات قام باخضاع المدن الساحلية ومنها بعلبك . كما مر الفرنج عبر وادي البقاع أثناء حروبهم المتكررة علماً أن المدن الداخلية نظير حمص وحلب وحماه وبعلبك ودمشق لم تقع بيد الصليبيين مع أنها كانت هدفاً لشن غارات عليها بين الحين والحين . وفي عهد دولة الأتابكة ألحقت بعلبك بسلطة عماد الدين زنكي .

وفي عام ١١٥٧ م ، خضعت المدينة لسلطة صلاح الدين الأيوبي بعد أن كان النزاع مستحكماً بين الأمراء والأتابكة .

وفي عام ١٢٥٨ م ، زحف هولاكو من الشرق وقضى على الخليفة العباسي ودمر معظم المدن السورية ، وعندما وصل إلى بعلبك أمر جيشه بنهبها وتخريبها ، ولم تسلم مساجدها من الدمار .

ويبدو أن بعلبك عانت كثيراً من حكمها في عهد المماليك حتى إن الأوامر السلطانية كانت تنقش على الجدران الحجرية بكف يد الولاة وجامعي الضرائب الزائفين ، أو بإعفاء السكان من الضرائب وإعطائهم حريتهم في التجارة والمعاملات .



★ نقود إسلامية من العصر الأموي وجدت في بعلبك ★

أصبحت سورية ولبنان في نطاق الإمبراطورية الشرقية ، أي النصف البيزنطي . وقد كانت تلك الفترة مليئة بالحروب ولم يسد السلام بين الفرس والروم . وقد تم لأبي عبيدة فتح المدن السورية التي سارعت إلى فتح أبوابها لاستقباله ، وخرج أهلها يصحبهم الناقرون على الدفوف والمنشدون .

ويقول ياقوت الحموي في معجمه : « ولما فرغ أبو عبيدة بن الجراح من فتح دمشق في سنة أربع عشرة للهجرة ، سار إلى حمص ، فر بيبلك فطلب إليه أهلها الأمان والصلح ، فصالحهم على أن امنهم على أنفسهم وأموالهم وكنائسهم وكتب لهم كتاباً أجّلهم فيه إلى شهر ربيع الآخر وجمادى الأولى ، فن جلسا إلى حيث شاء ومن أقام فعليه الجزية » . وهكذا نجد أنه لما جاء العرب بالدين الإسلامي الخنيف ، وجدوا أن الكثيرين من السوريين لم يحاولوا أن يصدوهم دفاعاً عن المسيحية ، كما وجدوهم كارهين للأستقرابية الدينية والبيزنطية . وهكذا لم يواجه العرب المسلمون أية مقاومة في فتح بلاد الشام والعراق ومصر من السكان المحليين ، بل على العكس من ذلك كانوا يؤيدون العرب ويكنون لهم الود . ذلك أن المسلمين حكموا بالعدل وأصبح المسيحيون واليهود آمنين على أنفسهم وأموالهم وكنائسهم . وهكذا دخلت بعلبك تحت حكم العرب المسلمين - مثل بقية المدن في بلاد الشام - سنة ٦٣٧ م .

وقد عمد معاوية سنة ٦٦٩ م ، إلى نقل جماعة من أهل العراق إلى الساحل البحري وانطاكية كما سبق أن نقل إليها جماعات من فارس ليحلوا محل الروم الذين نزحوا عنها إثر الفتح الإسلامي . وعمد إلى حشد هؤلاء السوافدين في صيدا وبيروت وجبيل وطرابلس وعرة وبعلبك ومدن أخرى وذلك كتدبير وقائي لصد غزوات الروم البحرية .

ويبدو من النقود الأثرية أن دار سك العملة في بعلبك استمرت في عملها في العصر الأموي . وقد وجدت عملات تعود إلى بداية حكم معاوية وهي تحمل صورة هرقل واسم (هليوبولس) بأحرف يونانية وكلمة (بعلبك) بالأحرف العربية . وصدر بعد ذلك نوع جديد من العملة يحمل صورة تمثل الخليفة برده العرب مع عبارة (أمير المؤمنين) وعبارة (محمد رسول الله) . ويبدو أن هذا النوع من العملات قد أبطل تداوله ، وأصبحت العملات الجديدة التي لا تحمل صوراً ، بل شعار الإسلام : (لا إله إلا الله محمد رسول الله) يضاف إليها أحياناً عبارة : (ضرب في بعلبك) .

وقد تحولت معابد بعلبك إلى قلعة حصينة في العهد الإسلامية . وأزيلت عن



★ التحصينات العربية، تظهر فوق الأعمدة القديمة ★

الكشف عن آثار بعلبك

أثارت بعلبك اهتمام المؤرخين والجغرافيين العرب منذ مطلع القرن التاسع الميلادي، وجاء وصفها وتحديد موقعها في مؤلفات كثير منهم، ونذكر منهم على سبيل المثال: المقدسي والإدريسي والدمشقي وأبو الفداء وياقوت والمسعودي وابن بطوطة وغيرهم.

ونسب بعض منهم بناءها إلى الجن وقال إنها كانت للنبي سليمان عليه السلام وأنه قدمها مهراً لبليقيس.

وقال ياقوت الحموي: إن «يونان قد اختارت لهذا الميكل قطعة أرض في جبل لبنان ثم في جبل سنير، فاتخذته بيتاً للأصنام. وهما بيتان عظيمان أحدهما أعظم من الآخر، وصنعوا فيهما من النقوش العجيبة المحفورة في الحجر الذي لا يتأتى حفر مثله في الخشب. هذا مع علو سمكها وعظم أحجارها وطول أساطينها».

وجاء في نيل الأرب: «هي هيلوبوليس القديمة، موقعها قرب منبع نهر العاصي الشهير، كانت قديماً مدينة عظيمة من أحسن المدن وأمتعتها، وكان فيها أسواق عديدة وسور عظيم، تراكم عليه السيل مرة فدفعه، وطمغت المياه فوق المدينة فدمرت ما يتنف عن الألف وخمسة بيت، وهي شهيرة بقلعتها البديعة البناء، بأركانها، وأعمدتها، وحجارها المائلة...».

ولقد استأثرت هذه الآثار الرائعة بإعجاب القدماء بأحجارها الضخمة وأعمدتها العالية. ويبلغ قياس الجوانب في ثلاث من هذه الحجارة التي تعلو عشرين قدماً عن سطح الأرض ٦٢×١٤×١١ قدماً لكل حجر منها. وقد قدر أن الحجر الواحد يكفي لبناء بيت مربع الجوانب يبلغ سمك جدرانه قدماً واحداً وطول واجهته ستين قدماً وعلوه أربعين قدماً! ولا تزال صخرة من هذه الصخور موجودة في المقلع الكائن في ضواحي المدينة. وهكذا فإن خرائب معبد هيلوبوليس تفوق أية خرائب أخرى وصلتنا من عهد الرومان بما فيها خرائب روما نفسها.

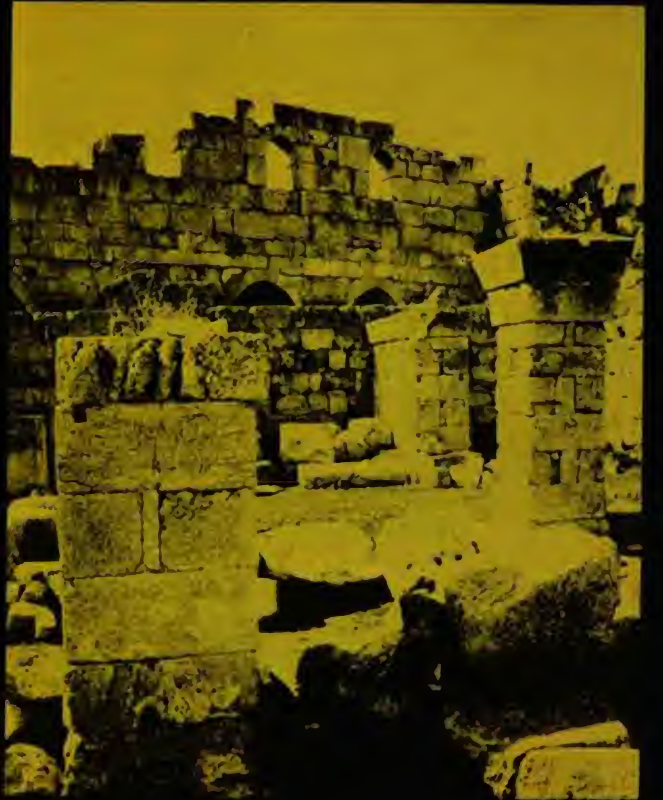
وقد قام الإسباني (بنجامين توديل) برحلته من سنة ١١٦٠ وحتى ١١٧٣ م، إلى المشرق العربي فأثارت دهشته تلك الحجارة الضخمة التي تقف دون أن يمكها جص أو ملاط.

وفي سنة ١٤٣٢ م، زارها (دولا بروكوير) ووصفها بقوله: «مدينة جميلة تحيط بها أسوار حصينة وفي وسطها حصن مبني بحجارة ضخمة». ففي تلك الفترة



★ رافعة ذات بكرات استخدمت في البناء قديماً. عن كتاب (فن العمارة - لندون - إسبراني) ★

★ مسجد في قلعة بعلبك ★





★ الأعمدة الستة في معبد جوبيتر ، ومعبد باخوس ★

وبعد ذلك بيومين قام بزيارة بعلبك . وأحيطت الزيارة بكثير من مظاهر الاحترام ، وقام العثمانيون بتكريم القيصر وتخليد زيارته بأن وضعوا لوحاً كبيراً على جدار المعبد ، نقش فيه ، باللغتين التركية والألمانية ما يلي :

« من السلطان عبد الحميد الثاني إمبراطور العثمانيين ، إلى صديقه المستنير وعلم الثاني إمبراطور وملك بروسيا ، والإمبراطورة أغوستا فكتوريا ، بمناسبة زيارة عظمتهم الإمبراطورية لبعلبك في شهر تشرين الثاني (نوفمبر) ١٨٩٨ م ، تخليداً للصداقة الدائمة والمتبادلة » .

وقد طلب القيصر من السلطان العثماني أن يقوم العلماء الألمان بالتنقيب الأثري في بعلبك لدراسة تاريخها والقيام بحفظ آثارها من عوامل التآكل والسقوط . وقد وافق السلطان على ذلك ، وبشرت البعثة مهامها في نفس العام وانتهت بعد خمس سنوات في عام ١٩٠٣ م .

وقد أثارت تلك الزيارة والبعثة الألمانية أيضاً حفيظة الفرنسيين والانجليز في ذلك الوقت .

وتبين أن القوى الطبيعية من أمطار وسيول وزلازل قد دمرت بعلبك . وتشاهد في الجدران آثار الاضطرابات التي سببتها الزلازل . وفي العصور القديمة وقبل الفتح الإسلامي بقرن من الزمان تقريباً ، حدث زلزالان في فترات متقاربة ، أولها سنة ٥٢٦ م ، والثاني سنة ٥٥١ م ، مما أدى إلى تدمير المعابد والبيوت ومقتل كثير من الناس . كما حدث زلزال عنيف سنة ١٧٥٩ م ، أسقط كثيراً من الأعمدة والحجارة والإهمال الذي لقيته في تلك الفترة جعل كثير من السكان يستخدمون الأحجار ويقطعونها لإعادة بناء بيوتهم التي هدمها الزلزال .

كانت تظهر آثارها وكأنها قلعة ، لأن العرب قد حصنوا مجموعات الأعمدة ودعموها وحولوها إلى قلعة حربية .

وأول من حاول أن يدرس آثار بعلبك وأن يرسم مواقعها وخرائط مبانيها هو (دوبرت وود) وزميله (جيمس داوكنز) في عام ١٧٥١ م ، وقد استطاعا الحصول على أمر (فرمان) من السلطان العثماني وكتاب توصية من باشا طرابلس في ذلك الحين .

وفي القرن التاسع عشر تدفق كثير من السياح الأجانب إلى بعلبك ، ولم يكتف بعضهم بنقل اسمه على الأعمدة بل حمل معه إلى بلاده ما أمكن نقله من كنوز بعلبك الأثرية من تماثيل وغيرها . ولذلك قامت الحكومة العثمانية في عام ١٨٧٤ م ، باتخاذ الإجراءات القانونية لحظر الاتجار بآثار بعلبك أو نقلها ، كما قامت بنقل بعضها إلى متحف القسطنطينية .

وفي الحقيقة فإن آثار بعلبك لم تدرس بشكل جدي . إلا في نهاية القرن التاسع عشر من قبل بعثة أثرية ألمانية كما سيأتي .

البعثة الأثرية الألمانية

بدأ الاهتمام الأوروبي بخرائب بعلبك في القرن السادس عشر . وقد بقي هذا الاهتمام على صعيد الاهتمامات الفردية حتى قبل انصرام القرن التاسع عشر بقليل . ففي عام ١٨٩٨ م ، قام الإمبراطور الألماني (ولهلم) الثاني بإقامة علاقات دبلوماسية متينة مع السلطان عبد الحميد الثاني ، وقام بزيارة القسطنطينية مع عائلته وحاشيته . وزار قبر صلاح الدين في دمشق في الثامن من تشرين الثاني (نوفمبر) ،



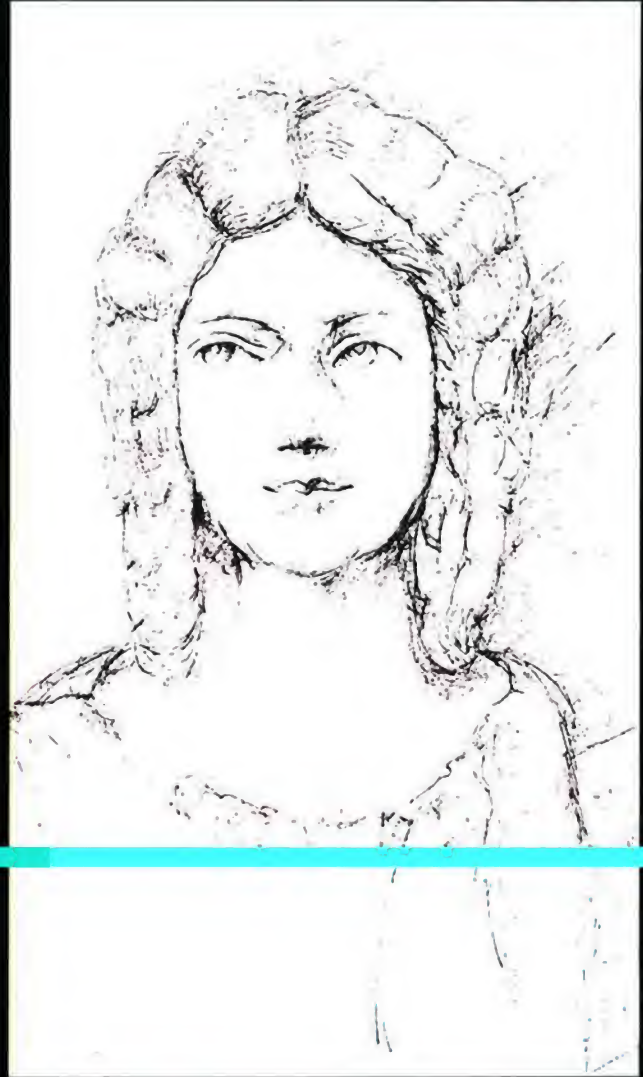
★ معبد بعلشمين من الداخل ★

★ معبد بعلشمين كما هو اليوم ★





★ المعهد اليوناني الأول (٢٩٠٠ - ٢٣٠٠ ق.م.) ، فخار من بعلبك ★



وقد وضع المهندس (ماركوس فيتروفيوس پوليو) الذي عاش في القرن الأول الميلادي ، كتاباً في فن العمارة اسمه De architectura ، استقاه من خبراته الشخصية ، وما استند عليه من أعمال نظرية قام بها المهندسون الإغريق مثل (هيرمو جينس) الذي عاش في القرن الثالث قبل الميلاد . كما كان هنالك مهندس شهير اسمه (حيرون الإسكندري) عاش في القرن الأول بعد الميلاد وله مؤلف في الميكانيكا Mechanics (علم الحيل) كتب في العصر الذي بني فيه معبد جوبيتر . وقد فقدنا ما كتبه حيرون باللغة الإغريقية ، لكننا وجدناه باللغة العربية .

إذ إن قسطا بن لوقا البعلبكي قام بترجمة هذا الكتاب في القرن التاسع الميلادي إلى اللغة العربية . ويبدو من هذه الأعمال أن مهندسي الإغريق والرومان عرفوا استخدام الروافع ومجموعات البكرات والحبال بنفس الطريقة المستخدمة اليوم . وبالطبع كان الحيوان يمل عمل الآلة وأحياناً أخرى الجهد البشري . ونشاهد اليوم في حجارة بعلبك ثقب في أعلاها وأسفلها ، كانت تستخدم لادخال أطراف الروافع والحبال فيها . ولم يستخدم البناؤون أي نوع من الملاط بين الأحجار بل اكتفوا بتركيزها بشكل جيد ووصلوا فيما بينها بأوتاد من البرونز أو الحديد المغطس في الرصاص منعاً للصدأ .

يضاف إلى ذلك الحروب وغزوات الروم البحرية ، وهجمات اللصوص المتكررة ، وقطع الحجارة وإعادة استعمالها ، وطمع بعض الناس في آثارها ، أو استخراج المعدن الذي يصل بين أجزاء الأعمدة لإعادة استخدامه في الحاجات اليومية ، كانت من العوامل التي أدت إلى اضعاف البناء ودماره .

ويعترف المؤرخون بفضل العرب في محافظتهم على آثار بعلبك إذ إن القلعة العربية التي ضمت المعبد الكبير والمعبد الصغير والتحصينات والأبراج التي أقاموها دعمت البناء وحفظت الآثار حتى بداية الكشف التاريخي في مطلع هذا القرن .

وقد استمرت عملية التنقيب والترميم الجزئي - أحياناً - في عهد الانتداب الفرنسي . وبذلك الحكومة اللبنانية كثيراً من الجهود في أعمال الترميم والصيانة .

كيف بنت المعابد ؟

يعتقد المؤرخون أن هذه الحجارة الضخمة قد استخرجت من المقالع القريبة من بعلبك ، ما عدا الأعمدة (الغرائبية) التي جلبت من مصر . كما يؤكدون أنه قد استخدمت في جرها ورفعها إلى مكانها في البناء آلات شبيهة بما نعرفه اليوم .



المعبد الصغير

ويطلق عليه معبد (باخوس) ويعتقد رئيس البعثة الألمانية أنه كان مخصصاً (لديونيسوس). ويرى الدكتور جورج حتي أنه كان معبد (أثار غارتيس)، بينما يرى آخرون أنه كان لفينوس أو ميركوري. وليس هناك رأي قاطع في ذلك. ويبلغ عرض بوابته الرئيسية ستة أمتار ونصف المتر، وارتفاعها ثلاثة عشر متراً ونصف المتر. ويقوم المعبد على قاعدة ارتفاعها خمسة أمتار، وكان يصعد إليه بثلاث وثلاثين درجة. وكان للمعبد (٤٧) عموداً، (١٥) منها في كل واجهة وثمانية على كل طرف. ويعتبر هذا الأثر أفضل أثر روماني في العالم من حيث المحافظة وبقائه. وسبب الهزات الأرضية انزلق الحجر الأوسط في عتبة البوابة العلوية عدة أقدام إلى أسفل وقد تم تدعيمه مؤقتاً في عام ١٨٧٠ م، ببناء جدار تحته بمنعه من السقوط. وجدران المعبد من الداخل تحتوي على كوى غير نافذة موزعة على مسافات منتظمة، ويحيط بكل كوة عمودين من كل جانب.

وفي العهد الإسلامية تم تدعيم وتحصين مجموعات الأعمدة للمعبدتين الصغير والكبير وشكلا معاً قلعة دفاعية حصينة.

المعبد الكبير

ويسمى معبد (جوبيتر)، وقد استخدم الرومان المصطبة الخاصة بمعبد (بعل) والتي ترتفع (١٥) متراً عن سطح الأرض، وقد ارتبط بناؤه بمعطيات السياسة الرومانية الخارجية، إذ أرادوا أن يبرهنوا لاتباع الديانات الأخرى - في مستعمراتهم خاصة - على مقدرتهم في فنون العمارة والهندسة. وتحيط بمعبد جوبيتر مجموعة أعمدة كبيرة من الحجر ذات تيجان كورنثية تعلوها الأفاريز، ولا تزال ستة من هذه الأعمدة قائمة إلى اليوم تواجه جبال لبنان بروعة مهيبه. ويرتفع كل عمود منها إلى علو (٦٢) قدماً، ويبلغ قطره سبعة أقدام ونصف القدم. ويتألف كل عمود من ثلاث قطع من الصخر نضدت فوق بعضها وربطت بينها أوتاد من المعدن في تحويها. ويبلغ طول كل جانب من الباحة التي أقيم فيها المذبح نحو (٣٤٠) قدماً.

وتقوم المصطبة التي ينتصب عليها المعبد على مجموعة هائلة من الأقبية. وكان يزين المعبد مختلف أنواع النقوش والتمائيل الخاصة بالأباطرة والأصنام والحيوانات الخرافية ونبات القمح والخشخاش (الذين يرمزان عندهم للحياة والموت)، وصور الجن المجنحين، وكيبويد الذي يحمل السهام، وغير ذلك من نقوش ونذور وكتابات.



★ القاعة السداسية ★

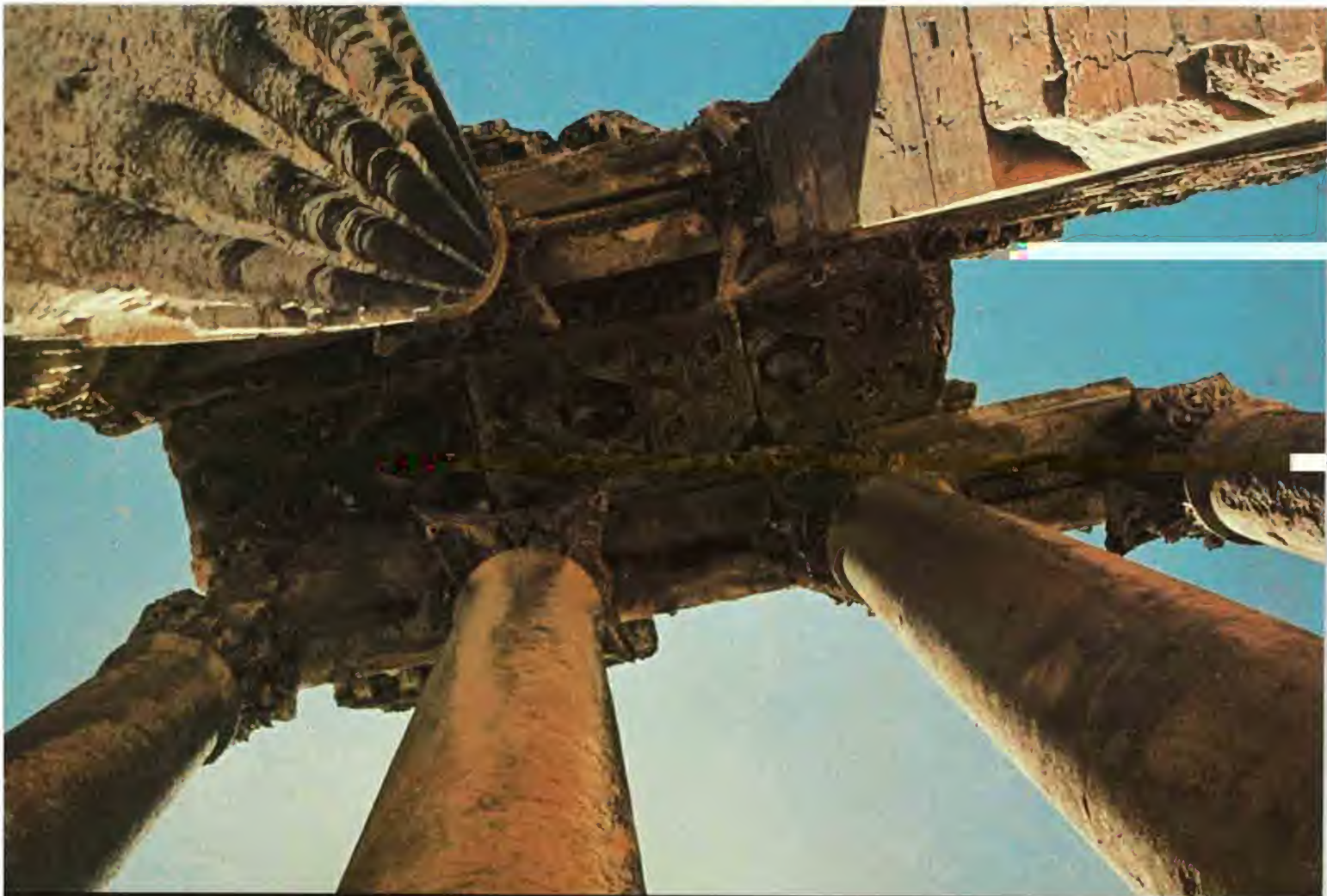
★ تفاصيل الأعمدة وزخارفها في معبد يانوس ★

المعبد المستدير

هو معبد دائري وشيّد الشكل . كان مكرساً لـلـوثن أنشوي هو (تيش) أو (فورتونا) Fortuna ، لكن أوائل المرتحلين إليه أطلقوا عليه اسم (معبد فينوس) وبقي هذا الاسم ملتصقاً به . وعند قدوم العرب بقي هذا المعبد خارج تحصينات القلعة العربية وهو يبعد عنها بحوالي (٣٠٠) متر . وقد ابتلعت مدينته بعلبك الناشئة في القرون الوسطى . وعندما بدأت البعثة الألمانية أعمالها ، كان هذا المعبد داخل البيوت السكنية والحدائق . واضطرت البعثة أن تزيل خمسة أمتار من الانقاض والمخلفات للوصول إلى الدرجة الأولى في سلم المعبد . وقد أدت الزلازل العديدة إلى تدمره وما بقي منه هو الجزء الجنوبي ، وفيما بين عام ١٩٣١ - ١٩٣٣ م ، أعيد تركيب ما بقي من حجراته . وتوجد في المعبد ستة أعمدة ذات رؤوس كورنثية تحيط به ، كما أظهرت الحفريات الأثرية بالقرب منه وتحت مسطبة شوارع مرصوفة (بالموزاويك) ، ومعبد آخر اسمه (معبد

الملهيات) Temple of Muses





★ أعمدة وسقف معبد بلّس ★

★ منظر عام لبلدة بعلبك ★



المسجد الأموي

ينسب بناء هذا المسجد إلى الصحابي أبي عبيدة بن الجراح ، ويرجح أنه بني ، في زمن ما ، من العصر الأموي ، نظراً لأنه أموي الطراز^(١) ، ولذلك يطلق عليه (المسجد الأموي) ، والمساحة الظاهرة للمسجد تبلغ حوالي (٢٨٠٠) متر مربع ، وقد تكون أكثر من ذلك ، نظراً لأن بيوت بعلبك القائمة اليوم قد زحفت إليه وأدخلت أجزاء منه في بنائها .

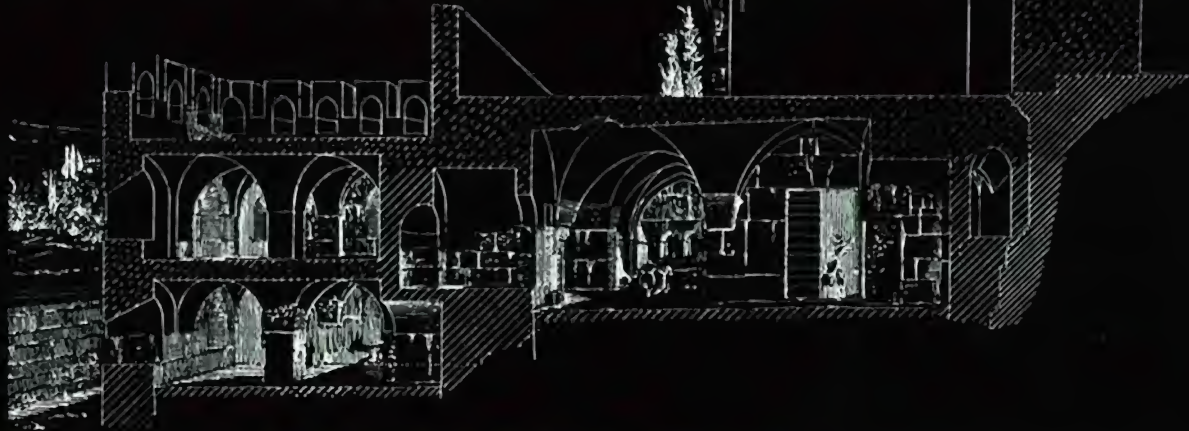
ويتألف المسجد من حرم داخلي وخارجي ، ومشذنة مربعة يبلغ ارتفاعها (٢٠) متراً ، وقد تهدم الجزء العلوي منها ، وفيه غرف لطلاب العلم ، وهناك ملحقات لم يكشف عنها بعد .

وقد تقشع سقف الحرم الداخلي تماماً وتهدمت بعض أجزائه ولم يبق منه إلا أعمدته الرشيقة ذات التيجان المزركشة التي تعلوها أقواس مقنطرة ذات حنيات جميلة . وفي الحرم الداخلي ثلاثة صفوف من الأعمدة الحجرية تقسوم على قواعد متينة . وترتبط الأعمدة مع بعضها عن طريق الأقواس . ويقع في الجانب القبلي محراب المسجد . وفي الحرم الخارجي مiazza كبيرة تحيط بها أربعة أعمدة . ويدخل إلى المشذنة من بوابة في الحرم الخارجي تقضي إلى دوح حجري لولبي الشكل .

ويتراوح سمك جدار هذا المسجد بين متر وربع ومترين ونصف المتر ، ويرتفع سورته القبلي إلى سبعة أمتار . كما رصفت أرض المسجد بالبلاط الحجري .

ومن المرجح أنه قد استخدمت في بنائه حجارة وأعمدة جاهزة كانت في معبد قديم لعطارد يقع على تل الشيخ عبد الله ، كما استخدمت هذه الحجارة بعد أن نقلت في تحصين القلعة العربية .

★ رسم للقلعة
بعلبك
كما كانت
في
العهد
الإسلامي ★



★ كتابة
عربية
على جدار
المسجد
تشير إلى
تحديد
بعض
أجزائه
في عهد
السلطان
قلاوون
(١٢٨٣)
★ م ١٢٨٤

★ صورة

تاريخية

لقلعة

ملك

العربية

عام

★ م ١٩٢١



رجال بعلبك . وحسبنا أن نذكر هنا ابن بعلبك وشاعر القطرين خليل مطران الذي قال في وصف آثارها :

خرب حارت البرية فيها
فتنة السامعين والنظار
* * *

الحواشي

(١) سورة الصافات - الآية ١٢٤ وما بعدها .

(٢) جوليا دومنة : الزوجة الثانية للإمبراطور (مسيثيوس سيفروس) (١٩٣ - ٢١١ م) ، كانت شخصية قوية في نظام خلفه (كاراكالا) ، وهي من مدينة حمص في سورية وابنة الكاهن الأكبر (باسيانوس) . وقد جمعت حولها الفلاسفة والمفكرين وزارات بلاد الغال ، حيث ولدت ابنها كاراكالا - وبريطانيا - وكانت تدبر دقة الحكم في الشؤون الإدارية والمالية عند غياب ابنها في الحروب ، وكانت إمبراطورة فعليه غير متوجة ، وصفت بأنها كانت على جانب كبير من الجمال والقوة الفكرية والمقدرة السياسية والأدبية .

(٣) اتخذ هؤلاء الأباطرة أسماء تبدو إغريقية ويمكن أرجاعها إلى أصلها العربي ومن أسماء ملوكهم بطليموس بن ماثوس (بطليموس بن معن) ، ليسانيوس بن ماثوس (لسان بن معن) ، زينودورس (زين الدار) .

(٤) أخذنا هنا بعض ما أورده الشيخ قاسم الشامي الرفاعي عن هذا المسجد ، ولم تصدر حتى الآن دراسة أثرية متعمقة عن هذا المسجد الهام .

المراجع

- ١ - تاريخ سورية ولبنان وفلسطين ، د . فليب حتي ، ترجمة د . جورج حداد ، وعبد الكريم رافق ، ج ١ ، و ج ٢ .
- ٢ - معجم البلدان : ياقوت الحموي ، المجلد الأول .
- ٣ - صفة جزيرة العرب : أحمد بن يعقوب الحمذاني .
- ٤ - بعلبك في التاريخ الإسلامي : الشيخ قاسم الشامي الرفاعي ، مجلة الفكر الإسلامي ، العدد العاشر - رمضان ١٣٩٧ هـ ، أيلول (سبتمبر) ١٩٧٧ م .

5 - BAALBEK HELIOPOLIS - City of The Sun, Nina Jidejian.

6 - Lumière Du Liban, F. Jalain et J. Boulad.

7 - Facts About Lebanon, the National Council of Tourism, Beirut, Lebanon.

وتظهر الكتابات المنقوشة في الأحجار باللغة العربية أنه تم تجديده أو توسعته عدة مرات من قبل ولاية الأمر . وتشير إحدى هذه اللوحات الحجرية أنه تم ترميم بعض أجزائه وإصلاحه خلال حكم المهاليك في عهد قلاوون (١٢٧٧ - ١٢٩٠ م) .

وإذا كان لنا أن نفكر بإحياء آثار بعلبك القديمة فيجب أن لا يغيب عن بالنا هذا المسجد الأثري التاريخي .

بعض مشاهير بعلبك

كانت مدينة بعلبك موطناً لكثير من الرجال المشاهير . وقد برز منهم العالم والفقير عيد الرحمن عمرو الأوزاعي (٧٠٧ - ٧٧٤ م) ، واشتهر بالعلم والزهد والجرأة الأدبية ، وعندما قدم المنصور إلى سورية سمع الأوزاعي يخطب فاعجب به إعجاباً شديداً . وقد وضع هذا الفقيه مذهباً فقهياً شاع في سورية نحواً من قرنين .

ومنهم الطبيب البارع قسطا بن لوقا الملقب بالبعليكي المولود عام ٨٢٠ م . وكان نظامياً بارعاً خلق خلقاً مختلف العلوم والفنون كما ترجم العديد من الكتب الإغريقية إلى اللغة العربية بتكليف من الخليفة العباسي المستعين بالله . كما كانت موطناً للشيخ عبد الله اليتوني الذي اعتزل عن الناس في الجبال وكان الناس يفتون إليه . وهناك تل يقع في الجهة الجنوبية الغربية من المعابد الرومانية ينسب إليه ويعرف باسم (تل الشيخ عبد الله) .

كما أن السلطان صلاح الدين الأيوبي قدم إلى بعلبك سنة ١١٣٩ م ، وكان عمره سنة واحدة - مع والديه وذلك عندما تم تعيين والده (أيوب) قائداً لحامية بعلبك بأمر نور الدين زنكي . وهكذا قضى صلاح الدين في ربوع بعلبك شطراً من طفولته وصباه . وكان هنالك فرع من سلالة أيوبية تتحدر من بعلبك من (طوران شاه) شقيق صلاح الدين .

كما أن تقي الدين أحمد المقرئ (١٣٦٤ - ١٤٤١ م) ، المؤرخ الذي عاش في مصر يتحدر من عائلة بعليكية . ولا نستطيع أن نذكر هنا كل مشاهير بعلبك ، ولو فعلنا لضاق بنا المقام ، لكنهم ، وقد ذكر ياقوت في معجمه بعض

قصيدة و قصة

وحشية العينين

قال الأصمعي : كنت في بعض مياه العرب ، فسمعت الناس
يقولون : قد جاءت ، قد جاءت ؟!
فتحول الناس فقامت معهم ، فإذا جارية قد وردت الماء ما رأيت مثلها قط
في حسن وجهها وقام خلقتها !
فلما رأت تشوق الناس إليها أرسلت برقعها فكانه غمامة غطت شمساً !
فقلت : لم تمنعينا النظر إلى وجهك هذا الحسن ؟
فأنشأت تقول :

وكنت متى أرسلت طرفك رائداً
لقلبك يوماً أتعبتك المناظر
رأيت الذي لا كله أنت قادر
عليه ولا عن بعضه أنت صابر !
ونظر إليها أعرابي فقال :
أنا والله من من قل صبره !
ثم قال :

أَوْحْشِيَّةُ الْعَيْنَيْنِ أَيْنَ لَكَ الْأَهْلُ
أَبِالْحُزْنِ حَلَّوْا أَمْ مَعْلَهُمُ السَّهْلُ
وَأَيَّةُ أَرْضٍ أَخْرَجَتْكَ فِلَانِي
أَرَاكَ مِنَ الْفَرْدُوسِ إِنْ فَتَشَ الْأَصْلُ
قَفِي خَبْرِنَا مَا طَعَمْتَ وَمَا الَّذِي
شَرِبْتَ وَمِنْ أَيْنَ اسْتَقَلَّ بِكَ الرَّحْلُ
لَأَنَّ عِلَامَاتِ الْجِنَانِ مُبَيِّنَةٌ
عَلَيْكَ وَإِنَّ الشَّكْلَ يَشْبَهُهُ الشَّكْلُ
تَنَاهَيْتَ حَسَنًا فِي النِّسَاءِ فَإِنْ يَكُنْ
لِبَدْرِ الدَّجَى نَسْلُ فَأَنْتَ لَهُ نَسْلُ

(روضة المهين ، ص ٢٤٢ - ٢٤٣) .

الشافعي

بناصر الحديث

ومنهجه الفقهي

بقام ، د. محمد سلام مذكور

في مقتبل العمر ، كما كان يرجع إليه شيخه سفيان في معاني الحديث أحياناً .

سمع الشاب عن فقيه بالمدينة المنورة يكثر الناس عن التحدث عن مكانته العلمية ، هو الإمام مالك . وعلم أن له كتاباً اسمه «الموطأ» صنف فيه الحديث وبوبه ، وعقب على كل حديث بما ورد حول موضوعه من أقوال للصحابة . فطلع الشافعي للقاءه والأخذ عنه . ورأى أن يتزود لذلك بقراءة الموطأ والتعرف على ما فيه ، فاستعاره من رجل بمكة ، كان قد اقتنى نسخة منه . ثم رحل إلى المدينة واستأذن مالكا في تلقي العلم عليه . ولما أحس مالك بذكاء الشافعي وما وهبه الله من مواهب ، بشره بأنه سيكون له شأن . وقال له : إن الله قد ألقى في قلبك نوراً فلا تطفئه بالمعصية .

بقي الشافعي ملازماً مالكا نحو تسع سنين حتى عُذَّ من أصحابه ، ولما مات مالك سنة ١٧٩ هـ ، انتقل الشافعي إلى اليمن مع واليها ، واشتغل في ولاية نجران ليتعيش من كسبه ، ولينلق عن شيوخها ما تلقوه عن الليث بن سعد فقيه مصر ، وعن الأوزاعي فقيه الشام .

وفي سنة ١٨٤ هـ ، وثى به الحاقدون إلى الخليفة الرشيد بأنه متشيع للعلوين ، وحقاً إن الشافعي كانت ميوله نحو علي واضحة إلا أن ذلك لم يصل إلى حد التشيع السياسي والعمل على نقل السلطان من أبدي العباسيين إليهم . استطاع الشافعي بقوة حجته وبمعاونة محمد بن الحسن الشيباني ، الخروج من هذه المحنة ، ثم صحبه محمد بن الحسن في بيته ، فدرس الشافعي فقه العراقيين ، وبذلك يكون قد اجتمع له علم أهل الرأي وعلم أهل الحديث . ومزج بين الاتجاهين ، وخرج من هذا المزيج

سبق أن نشرت في مجلة «الفصل» بالعدد الحادي عشر السنة الأولى بحثاً عن «أحمد بن حنبل ومنهجه الاجتهادي» وقدمنا لهذا البحث بكلمة عن الاختلافات الفقهية وأسبابها . وقد طلب مني رئيس تحريرها مشكوراً أن أكتب عن باقي الأئمة الأربعة . فأثرت أن أكتب عن الإمام الشافعي لأنه أستاذ الإمام أحمد ، ولأنها تجمعها مدرسة واحدة من ناحية المنهج الاجتهادي والأخذ بالخبر وتقديمه على دليل العقل . وسنوافي المجلة بعد ذلك بعون الله بمنهج الإمامين مالك وإبي حنيفة .

نشأة الشافعي

هو محمد بن إدريس الشافعي ، عربي قرشي يلتقي مع الرسول صلوات الله وسلامه عليه في جده عبد مناف ، ولد بغزة إحدى مدن فلسطين ، وتقع على شاطئ البحر الأبيض المتوسط ، وكان ذلك سنة ١٥٠ هجرية ، وهي السنة التي مات فيها الإمام أبو حنيفة ، فهذه السنة ولد فيها فقيه صارت له الإمامة في الفقه ، ومات فيها فقيه صاحب مدرسة فقهية كبيرة .

نشأ الشافعي يتيماً فقيراً إذ مات أبوه وهو في المهد ، فرحلت به أمه بعد سنتين من مولده إلى مكة المكرمة موطن آبائه . وحفظ القرآن الكريم بها ، ثم قصد إلى مضارب قبيلة هذيل بالبادية ، فتعلم الفصحى والشعر والفروسية ، وبرع في الرماية ، ثم اتجه إلى دراسة الحديث والفقه بمكة ، فجلس في حلقة كل من سفيان بن عيينة ، ومسلم بن خالد الزنجي . وبرز في هذا حتى أذن له شيخه مسلم أن يجلس للفتوى بالحرم الشريف وهو

بمذهب خاص أقامه على قواعد وأسس أصولية وخاصة أنه وضع أسس علم الأصول بعد أن رحل ثانية إلى مكة .

وفي سنة ١٩٥ هـ ، رحل إلى بغداد فالتف حوله العلماء ، وقدم لهم أروع الأدلة على حجية خبر الآحاد ، حتى أصبحت الأحاديث المقبولة تعد بالآلاف واتسع الاعتماد على السنة وعرف بين الناس بناصر الحديث ، كما بين لهم الناسخ والمنسوخ ، وأمل في هذه الفترة كتابه المبسوط المعروف بـ «الأم» ، وكتابه في الأصول المعروف بـ «الرسالة» .

وفي سنة ١٩٩ هـ ، شد الرحال إلى مصر وأخذ يلقي دروس الفقه والحديث واللغة بمسجد عمرو بن العاص بالفسطاط . وبقي الشافعي بمصر ، وتأثر فقهه بما شاهده فيها من عادات فكّون مذهباً جديداً وكان لنضجه الفقهي وكثرة اطلاعه وما لاحظته من أعراف أثر كبير . كما كان أسلوب الشافعي متميز في الحوار والجدل لما فيه من دقة البحث وحسن التصرف في الاستدلال^(١) .

واستطاع الشافعي بسلامة لسانه أن يرفع أسلوب التعبير الفقهي ، كما استطاع أن يرفع اللغة العربية إلى مستوى الدين^(٢) ، وكان رضي الله عنه قوي الحجة سهل العبارة عميق الفكرة واضح التعبير حريصاً على طلب الحديث والتثبت منه للاستدلال به .

وقد كان الشافعي معتدلاً بنفسه فلا يجادل وينظر إلا من يرى أنه نذ له . روى الفضل بن الربيع أنه قال للشافعي : أحب أن أسمع لك مناظرة مع الحسن بن زياد . فقال الشافعي : ليس الحسن بن زياد في هذا الحد ، ولكني أحضر بعض أصحابي حتى يكلمه بحضرتك^(٣) . ومات الشافعي بمصر ودفن بها سنة ٢٠٤ هـ .

فقه الشافعي

كان فقه الشافعي منظماً أتم على قواعد منضبطة وأسس أصولية حاكمية . فهو أول من أبرز علم أصول الفقه ووضع أسسه في رسالته المشهورة ، وكان عبد الرحمن بن مهدي قد كتب إليه أن يضع له كتاباً فيه معاني القرآن ويجمع مقبول الأخبار فيه وحجة الإجماع ويبين الناسخ والمنسوخ من القرآن والسنة^(٤) .

ضبط الشافعي الأحكام المتفردة تحت قواعد تحكمها ، ولا يقدم في الاستدلال على الحديث شيئاً ، يميل إلى إعمال اللفظ على حقيقته فيأخذ بما يمل به ظاهر اللفظ ما لم تصرفه عن ظاهره قرينة قوية . وقد فتح الشافعي بمنهجه الفقهي أعين الناس للاجتهاد إذ يقول : ليست تنزل بأحد من أهل دين الله نازلة إلا وفي كتاب الله دليل عليها ، وكل ما نزل بمسلم فقيه حكم لازم أمر على الحق فيه دلالة موجودة وإذا كان فيه بعينه حكم وجب اتباعه وإذا لم يكن فيه بعينه طلبت الدلالة على سبيل الحق فيه بالاجتهاد .

ولم يلتزم الشافعي بفقه كل من مالك وأبي حنيفة برغم دراسته له ، لأنه عاب عليهما أخذهما في الاستدلال بالحديث المرسل المتقطع بينما يرى هو عدم الأخذ بالحديث المرسل إلا عند وجود شروط خاصة ، كما أنه وجد الخلل يتطرق إلى مجتهديهم لعدم ضبط قواعد الجمع بين المختلفات . كما أنه وجد أن بعض الأحاديث الصحيحة لم تبلغ علماء التابعين ممن قاموا بالفتوى مما أدى إلى صدور فتاوى منهم تعتمد على الرأي والعمومات . ولما ظهرت هذه الأحاديث بعد ذلك لم يعمل بها فقهاء المدينة تقديماً لما عليه عمل أهل المدينة عليها ، ولم يعمل بها فقهاء العراق لحفائها عليهم أو لأنها من الأخبار التي لم تشتهر فقدموا عليها القياس والرأي . كما أنه لم يلتزم بفقههم لأخذهم بالاستحسان الذي كان مفهومه قبل وضع الضوابط أنه دليل ينقدح في نفس المجتهد لا يقدر على إظهاره لعدم مساعدة العبارة عنه . وقال الشافعي : «إن هذا التشريع منهم والتشريع ينبغي أن يكون لله وحده» فكل هذا جعله يتجه إلى أخذ الفقه من منابعه الأصلية دون اتباع لأحد ولذا فإنه عني بدراسة الحديث والاعتماد عليه في الاستنباط ، فكان يقول : «إذا صح الحديث فهو مذهبي» ويقول : «لا حجة في قول أحد دون رسول الله وإن كثروا ولا قياس ولا في شئ»^(٥) .

أصبح الشافعي صاحب مذهب فقهي له منهج خاص مميز . وقد تهيأ له ما لم يتهيأ لغيره ، فقد وجد ثروة فقهية من أحكام الفروع تشير إلى ما يسلكه أئمة الفقه في المدن الأخرى ، وقد عرف هؤلاء الأئمة عن قرب فنظر في فروعهم وتعرف على الموازين التي يزنون بها الفقه ، وساعده هذا على وضع قواعد علم الأصول وقد اتجه رضي الله عنه بهذه القواعد اتجهاً علمياً ونظرياً وجعل الفقه بهذا مبنياً على أصول مقررة منضبطة وليس مجموعة من الحلول الجزئية لمسائل واقعة أو مفترضة .

يقول الرازي : «استنبط الشافعي علم الأصول ووضع للخلق قانوناً كلياً يرجع إليه في معرفة مراتب أدلة الشرع» ، فهذا الاتجاه من الشافعي هو اتجاه العقل العلمي الذي لا يعني بالجزئيات والفروع . فكان تفكيره تفكير من لا يهتم بالمسائل الجزئية والتفاريع ، بل يُعنى بضبط الاستدلالات التفصيلية بأصول تجمعها^(٦) .

مصادر فقه الشافعي

يقول الشافعي - كما في الأم - العلم طبقات شتى : «الاولى الكتاب والسنة إذا ثبتت ، ثم الثانية الإجماع فيما ليس فيه كتاب ولا سنة ، والثالثة أن يقول بعض أصحاب رسول الله قولاً ولا نعلم له مخالفاً منهم ، والرابعة اختلاف أصحاب النبي في ذلك ، الخامسة القياس . ولا يصار في شيء غير الكتاب والسنة وهما موجودان» . فالشافعي يعتمد في الاستدلال أولاً على الكتاب والسنة ويجعل السنة في مجموعها في مرتبة الكتاب

عند استنباط الأحكام فيها المصدر الحقيقي للتشريع وغيرها تبع . فكلما الكتاب والسنة من عند الله وقد علم الأخذ بالسنة من الكتاب نفسه ، ولا يمكن أن يكون لها البيان إلا إذا كانت في مرتبة المبين في العلم .

ومع هذا فالسنة إن عارضت الكتاب أخذ به دونها ، وإن كان نص الكتاب محكماً استقل بالاستدلال دونها . ولذا فإنه ينظر في القرآن الكريم والسنة النبوية ، فإن لم يجد نصاً صريحاً فيها ولا مؤولاً استخرج المعاني والصفات في الأشياء المنصوص عليها ، ثم يلحق الحكم الذي لا يجد فيه النص إلى أقرب الأمور المنصوص عليها وصفاً به ، أو ما يشترك معه في معنى الحكم فهو لا يعتبر الفهم الشخصي في الشريعة بل يعتبر دائماً الفهم الموضوعي المادي ، ولذا فإنه يبني حكمه في حدود التصرفات القولية على الإرادة الظاهرة .

منهج الشافعي في موضع السنة من الكتاب

يقول الشافعي : إن السنة بالنسبة للكتاب إما أن تكون مبينة لمجمله . . . ومبينة لفرائض تثبت في القرآن بالنص وزاد النبي عليها بما يوحى إليه ما يتصل بها أو يترتب عليها ، وإن تأتى بحكم في القرآن نص عليه . . . وأن تبين الناسخ والمنسوخ . وقال : لم أعلم من أهل العلم مخالفاً في أن سنن النبي من ثلاثة وجوه . فأجمعوا منها على وجهين . أحدهما ما أنزل الله فيه نص كتاب فبين الرسول مثل نص الكتاب . والآخر مثل ما أنزل الله فيه جملة كتاب فبين عن الله معنى ما أراد . أما الوجه الثالث المختلف فيه فهو ما سن رسول الله ﷺ فيما ليس فيه نص كتاب (٧) .

فمنهم من قال : لم يسن سنة قط إلا ولها أصل في الكتاب . ومنهم من قال : بل جاءته به رسالة الله فأثبت سنته بفرض الله ، ومنهم من قال : ألقي في روعه كل ما سن ، وسنته الحكمة التي ألقي في روعه عن الله عز وجل ، ويقول الله سبحانه وتعالى : ﴿ رَيْنَا وَأَبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ ﴾ ، قال الشافعي : الكتاب هو القرآن والحكمة سنة رسول الله . وهناك من قال : جعل الله له بما افترض من طاعته وسبق في علمه من توقيفه لرضاه أن يسن فيما ليس فيه نص كتاب (٨) .

وتوسع الشافعي في إثبات حجية السنة بسرد الأدلة من القرآن . وكان ذلك منه للرد على من يحاول انكار حجيتها ، أو تقييد حجيتها بما إذا عضدها شيء من القرآن وكانت مبينة له فلا تكون مصدراً مستقلاً ولا تقبل في أمر زائد عليه ، وليرد أيضاً على من ينازعون في حجية خبر الأحاد بحجة أنه ظني في ثبوته لقيام احتمال التدليس فيه .

ويشترط الشافعي للاحتجاج بخبر الواحد الذي جعله في الاحتجاج دون الكتاب والسنة المجمع عليها ، أن يكون الراوي في كل طبقة ثقة في دينه عاقلاً لما يحدث فاهماً له ضابطاً لما يرويه سمع الحديث ممن يروى عنه وإلا كان

مدلساً ، واشترط ألا يكون الحديث مخالفاً لحديث أهل العلم إن شاركهم في موضوعه .

ومع أن الشافعي يرى أن العمل به أمر لا بد منه ، وأنه يقدم في ابتناء الحكم واستنباطه على كل من القياس وما عليه عمل أهل المدينة . فإنه على الرغم من ذلك لا يرى معاقبة الشاك فيه وبالجملة فإن الشافعي يتوسع في الأخذ بخبر الواحد ما لم يتوسع الأئمة قبله ، حتى قال ابن العربي : إذا جاء خبر الواحد معارضاً لقاعدة من قواعد الشرع فإن أبا حنيفة لا يجيز العمل به بينما يعمل به الشافعي . ويتردد مالك فإذا عضدته قاعدة أخرى قال به . وإن كان وحده تركه (٩) .

ويذهب الشافعي في الحديث المرسل مذهباً وسطاً ، فهو يأخذ به إذا انتهى إلى كبار التابعين ، وأسند مرسل ذلك التابعي أو قوي بمرسل آخر مقبول ، أو قول صحابي ، أو فتوى جماعة من العلماء . . . وانتهى الشافعي إلى قوله : ومن نظر في العلم بخبرة وقلة غفلة استوحش من مرسل كل من دون كبار التابعين بدلائل ظاهرة .

وبالرغم من أن الشافعي جعل السنة في درجة القرآن من ناحية الاستدلال على أحكام الفروع حتى يكون الاستنباط صحيحاً مستقياً ، وذلك باعتبار أنها شرح وبيان لما جاء بالقرآن ، فإنها لا تكون ناسخة للقرآن عنده ، كما لا ينسخها القرآن ، وإنما ينسخ الكتاب بالكتاب والسنة بالسنة . وإذا جاء ما يشعر بنسخ السنة بالقرآن فإنه لا بد من وجود سنة أخرى ناسخة (١٠) .

وينظر الشافعي في السنة فإذا كان بينها اختلاف فإن عرف فيه الناسخ والمنسوخ عمل بالناسخ وترك المنسوخ . أما إذا لم يعرف ، وكان الاختلاف في ظاهر القول في المعنى فإنه يسار إلى التوفيق بينها ما أمكن التوفيق ولا يسار إلى الاختلاف إلا عند تعذر التوفيق . وإذا كان الاختلاف في المعنى الظاهر فإنه يفرض أن أحدهما متأخر وناسخ ، وقد روي المنسوخ من غير أن يعلم رواه أنه منسوخ ويلزم التحري لمعرفة ذلك . فإذا لم يمكن معرفة المتأخر بعد التحري وازن الشافعي بين الحديثين من حيث السند ، وبأخذ بالآقوى منها ، فإذا استوى السند بحث عن الشواهد في نصوص القرآن أو السنة الثابتة أو القرائن الأخرى . ويقول الشافعي : « ولم نجد عنه شيء شيناً مختلفاً » (١١) . فكشفناه إلا وجدنا له وجهاً يحتمل به ألا يكون مختلفاً (١٢) .

نظرة الشافعي للإجماع وعمل أهل المدينة

يعتبر الشافعي الإجماع حجة في غير موضع النص ولو خبر آحاد إلا إذا كان الإجماع يستند إلى نص رواه جماعة عن جماعة فإنه يقدم عليه ، وبين أصله من الكتاب والسنة ووضع له المقاييس وهو يتحقق عنده باتفاق جميع المجتهدين بعد عصر الرسالة على حكم شرعي ، يقول الشافعي : لا أقول ولا أحد من أهل العلم هذا مجتمع عليه إلا لما تلقى عالماً

موقف الشافعي من الاحتجاج بقول الصحابي

يجعل الشافعي قول الصحابي في مرتبة تالية للنص والإجماع لكنه مقدم عنده على القياس، ويرتب أقوالهم عند اختلاف مراتبهم في القوة، فهو يقول في الرسالة: نصير في أقوال الصحابة إلى ما وافق الكتاب والسنة أو الإجماع أو ما كان أصح في القياس، أما إذا قال واحد منهم القول لا يحفظ عن غيره منهم فيه له موافقة ولا خلافها. فإن أهل العلم يأخذون بقول الواحد منهم مرة ويتركونه أخرى ويتفرقون في بعض ما أخذوا به منهم. وإني أتبع قول أحدهم إذا لم أجد كتاباً ولا سنة ولا إجماعاً ولا شيئاً في معنى هذا^(١٨).

وقد أثير عنه أنه قال بالنسبة لأقوال الصحابة: رأيهم لنا خير من رأينا لأنفسنا، ويقول: هم فوقنا في كل علم واجتهاد وورع وعقل. وأراؤهم لنا أحمد وأولى بنا من رأينا^(١٩).

ومن هذا يظهر أن الشافعي رضي الله عنه يأخذ بما أجمع عليه الصحابة وبما يقوله واحد منهم دون أن يكون لغیره موافقة فيه أو مخالفة. أما ما يختلفون فيه فإنه يتميز من أقوالهم بحيث لا يخرج عنها وأن أساس الاختيار وجود دليل آخر يعضده.

مدى حجية القياس عند الشافعي

الشافعي يعتبر القياس حجة ويستند إليه في استنباط الأحكام إذا لم يقف على نص ولا إجماع في المسألة. بل يحصر الشافعي الرأي المعتبر في القياس ويضعه لبعض أدلة العقل الأخرى - التي يعتبرها فقهاء الرأي - إلى القياس. يقول الشافعي: «كل ما نزل بمسلم فقيه حكم لازم أو على سبيل الحق فيه دلالة موجودة وعليه إذا كان فيه بعينه حكم وجب اتباعه أو إذا لم يكن فيه بعينه طلبت الدلالة على سبيل الحق فيه بالاجتهاد. والاجتهاد القياس. فإذا كان الشيء في معنى الأصل فلا يختلف القياس فيه وإن كان الشيء له في الأصول أشباه فذلك يلحق بأولاهها به وأكثرها شبيهاً فيه. وقد يختلف القايسون في هذا»^(٢٠).

وعلى هذا فإن الشافعي يمنع الاجتهاد بالرأي إذا لم يكن هناك نص يقيس عليه. فالقول بغير خبر ولا قياس على الخبر غير جائز. وبالتالي فالثابت بالقياس لا يكون أصلاً يقاس عليه، فلا بد أن يكون الأصل المقيس عليه ثابتاً بالنص، ومع هذا فليست كل النصوص قابلة لأن تكون أصلاً يقاس عليه، فهناك نصوص جاءت في أمور خاصة وقامت القرينة على عدم عمومها، وكذلك فقد جاءت نصوص على سبيل الاستثناء من القاعدة الأصلية وتكون من قبيل الرخص المستثناة.

والقياس عند الشافعي مراتب: أقواها أن يحرم الله في كتابه أو يحرم رسوله القليل من الشيء فيعلم أن تحريم كثيره بالأولى، وكذلك إذا حدد

أبداً إلا قال ذلك وحكاه عن قبله. كالظاهر أربع^(٢١). ويقول: ما اجتمعوا عليه وذكروا أنه حكاية عن رسول الله ﷺ فكما قالوا أما ما لم يحكوه فاحتمل أن يكون قاله حكاية عن الرسول واحتمل غيره فلا يجوز أن تعدله حكاية. لأننا نقول بما قال به من قبلنا اتباعاً لهم، ونعلم أن عامتهم لا تجتمع على خلاف السنة عن رسول الله ولا على خطأ^(٢٢). فقد أخبرنا سفيان بن عيينة بن عبد الملك بن عمير، عن عبد الرحمن عبد الله بن مسعود عن أبيه أن رسول الله ﷺ قال: «نضر الله عبداً سمع مقالتي فحفظها ووعاها وأداها. فرب حامل فقه غير فقيه، ورب حامل فقه إلى من هو أفقه منه. ثلاث لا يغل عليهن قلب مسلم: إخلاص العمل لله، والنصيحة للمسلمين ولزوم جماعة المسلمين فإن دعوتهم تحيط من ورائهم».

وعلى هذا فالشافعي لا يعتبر إجماع أهل المدينة وحدهم إجماعاً ملزماً ولذا فإنه إذا تعارض ما عليه عمل أهل المدينة مع خبر الواحد قدم الخبر. ويقول رضي الله عنه: أرايم إذا سئل من الذين اجتمعوا بالمدينة أهم الذين ثبت لهم الحديث أم ثبت لهم ما اجتمعوا عليه وإن لم يكن فيه حديث؟! فإن قلتم نعم. قلت: يدخل عليكم أنه لو كان إجماع لم تكونوا وصلتم إلى الخبر عنه إلا من جهة خبر الانفراد الذي رددتم مثله في الخبر عن رسول الله ﷺ. فإن ثبت خبر الانفراد لما ثبت عن النبي أحق أن يؤخذ به. كما أنكم كيف تقولون أجمع أصحاب رسول الله وهم يختلفون على لسانكم وعند أهل العلم^(٢٣).

ومع هذا فقد روى البيهقي أن مناظرة وقعت بين الشافعي وآخر حول هذا الموضوع. فقال الشافعي: «إذا وجدت أهل المدينة على شيء فلا يدخل قلبك شك أنه الحق. وكل ما جاءك وقوي كل القوة لكنك لم تجد له بالمدينة أصلاً وإن ضعفت فلا تبعاً به».

وهذا النقل يشعر بأن الشافعي يعتبر ما عليه أهل المدينة ويقدمه على خبر الأحاد، وهذه الرواية إما أن تكون غير صادقة بالنسبة إليه ويكون وجه الطعن في صحتها مخالفتها للمشهور من أصوله وأقواله والمدون في كتبه وهي أولى بالأخذ والاعتبار، وإما أن يكون ذلك كان رأياً له أيام كان من أصحاب مالك وأنه كان يقرر من هذا إذا كان ذلك رأياً له في دور من أدوار اجتهاده، ولكنه ليس رأيه الذي انتهى إليه وقرره في مصر ودونته في كتبه بها^(٢٤).

وإذا كان الشافعي لا يعتبر الإجماع السكوتي حجة إذ لا يثبت لسكوت قول وناقش الحنفية في اعتبارهم له^(٢٥)، فإن كثيراً ما اشتهد في الجدل على من يحاجه بالإجماع حتى لقد قال في إحدى المناقشات: «دعوى الإجماع خلاف للإجماع».

ويبدو أن الشافعي يحصر الإجماع في أضيق صوره التي لا يسع أحداً جهلها، فذلك الإجماع... وفي أشياء من أصول العلم دون فروعه. فأمّا ما ادعيت من الإجماع حيث أدركت التفرق في دهره وتحكى عن أهل كل قرن فانظره أن يكون هذا إجماعاً^(٢٦).

الاستحسان والمصلحة المرسلية وموقف الشافعي منها

أبطل الشافعي القول بالاستحسان وحمل على القائلين به حملة شديدة ، فقد روي عنه أنه قال : **من استحسن فقد شرع والتشريع لله وحده** . وقال : **إن القول بالاستحسان باطل** (٣١) . وقال : **إن** القول بالاستحسان قول بالتشهي وترك القياس به يكون تركاً للحجة لاتباع هوى أو شهوة نفس فكان باطلاً . وجاء في الرسالة للشافعي : **إن حراماً على أحد أن يقول بالاستحسان إذا خالف الاستحسان الخبر** . وإن حلال الله وحرامه أولى ألا يقال فيه بالتعسف ولا بالاستحسان أبداً إنما الاستحسان تلذذ (٣٢) . ولو جاز تعطيل القياس جاز لأهل العقول من غير أهل العلم أن يقولوا فيما ليس فيه خبر بما يحضرم من الاستحسان ؟ (٣٣) ، ودلل الشافعي على بطلان الاستحسان ، فقال : **ولم يجعل الله لأحد بعد رسول الله أن يقول** إلا من جهة علم مضى قبله .

ويبدو أن الاستحسان الذي أبطله الشافعي وحاربه هو القول بالهوى والتشهي وخاصة أنه عرف قديماً بأنه عبارة عن دليل ينقدح في نفس المجتهد لا يقدر على اظهاره لعدم مساعدة العبارة عنه كما ينقله الآمدي الشافعي عن أصحاب أبي حنيفة . أما الاستحسان المستند إلى دليل فإن الشافعي أخذ به واعتبره مصدراً ، فثلاً في الشفعة استحسن الشافعي أن يبقى للشفيع حق طلب الموائبة إلى ثلاثة أيام وهذا استحسان في مقابلة القياس ، واستحسن اجازة التعاقد على دخول الحمام مع جهالة المدة التي سيمكثها ومقدار الماء الذي يستهلكه . وقد نقل الآمدي الشافعي عن إمامه أنه استحسن في المتعة أن تكون ثلاثين درهماً . . واستحسن ترك شيء للمكاتب من نجوم الكتابة ، وقال في السارق إذا أخفى يده اليسرى بدل اليمنى فقطعت القياس أن تقطع يمينه والاستحسان أن لا تقطع (٣٤) .

أما المصلحة المرسلية أي التي سكت عنها الشارع ، وليس لها أصل معين تقاس عليه ، فإن كانت المصلحة فيه ضرورة فلا نزاع على التحقيق بين القائلين بالقياس في جواز اعتباره في الجملة دليلاً والتعليل به . **فالغزالي الشافعي لا يعتبر المصلحة دليلاً إلا إذا كانت مرسلية وضرورية قطعية** كلية (٣٥) ، ويعبر فقهاء الشافعية عن المصلحة بالوصف المناسب ، ويتكلمون عنها هم وفقهاء الحنفية ضمن كلامهم عن القياس .

ويبدو أن الشافعي يعتبر المصلحة المرسلية مصدراً إذا كانت تشبه مصلحة مقيدة بإجماع أو بنص ، وهذا ما يفيد قوله في الرسالة عند الكلام عن القياس : **وأن يكون الشيء له في الأصول أشباه فهذا يلحق بأولاه وأكثرها شياً فيه** (٣٦) ، ويقول الزنجاني الشافعي : **ذهب الشافعي إلى أن التمسك بالمصالح المستندة إلى كلي الشرع وإن لم تكن مستندة إلى**

على سبيل من الطاعة كان ما هو أكثر منه أولى أن يحمد عليه ، وكذلك إذا أباح الكثير كان القليل أولى بالإباحة . مما يسمى بالقياس الأولوي . وقد ضرب الشافعي الأمثلة لكل ذلك (٣٧) ، ثم يقول في الرسالة : **« ما كان لله فيه حكم منصوص ثم كانت لرسول الله سنة بتخفيف في بعض الفروض دون البعض عمل بالرخصة فيما رخص فيه رسول الله دون ما سواها ولم نفس ما سواها عليه ، وهكذا ما كان لرسول الله من حكم عام بشيء ثم سن فيه سنة يفارق الحكم العام »** (٣٨) .

وهذا يفيد أن هناك نصوصاً لا يقاس عليها وإنما يقتصر فيها على موضع النص ، وهذه النصوص هي التي تكون مخالفة للأمور الثابتة أي التي جاءت بحكم استثنائي . وهذا يفيد بالتالي أن الشافعي لا يقيس على الرخص ، باعتبار أنها أمور مستثناة والاستثناء لا يتوسع فيه . ويمثل بقوله : **قد فرض الله تعالى الوضوء على من قام إلى الصلاة من قوله سبحانه وتعالى : « يا أيها الذين آمنوا إذا قمتم إلى الصلاة فاغسلوا وجوهكم وأيديكم إلى المرافق وامسحوا برؤوسكم وأرجلكم إلى الكعبين »** . فقد قصد النص القرآني الكريم الرُّجُلَيْنِ بالطهارة ، كما قصد سائر أعضاء الوضوء من الوجه واليدين . فلما مسح الرسول ﷺ على الخفين لم يكن لنا أن نمسح على العمامة ولا على برقع ولا قفازين قياساً عليها (٣٩) .

وبالرغم من هذه العبارات الصريحة التي نقلناها عن الشافعي في القياس على الرخص والمستثنيات ، فإننا نجد في كتب أصول الشافعية التصريح بالجواز خلافاً للحنفية . ونجدها قد فرغت على ذلك بعض الفروع الفقهية (٤٠) . وقد حقق العطار ذلك وحمل عدم الجواز في القياس على الرخص الواردة في الفروع على الرخص التي لا يعقل لها معنى . أما الرخص التي يعقل لها معنى فيجوز القياس فيها (٤١) . واتجه الشريبي إلى أن الرخص التي يقتصر فيها على مورد النص هو أصول الرخص بخلاف الرخصة الواحدة فإنه يجوز القياس عليها (٤٢) .

لكن الأسنوي ينسب إلى الشافعي القول بعدم جواز القياس عليها كما جاء في التمهيد (٤٣) ، ومذهب الشافعي كما في المحصول أنه لا يجوز القياس في الحدود والكفارات والتقديرات والرخص إذا وجدت شرائط القياس فيها . . . وقد رأيت في البريطي الجزم بالمنع في الرخص ، فقال : **ولا يتعدى بالرخص موضعها ، وقد اتسع النقاش والجدل في هذا بين الكاتبين من فقهاء الشافعية** (٤٤) .

وكلام الشافعي في الرسالة يشعر بتعميم منع القياس على الكفارات والحدود إذ يقول : **ولم نفس ما لزم من عزم بغير جراح خطأ على ما لزمه بقتل خطأ** (٤٥) . مع أننا نجد في كتب الأصول ما هو صريح في أن القياس عليها يجزئه الشافعية خلافاً للحنفية ، ويذكرون أدلة الجواز بأن الدليل على حجية القياس يتناولها بعمومه فوجب العمل به فيها ، وأن الصحابة حدوا في

في الفقه والأصول واللغة ، ومزج بين فقه الرأي وفقه الحديث بعد أن درس كلًّا منها فاجتمع له الفقه الذي يغلب عليه النقل والفقه الذي يغلب عليه العقل . وقال عنه أحمد بن حنبل : كان الفقه نقلًا على أهله حتى فتحه الله بالشافعي وذلك بتأصيله الأصول وكتابته الرسالة ونشرها . ورحم الله الشافعي ، فقد انتشر مذهبه في الأفانق واستطاع أن يزاخم المذهب الحنفي والمذهب المالكي في بعض المناطق مع سبقها مع شدة حرصه على النهي عن التعصب المذهبي ، فيروى عنه أنه قال لصاحبه الربيع : يا أبا اسحاق لا تقلدني في كل ما أقول وانظر في ذلك لنفسك فإنه دين . ويقول ما صح عن النبي ﷺ أولى بالاتباع ولا تقلدوني وإذا صح خبر يخالف مذهبي فاتبعوه واعلموا أنه مذهبي . حقاً إنه ناصر الحديث .

الهوامش

- (١) انظر في ذلك وغيره من تاريخ الشافعي : مناقب الشافعي للرازي ، الانتقاء في فضائل الأئمة لابن عبد البر ، تاريخ بغداد ، وفیات الأعيان لابن خلكان ، الشافعي لأبي زهرة ، الشافعي لعبد الحليم الجندبي ، وانظر لنا منافع الاجتهاد في الإسلام ج ٢ ، ص ٦٤٤ / ٦٥٤ .
- (٢) انظر في ذلك بحثاً منشوراً بجملة اللسان العربي التي تصدر بالمغرب العدد السادس بنابر / كانون الثاني سنة ١٩٦٩م ، ص ٢٦٠ / ٢٦٢ .
- (٣) ميزان الاعتدال للذهبي ج ١ ، ص ٢٢٨ .
- (٤) الرسالة ص ٤٠ / ٣٦ .
- (٥) حجة الله البالغة للدغلوي ص ٣٠٩ / ٣١١ .
- (٦) تمهيد لتاريخ الفلسفة الإسلامية لمصطفى عبد الرزاق ص ٣٣٠ .
- (٧) الرسالة ص ٢٨ .
- (٨) المرجع السابق ص ١٤ .
- (٩) أحكام القرآن لابن العربي .
- (١٠) الرسالة ص ٧٣ / ٣٠ ، انظر تاريخ المذاهب الإسلامية لأبي زهرة ج ٢ ، ص ٢٥٧ .
- (١١) الرسالة ص ٥٩ .
- (١٢) الأم : إبطال الاستحسان ج ٧ ، ص ٢٧١ .
- (١٣) الرسالة ص ١٢٥ .
- (١٤) الأم ج ٧ ، ص ٢٤٢ .
- (١٥) انظر لنا منافع الاجتهاد في الإسلام ج ٢ ، ص ٦٦٦ طبع جامعة السكوت ، وانظر : الشافعي لأبي زهرة ص ٢٥٩ .
- (١٦) الأم ج ٧ ، ص ٢٥٧ ، والأحكام في أصول الأحكام للامدي ج ١ ، ص ٣٦١ .
- (١٧) الأم ج ٧ ، ص ٢٥٧ .
- (١٨) الرسالة ص ١٥٨ / ١٥٩ .
- (١٩) اعلام الموقعين لابن القيم ج ٢ ، ص ٢٤١ / ٢٤٢ .
- (٢٠) الرسالة ص ١٢٨ / ١٢٩ .
- (٢١) المرجع السابق ص ١٣٧ / ١٣٨ .
- (٢٢) المرجع السابق ص ١٤٥ .
- (٢٣) المرجع السابق نفس الصفحة .
- (٢٤) جمع الجوامع بمجانبة العطار وشرح الجلال الجلي ج ٢ ، ص ٢٤٣ ، المستقل للغزالي ج ٢ ، ص ٣٢٦ ، تخریج الفروع على الأصول للزنجاني ص ٨٥ .
- (٢٥) العطار على شرح الجلال الجلي ج ٢ ، ص ٢٤٣ / ٢٤٤ .
- (٢٦) تقرير الشريفي على جمع الجوامع ج ٢ ، ص ٢٤٣ .
- (٢٧) التمهيد للأستوي ص ١٤٠ .
- (٢٨) نبراس العقول لقيس منون ص ١٢٦ .
- (٢٩) الرسالة ص ١٤٧ .
- (٣٠) الأحكام للامدي ج ٣ ، ص ١٣٦ / ١٣٧ ، ارشاد الفحول للشوكاني ص ٢٢٣ .
- (٣١) نيل الأوطار ج ٥ ، ص ٢٥٦ .
- (٣٢) مقدمة الام للشافعي ج ١ ، ص ٦٩ .
- (٣٣) الأم ج ٧ ، كتاب إبطال الاستحسان .
- (٣٤) الأحكام ج ٣ ، ص ١٣٧ .
- (٣٥) المستنصر ج ١ ، ص ٢٨٧ / ٢٩٣ ، وانظر الأستوي على المنافع ج ٣ ، ص ١٤٠ .
- (٣٦) الرسالة ص ١٢٨ .

الجزئيات الخاصة المعينة جائز مثال ذكر ما ثبت من إجماع الأمة أن العمل القليل لا يبطل الصلاة والعمل الكثير يبطلها . قال الشافعي : حد العمل الكثير ما إذا فعله المصلي اعتقده الناظر إليه متحلاً عن الصلاة وخارجاً عنها ، كما لو اشتغل بالخياطة ، والكتابة ، وغير ذلك ، والعمل القليل ما لا يعتقد الناظر مرتكبه خارجاً عن الصلاة كتسوية ردائه ومسح شعره ، وليس لهذا التقدير أصل خاص يستند إليه وإنما يستند إلى أصل كلي . وهو أنه قد تقرر في كليات الشرع أن الصلاة مشروعة للخشوع والخضوع ، لما دام الإنسان على هذا الخشوع يعد مصلياً ، وقال : إن قتل الجماعة بالواحد من هذا القبيل .

أسلوبه العلمي وقوة حجته

كان أسلوب الشافعي متميزاً في الحوار والجدل لما فيه من دقة البحث وحسن التصرف في الاستدلال ، وقد كثرت مناظراته ، وكان قوي الحجة سهل العبارة عميق الفكرة بعيد الحرص حاضر البديهة يعتمد في فقهه على النصوص حريصاً على طلب الحديث . ويروى أن أحد الملاحدة سألته الدليل على وجود الله ، فقال : « ورقة التوت طعمها ولونها ورجمها وطبعها واحد . لكن تأكلها دودة القز فتخرج الحرير ويأكلها النحل فيخرج العسل وتأكلها الشاة فترمي اللحم وتخرج اللبن وتأكلها الظباء فتغذيها وينعقد في فوالجها المسك فمن الذي جعل هذه الأشياء متنوعة الافرازات والغذاء واحد . إنه الله سبحانه وتعالى » .

ويروى أنه دخل على محمد بن الحسن الشيباني الفقيه الحنفي وهو يطعن على فقهاء المدينة في قضائهم بشاهد واحد ويمين المدعي ويقول : هذا زيادة على كتاب الله بنجر الواحد . فقال له الشافعي : ألا تحبون ذلك ؟ قال محمد : نعم ، فقال الشافعي : لم قلم إن الوصية للوارث لا تجوز لخبر (ألا لا وصية لوارث) ، مع أن الله يقول : ﴿ كتب عليكم إذا حضر أحدكم الموت إن ترك خيراً الوصية للوالدين والأقربين ﴾ . ويقول : ﴿ والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجاً وصية لأزواجهم متاعاً إلى الحول ﴾ . ثم بين الشافعي فقه المسألة وقال إن النص القرآني في ميراث الوالدين والأقارب والميراث بين الزوجين ، محتمل أن يكون ذلك ناسخاً للوصايا ومحتمل للإرث والأخذ بالوصية أيضاً . فوجب على أهل العلم طلب الدلالة من كتاب الله تعالى ، فلما لم يوجد طلبوه من سنة رسول الله ﷺ .

وقال : وجدنا أهل الفتيا ومن حفظنا عنهم .. لا يختلفون في أن النبي ﷺ قال : عام الفتح لا وصية لوارث ولا يقتل مؤمن بكافر ويؤثرونه عمن حفظوا عنه ممن لقوا من أهل العلم بالمغازي فكان هذا نقل عامة عن عامة وكان أقوى في بعض الأمور من نقل واحد عن واحد .. ثم قال : فاستدللنا بما وصفت من نقل عامة أهل المغازي عن النبي ﷺ على أن الموارث ناسخة للوصية للوالدين والزوجة مع الخبر المنقطع الذي رواه بعض الشاميين والذي قبلناه كما وصفنا من نقل أهل العلم بالمغازي وإجماع العامة عليه . فهذا أسلوب الشافعي في الحوار والجدل تلمس فيه حسن التصرف وقوة الحجة وشدة التعلق بالحديث وتمسكه به . ورحم الله الشافعي فقد كان إماماً



قبل

شعر:

شاكر سليمان شكوري

يَهْوُ عَلِيَّ أَنْ تَشَقَّ عُيُونِي
وَمَا هَانَتْ لِأَجْلِ سَوَاكَ قَبْلُ
وَلَا بَعْدُ .. وَلَكِنِّي سَعِيدٌ
إِذَا هَانَتْ .. وَفِي عَيْنِكَ تَحْلُو
إِذَا أَرْضَاكَ أَنْ تَعَيَّنَ عُيُونِي
لَأَجْلِكَ .. فَلْيَكُنْ لَوْ كَانَ قَتْلُ
وَلَوْ ذَابَتْ مِنْ الْأَلَامِ رُوحِي
لَجَأْتُ إِلَى خَنَائِكَ أَسْتَظِلُّ
أُغَالِي فِيكَ كُلَّ النَّاسِ طُرّاً
وَأَنْتَ لَهَا لَعَمْرُ اللَّهِ أَهْلُ
رَضِيْتُ عَلَى حَيَاةٍ كُنْتُ فِيهَا
زَهوداً .. كُلَّ مَا فِيهَا مُمْلُ
لَأَنَّكَ كُنْتَ لِي فِيهَا خَنَاءً
وَإِحْسَاناً كَهَطَّالٍ يَهْلُ
أَحِبُّكَ هَذِهِ أَهْأُ قَلْبِي
شَظَايَا .. إِنْ لَقَيْتُكَ تَضَمَّجِلُ



ماهو القانون الإنساني

بقلم: د. إحسان هندي

★ يؤكد الفلاسفة عن حق أن الإنسان مخلوق أنثني يتنازع داخل طيات نفسه عاملا الخير والشر معاً . ونجد هذين العاملين في كل واحد من بني الإنسان فردياً ، كما نجدهما بشكل جماعي لدى مجتمع معين أو لدى الجنس البشري ككل . وإذا استقرنا أحداث التاريخ ، منذ مقتل (هابيل) على يد أخيه (قابيل) حتى اليوم ، وكذلك مختلف الانجازات ومظاهر الحضارة الإنسانية ، نجد تأثير هذه الانثنية ظاهراً فيها بوضوح وخاصة في مضمار المؤسسات القانونية بشكل خاص : فالقانون - بالمفهوم الواسع للكلمة « مجملة من القواعد الامرة التي تنظم العلاقة بين أفراد جماعة معينة » - كان من الممكن ألا يكون لوجوده أي ضرورة لولا تلك النزعة الشريرة التي تظهر أحياناً في أحد بني الإنسان ، أو في جماعة منهم ، ضد فرد آخر (أو جماعة أخرى) ، وتنصب على شخصه أو أحد أفراد عائلته أو على ملكيته المنقولة وغير المنقولة ★

يحدث المتحارب في خصمه من الأضرار الجسائية أو المادية أكثر عما تتطلبه مقتضيات النصر في المعركة من جهة ثالثة .

وهكذا في مضمار انجاز معين في انجازات الإنسانية ، وهو القانون الدولي ، ظهرت ثلاثة فروع جديدة هي :

١ - قانون الحد من الحروب DROIT PRÉVENTIF DE LA GUERRE

٢ - قانون الحرب DROIT DE LA GUERRE.

٣ - القانون الإنساني DROIT HUMANITAIRE- HUMANITARIAN

LAW.

وسنأتي بكلمة موجزة عن كل من هذه الفروع الثلاثة من القانون .

قانون الحد من الحرب

فهو مجموعة النصوص التي تحاول منع حدوث الحرب عن طريق شجبه وتحريمه^(٢) في أزمئة معينة أو أمكنة معينة .

ويعتقد بعض الباحثين بأن أول النصوص التي وضعت في سبيل الحد من

وهكذا فحب الخير - وهو إحدى القيم الإنسانية العليا - هو الذي دفع الجماعة في تكوينها الأول لوضع القواعد القانونية وتأييدها بقوة السلطة للوقوف في وجه العامل الآخر لدى بعض أفراد الجماعة وهو (الميل إلى الشر) . والعودة إلى قراءة تاريخ البشرية بعمق تظهر لنا هذه الازدواجية ، لأن تاريخها ليس فقط تاريخ المكتشفات والاختراعات والأوابد والابداعات الإنسانية ، وإنما هو أيضاً تاريخ الحروب والنزاعات والصراعات الدموية . وقد لا نكون قد أتينا بجديد إذا قلنا إن «تاريخ البشرية ملطخ بالدماء» . فخلال ستة آلاف سنة من التاريخ المكتوب للبشرية^(١) ، لم يكن هناك إلا حوالي ستمئة سنة كفترات سلام لم يحدث فيها حرب على المستوى المحلي أو العالمي ، وأما الباقي (ما يزيد عن ٥٠٠٠ سنة) فلم يكن إلا فترات مذابح ومجازر ومعارك كلها دماء .

وكان من الطبيعي أن تنتفض روح الخير الموجودة في بني الإنسان ، أو في بعضهم على الأقل ، أمام كل المذابح والمجازر والدماء التي حدثت في هذه السلسلة المتصلة من الحروب : بأن تحاول منع حدوثها من جهة ، أو أن تم حسب قواعد معينة بتقييد بها المتحاربون عند حدوثها من جهة ثانية ، وأن لا

الحرب HUMANISATION DE LA GUERRE - راودت ضباط وعواطف المشرعين والقادة المحاربين منذ قديم الزمان ، وذلك لأنها منبثقة عن دافع حب الخير ، الذي يلازم النفس البشرية منذ الأزل : فقد أوصى مثلاً المشرع الهندي (مانو MANU) ، في تشريعه الذي وضعه حوالي سنة ١٠٠٠ ق.م ، بأنه «على المحارب ألا يقتل عدواً استسلم ولا أسير حرب ولا عدواً نائماً أو أعزل ، ولا شخصاً مسلماً غير محارب ولا عدواً مشتتباً مع خصم آخر»^(٥) .

أما الإسلام ، فقد حوى بشكل وضعي ، سواء في القرآن الكريم أو في السنة النبوية الشريفة ، مبادئ كثيرة متعلقة بالقانون الإنساني وكيفية معاملة جند العدو بشكل عام وأسرى الحرب بشكل خاص^(٦) : فني مجال المعاملة التي ينبغي على المسلمين التقيد بها تجاه أسراهم من الأعداء مثلاً نجد الآية الكريمة : ﴿حتى إذا أنخنتموهم فشدوا الوثاق فإما منا بعد وإما فداء حتى تضع الحرب أوزارها﴾^(٧) ، والتي تضع الأمير المسلم أمام خيارين لا ثالث لهما وهما :

- المن : أي العفو عن الأسير واطلاق سراحه من غير مقابل .
- الفداء : وهو إطلاق سراح الأسير مقابل دفع مبلغ من المال أو مبادلتة بأسير مثله من المسلمين .

وقد تقيد قادة الحرب المسلمون بهذه الأحكام الواردة في القرآن الكريم والسنة النبوية ، وطبقوها فعلاً فارسوا في ذلك قواعد القانون الإنساني قبل أن يعرفها العالم بشكل وضعي بعد ذلك بحوالي اثني عشر قرناً من الزمن .

والحقيقة أن بعض هذه القواعد انتقلت إلى أوروبا في عصر الحروب الصليبية ، ولكن رغم هذا بوسعنا التأكيد على أن القرون الوسطى قد انصرفت بكاملها تقريباً قبل أن تعرف أوروبا أي نص قانوني وضعي يتعلق بمبادئ القانون الإنساني ، حيث لم يكن هناك أي تفريق بين غير المحاربين (الشيخ والنساء والأطفال) ، وبين المحاربين (الجنود) ، وفي مجال المحاربين لم يكن هناك تفريق في المعاملة بين المقاتلين ، وبين غير المقاتلين (الجرحي والمرضى والأسرى والمستسلمين ..) .

وبدا هذا بشكل خاص في الحروب التي خاضها الأوروبيون تجاه الشعوب غير الأوروبية وغير المسيحية : ففي عام ١٤٩٢ م ، مثلاً عندما احتل الملكان الإسبانيان فرديناند وإيزابيلا مدينة غرناطة ، آخر معاقل العرب المسلمين في الأندلس ، لم يقبلا الإبقاء على حياة سكانها من المدنيين المسلمين إلا بشرط تنصرهم ، بالرغم من أنها كانا قد تعهدا لأبي عبد الله الصغير ، آخر ملوكها المسلمين ، بضمان الحرية الدينية للمواطنين المدنيين المسلمين الذين يرغبون بالبقاء في المدينة . وكان من نتيجة ذلك «محاکمات تفتيشية» أدت إلى إثناء نصف السكان المدنيين المسلمين الذين كانوا يقطنون غرناطة في ذلك الوقت وهجرة الباقين أو تنصرهم ، سواء كان هذا التنصر حقيقة أو تظاهر منهم بذلك (ظل نفر كبير منهم لمدة تقارب قرناً كاملاً يتظاهرون بالتنصر مع محافظتهم على أداء الشعائر الإسلامية داخل بيوتهم)^(٨) .

إن مقارنة بسيطة بين هذه التصرفات الهمجية وبين تنفيذ أحكام العهد التي كان قادة المسلمين يقطعونها لسكان البلاد المفتوحة تدل على مقدار سبق الذي حققه الإسلام في مضمار معاملة المدنيين من الشعوب المعادية ووضع مبادئ القانون الإنساني موضع التطبيق : فقد جاء في العهد الذي كتبه

الحروب هو صك (عصبة الأمم S.D.N.) لعام ١٩١٩ م ، ولكن الحقيقة أن النصوص الأولى يجب التفتيش عنها في القانون الإسلامي (منع القتال في الأشهر الحرم وفي المسجد الحرام) ، ومن بعده في (القانون الكنسي DROIT CANONIQUE) في أوروبا خلال القرون الوسطى عبر ما سمي (هدنة الرب LA TRÊVE DE DIEU) ، وهي هدنة إجبارية كانت تفرض على المتحاربين منذ مساء الجمعة وحتى صباح الاثنين في كل أسبوع ، بالإضافة للفترات التي تسبق الأعياد الدينية المسيحية (عيد الميلاد وعيد الفصح) ، وكان يحكم على من يخرقها بعقوبة (الحرمان الديني EXCOMMUNION) .

أما قواعد قانون الحد من الحروب التي تم وضعها محدثاً فيشملها عدد من النصوص الدولية أهمها (صك عصبة الأمم لعام ١٩١٩ م) ، و(ميثاق بريان كيلوج لعام ١٩٢٨ م) و(ميثاق هيئة الأمم المتحدة لعام ١٩١٩ م) و(نظام المحكمة العسكرية الدولية المعروفة باسم محكمة نورمبرغ) ، ومواثيق المنظمات الإقليمية مثل (منظمة الدول الإفريقية) و(جامعة الدول العربية) وأخيراً (اتفاقية تعريف العدوان لعام ١٩٧٤ م) .

قانون الحرب

فيشمل «جملة القواعد التي على المتحاربين التقيد بها أثناء عملياتهم الحربية تجاه الخصم» مثل قواعد القصف والاقتحام والقنبلة والأسلحة الحربية التي يسمح باستخدامها ضد الخصم وتلك التي لا يسمح باستخدامها .

وقد تم وضع قواعد قانون الحرب عبر عدد من المؤتمرات الدولية منها (معاهدة وستفاليا) لعام ١٦٤٨ م ، و(مؤتمر باريس) لعام ١٨٥٦ م ، و(تصريح سان بطرسبرج) لعام ١٨٦٨ م ، ومؤتمرا لاهاي للسلام لعامي ١٨٩٩ و ١٩٠٧ م^(٩) .

ولكن أهم النصوص التي تنظم الحرب البرية^(١٠) ، هي القواعد التي تخوفاً (لائحة الحرب البرية RÈGLEMENT DE LA GUERRE SUR TERRE) الملحقه باتفاقية لاهاي الثانية لعام ١٨٩٩ م ، والرابعة لعام ١٩٠٧ م .

القانون الإنساني

الذي هو موضوع بحثنا هذا ، فهو من أحدث فروع القانون ظهوراً وإن كانت بعض مظاهره قد تم تطبيقها منذ العصور القديمة .

ويعتمد هذا الفرع من القانون المبدأ التالي : بما أن الحرب شر لا بد منه - كما تدل وقائع التاريخ - لذلك فن المناسب تخفيف ويلاتها وأضرارها ومصائبها ما أمكن ذلك ، وذلك يجعلها أكثر إنسانية من الحروب البربرية القديمة ، ومن هنا جاءت تسمية هذا الفرع من القانون باسم (القانون الإنساني) ، لأنه يستهدف ادخال الروح الإنسانية في الحروب ، وعلى هذا يمكن تعريف هذا القانون الإنساني بأنه «جملة المبادئ والقواعد الوضعية والعرفية التي تستهدف التخفيف من ويلات الحرب والتقيد بالروح الإنسانية تجاه جند العدو أثناء خوض المعارك الحربية» .

وإن فكرة ادخال الروح الإنسانية في الحرب - أو ما يسمى «أنسنة



★ جان
جياك
★ روسو

بين فرنسا والنمسا ، وقد صدمته هذه الحرب بأهوالها وفجائعتها ومآسيها فآلف بعد انتهاء هذه الحرب كتاباً بعنوان (ذكرى من سولفيرينو UN SOUVENIR DE SOLFERINO) ، دعا فيه الدول الأوروبية إلى اتخاذ عدة تدابير إنسانية أهمها : « عقد مؤتمر دولي يقوم بصياغة مبادئ تعاھدية مقدسة توقع عليها الدول ، ثم تصادق عليها ليصبح ذلك منطلقاً لتشكيل جمعية لمساعدة الجرحى في مختلف حروب البلدان الأوروبية » .

وبالفعل تشكلت الجمعية التي دعا دونان إليها بعد ذلك بثلاث سنوات فقط (عام ١٨٦٣ م) ، تحت اسم (اللجنة الدولية للصليب الأحمر C. I. C. R.) (١٠) . وذلك في مدينة جنيف بسويسرا ، وقد اتخذت لنفسها شعاراً دولياً هو (الصليب الأحمر على أرضية بيضاء) (١١) ، وهو عكس ألوان العلم السويسري (الذي هو صليب أبيض على أرضية حمراء) ، وذلك تكريماً لدور سويسرا في نشوء هذه المنظمة الدولية . كما يبدو تكريم سويسرا من وجهة نظر أخرى ، وهي أن أعضاء هذه اللجنة ، بالرغم من صفتها الدولية ، يجتازون حصراً من المواطنين السويسريين وذلك حفاظاً على حيادها ما أمكن .

وقد تبنت هذه المنظمة ، أي اللجنة الدولية للصليب الأحمر ، الدعوة إلى عقد اتفاقيات دولية للتقليل من ويلات الحرب والتخفيف من مصائبها ما أمكن ونجحت فعلاً في جعل عدد كبير من الدول الأوروبية توقع على اتفاقية دولية بخصوص (تحسين أحوال الجرحى والمرضى من العسكريين في الحروب البرية) ، وتسمى باتفاقية جنيف الأولى لعام ١٨٦٤ م .

واتفاقية جنيف هذه هي أول اتفاقية في سلسلة اتفاقيات تابعت بعد ذلك في جنيف في أعوام ١٩٠٦ - ١٩٢٥ - ١٩٢٩ - ١٩٤٩ م ، وتشكل في مجموعها أهم قواعد القانون الإنساني المعروفة اليوم . لذا هناك من الفقهاء من يطلق عليها ، لهذا السبب ، اسم (قانون جنيف DROIT DE GENÈVE) أو (قانون الصليب الأحمر) بدلا من (القانون الإنساني) ، ولكننا نفضل هذه التسمية الأخيرة بسبب شموليتها وعدم ارتباطها بأي دلالة جغرافية أو دينية .

واتفاقيات جنيف المتعاقبة هذه تنسخ الواحدة منها الأخرى ، بمعنى أن الاتفاقيات التي تطبق أحكامها في هذه الأيام هي اتفاقيات جنيف لعام ١٩٤٩ م ، فقط بالإضافة إلى البروتوكولين الملحقين بها لعام ١٩٧٧ م ، واتفاقيات جنيف لعام ١٩٤٩ م ، السارية المفعول في هذه الأيام ، هي أربع

خالد بن الوليد لأهل «عانات» من النصارى أنه «صالحهم على أن لا يهدم لهم بيعة ولا كنيسة ، وعلى أن يضربوا بنواقيسهم في أي ساعة من ليل أو نهار إلا في أوقات صلوات المسلمين ، وعلى أن يخرجوا الصليبان في أيام عيدهم » .

وأول محاولة جرت في أوروبا لادخال فكرة حماية غير المقاتلين في الحروب (وهي محور اهتمامات القانون الإنساني اليوم) قام بها أحد رجال الكنيسة الفرنسيين ، وهو الكاردينال «بيلازمان» (١٥٤٢ - ١٦٢١ م) ، الذي يقول في أحد كتبه اللاتينية التي تحمل عنوان (المبادئ العفوية للدين المسيحي) (١٢) : « إن غير القادرين على الحرب كالفقراء والنساء والشيوخ والعجزة الآخرين يجب عدم المساس بهم ، لأن الدوافع الإنسانية تدعونا لعدم قتل أولئك الذين لا يستطيعون القتال . إن رجال الدين والأجانب والتجار والفلاحين الذين يزعمون أراضيهم يجب عدم أسرهم تمثيلاً مع أعراف جميع الأمم » .

مثل هذه الأفكار الإنسانية ، التي كان الإسلام قد عرفها وطبقها قبل ذلك بقرون ، لم تجد لها أذاناً صاغية في أوروبا إلا في أواسط القرن السابع عشر ، حيث تم تضمين معاهدة (وستفاليا WESTPHALIE) لعام ١٦٤٨ م ، بعض المبادئ الأساسية في حماية غير المقاتلين . وقد بدأت هذه الأفكار تتكرس في كتابات فلاسفة ومشرعي القرن الثامن عشر ، وخاصة الفقيه السويسري «إيمريك فاتيل» في كتابه (قانون الأمم DROIT DES GENS) عام ١٧١٥ م ، والفيلسوف الفرنسي (مونتسكيو) في كتابه (روح القوانين L'ESPRIT DES LOIS) ، وكذلك (جان جاك روسو) ، في كتابه (العقد الاجتماعي LE CONTRAT SOCIAL) .

وبالرغم من كل ذلك يمكن القول إن تطبيق مثل هذه الأفكار والمبادئ في الحروب الأوروبية بشكل فعلي لم يحصل إلا خلال القرن التاسع عشر بعد الثورة الفرنسية ، وبهذا الشكل انتقلت بعض مبادئ القانون الإنساني من إطار (مبادئ الأخلاق الدولية MORALE INTERNATIONALE) ، غير الملزمة إلى إطار العرف الدولي الذي يجب مراعاته بشكل ملزم من قبل جميع الدول والقادة والعسكريين .

ولكن هذه المبادئ العرفية لم تسجل في نصوص تعاھدية مكتوبة إلا في منتصف القرن التاسع عشر ، ولذلك قصة يستحسن التوقف قليلاً عندها : ففي عام ١٨٥٩ م ، شارك رجل سويسري اسمه (هنري دونان HENRY DUNANT) ، في معركة (سولفيرينو SOLFERINO) ، التي دارت



عليها بالقتل والجرح والأسر، وهذه النتائج الثلاث متساوية من حيث أثرها في اضعاف قوى الخصم لأن ثلاثتها تخرج الجندي المعادي من المعركة، ولكنها ليست متساوية من الناحية الإنسانية لأن الموت هو الضرر الأعظم الذي يقع في هذا المجال، إذ يحدث ضرراً لا يمكن التعويض عنه، بعكس الجرح الذي هو أخف منه، والأسر الذي هو أخف من الاثنين، وروح التمرد تتطلب منا - كلما أمكن ذلك - تفضيل الأسر على الجرح، والجرح على القتل^(١٢).

هذه المقولة هي الركن الأساسي في بناء (القانون الإنساني)، الذي بدأ يأخذ أهمية متزايدة في عصرنا هذا، ولذلك خصصنا هذا المقال للتعريف به.

الهوامش

- (١) يبدأ التاريخ المكتوب للبشرية باختراع الكتابة حوالي سنة ٣٢٠٠ ق.م.، ولكن بعض المؤرخين يعمدو إلى سنة ٤٠٠٠ ق.م.
- (٢) نذكر كلمة (الحرب) ونؤثت في اللغة العربية. والأصح تذكرها.
- (٣) على سبيل المثال لا الحصر.
- (٤) هناك مؤتمرات أخرى حول (الحرب البحرية) و(الحرب الجوية).
- (٥) أنظر مجلة: REVUE INTERNATIONALE DE LA CROIX-ROUGE - No 403 - P.560 - GENÈVE - JUILLET 1952.
- (٦) أنظر المقال الذي كنا نشرناه في العدد التاسع من مجلة (الفصل) بعنوان (شريعة الحرب عند العرب).
- (٧) سورة محمد - الآية ٤.
- (٨) لمزيد من المعلومات حول الحياة الملحمية لمؤلاء المسلمين أنظر الريبونج الشور في مجلة (العرب) - العدد ٢٨٨ - ص ٧٠ - ٨٧.
- (٩) CARDINAL BELLARMIN: «DE OFFICIO PRINCIPIS CHRISTIANIS» - CHAP. XXI.
- (١٠) COMITÉ INTERNATIONAL DE LA CROIX - ROUGE.
- (١١) تستخدم البلدان الإسلامية ما عدا إيران وألبانيا شعار (الحلال الأحمر) وتستخدم إيران شعار (الأسد والشمس الحمراء) بدلاً من الصليب الأحمر.
- (١٢) JEAN S. PICTET: «LES PRINCIPES DU DROIT HUMANITAIRE INTERNATIONAL» - P. 29 - GENÈVE.

وتحمل التسميات الرسمية التالية :

١ - اتفاقية جنيف الأولى لتاريخ ١٢ آب / أغسطس ١٩٤٩ م، المتعلقة بتحسين أوضاع الجرحى والمرضى من العسكريين في الحروب البرية.

٢ - اتفاقية جنيف الثانية لتاريخ ١٢ آب / أغسطس ١٩٤٩ م، المتعلقة بتحسين أوضاع الجرحى والمرضى والمنكوبين في الحروب البحرية.

٣ - اتفاقية جنيف الثالثة لتاريخ ١٢ آب / أغسطس ١٩٤٩ م، المتعلقة بحماية المدنيين في زمن الحرب.

وهذه الاتفاقيات الأربع تشكل في مجموع موادها (وعددتها حوالي ٤٠٠ مادة) أربعة أخماس أحكام القانون الإنساني المعروفة اليوم، وأما الخمس الباقي فنجدته متناثراً في نصوص دولية أخرى وخاصة عبر أحكام (لائحة الحرب البرية) الملحق باتفاقيات لاهاي والتي سبق أن أشرنا إليها.

وقبل أن نهي بحثنا في هذا المجال من المستحسن أن نشير إلى أن هناك فرق بين (القانون الإنساني DROIT HUMANITAIRE - HUMANITARIAN LAW)، من جهة و(حقوق الإنسان DROITS DE L'HOMME - HUMAN RIGHTS)، من جهة ثانية، فبالرغم من أن الاثنين يشكّلان جانباً من جوانب القانون الدولي العام المعاصر إلا أن (حقوق الإنسان) أشمل وأعم لأنها مبادئ عامة تطبق سواء بحالة السلم أو الحرب، أما (القانون الإنساني) فهو جملة قواعد وضعية في الأغلب ولا تطبق إلا في زمن الحرب حصراً.

وتشمل حقوق الإنسان بشكل أساسي (الإعلان العالمي لحقوق الإنسان) الذي يحمل تاريخ ١٠ كانون الأول (ديسمبر) ١٩٤٨ م، واتفاقية منع إبادة العنصر GÉNOCIDES لنفس العام، وجملة اتفاقيات إنسانية أخرى، مثل (الاتفاقية الخاصة بتحريم الرق)، والاتفاقية الخاصة بتحريم كافة أشكال التمييز العنصري، والاتفاقية المتعلقة بمركز المرأة، وحماية الطفل، وتصفية الاستعمار، وحقوق الإنسان الاجتماعية والاقتصادية.

وكخاتمة لهذا البحث يمكننا أن نستعير القول التالي من كاتب سويسري يعتبر أكبر فقهاء القانون الإنساني في هذا العصر: «لكي تصل الدولة إلى غايتها من الحرب عليها أن تغلب على خصمها، ويكون ذلك بالقضاء على قوى الخصم سواء من الناحية البشرية أو المادية. والقوى البشرية يمكن القضاء



مع

الصافي النجفي

بقلم: حسن الدجياي

حينما كنت أزور بيروت صيفاً يعتريني شوق شديد لزيارة شاعرنا أحمد الصافي ، ويتفاقم هذا الشوق كلما شعرت أن السن به قد تقدم وأن الأمراض به قد فتكت ، كل ذلك وفاء لصلة قديمة تربطني به وبأفراد أسرته في العراق . ولكن زيارة الصافي ليست سهلة ، إذ إن قلة من عارفي فضله في لبنان والعراق يعرفون على وجه التأكيد مسكنه ، بل مأواه فالاتصال به عسير ، فهو لا يستخدم هاتفاً ولا سيارة ولا يملك سكناً بالمعنى المتداول ، ولا ترعاه زوجة ولا أولاد بل ظل عازفاً عن الزواج حتى وافاه الأجل^(١) . وإذا شاء محب أو قريب أو أديب زيارته فعليه أن يتوجه إلى مكانين ، إما إلى مقهى شعبي يقع قرب «ساحة البرج» حيث يرتاده شتاءً ، أو إلى «مقهى ومطعم الحاج داود المعروف» الواقع في منطقة (الزيتون) عند شاطئ

البحر بيروت حيث يرتاده صيفاً ، وإذا تعذرت زيارته فأغلب الظن أن يكون الشاعر مريضاً وراقداً في بيته ، أو نائماً على سرير في أحد مستشفيات بيروت .

كانت حياة شاعرنا الصافي قاسية ومريرة جداً ، كانت حياة تشرد واغتراب عن الأهل والوطن ، كانت حياة زهد وتقشف ومرض وسخرية بالحياة . بدأ حياته ثائراً ومجاهداً وتآلق في عالم الشعر فيلسوفاً ومفكراً وزاهداً ومجدداً ، وارتدى من الملابس أخشنها وأبسطها وأرخصها ، وانتهت حياته جريحاً برصاص الغدر في بيروت حاملاً جروحه وآلامه إلى بغداد ، هارباً من سعي بيروت ، بعد أن تحولت إلى مقبرة للأحياء ، ناقلاً ثروته الأدبية ، واضعاً حياته في راحتين مرتعشتين ، ماشياً على قدمين متعثرتين ، متوكلناً على هيكل عظمي متداع ليلفظ أنفاسه هناك بعد اغتراب دام أكثر من أربعين سنة وقد قارب الثمانين من العمر .

الصافي والغربة

بدأ الشاعر حياته ثائراً ومجاهداً ، وشارك هو وشقيقه الأكبر (محمد رضا الصافي) في ثورة العراق ضد الاحتلال البريطاني عام ١٩٢٠م ، ولما انتهت الثورة عبر الحدود العراقية إلى إيران تخلصاً من ملاحقة السلطات البريطانية . وأقام في العاصمة طهران ، وكان قد سبقه إليها شاعر وأديب عراقي آخر هو المرحوم عباس الخليلي . وفي طهران اشتغل الصافي بالتعليم وعين مدرسا لتعليم اللغة العربية ، وانكب خلال هذه الفترة على تعلم اللغة الفارسية فأجادها وتذوق شعرها وآدابها ، وشرع في ترجمة «رباعيات الخيام» . حيناً أخذت أوضاع العراق بالتحسن وحقت الثورة معظم أغراضها ، نودي بالأمير فيصل بن الحسين ملكاً دستورياً ، قرر الصافي مغادرة طهران^(٢) والعودة إلى العراق .

كانت عودته كما أتذكر عام ١٩٢٨م ، واستقر في مدينة النجف مسقط رأسه ومسقط رأس كبار شعراء العراق . وكان يومذاك يشكو من التهاب في الرئتين ، فنصح الأطباء بالسفر إلى دمشق طلباً للراحة والاستشفاء . وأخذ يتردد على بيروت التي جعلها بعدئذ محل إقامته المفضل ، وفي بيروت ذاع صيته ونظم قلائد شعره وطبع دواوينه وأصبح من الشعراء البارزين والمعروفين .

وقبل أن أتناول ذكرياتي الشخصية التي دونتها خلال عامي ١٩٧٤ - ١٩٧٥م ، عن حياة شاعرنا الصافي ، أود الإشارة إلى أنه كان «مدرسة شعرية» متميزة إذا ما قورن بكبار الشعراء العراقيين الذين عاشوا وظهروا خلال الفترة التي عاشها في العراق^(٣) . فقد انكب على تصوير النفس البشرية ، ورسمها بأجل المعاني وبأبسط التراكيب اللغوية ، واستعمل لغة مبسطة بعيدة عن الصناعة اللفظية والقوالب الشعرية القديمة يتفهمها كل قارئ . وربما اتهمه بعض نقاد الشعر بالركاكة والعامية الشعرية ، فهو فيلسوف ومفكر قبل أن يكون شاعراً أو ثائراً .

الدرس الأول

منذ الطفولة كنت أعشق عزلة
فأعيش عن باقي الرفاق بعزل
آوي لهم حيناً فأسعد فيهمو
وأفرّ أحياناً ، فأقصد منزلي
ولربما شاركتهم في لعبهم
حيناً ، وعفتهمو للعبى الأفضل
لعبى المفضل كان ، في نظري لهم
إذ يلعبون ، ونشوة التأمل
ولعلي قد كنت أدرس حاتم
ليعود يوماً درسهم بمحضل
قد كان ذاك لديّ ، درساً أولاً
واليوم لم أبرح بدرسى الأول
هاتيك مدرستي الأصلية ، بعدها
بفروعها الرعاء ضاع العقل لي
درسي بها ، وبها أدرس جاهلاً
متعلماً ، أو عالماً لم يعقل
ما زلت طفلاً ، والأنام تلوح لي
أطفال عقل ، بعد لماً يكمل
نظري لهم باق كسابق عهده
لكنهم مسخوا بزي تعقل
هم لم يزالوا يلعبون ، ولم أزل
همو كما قد كنت ، أنظر من عل
ولكم جهلت مع الأنام مجرباً
حيناً ، وينقص علم من لم يجهل
ولكم غرقت من الحياة بلبجها
وخبرت فيها كل خطب معضل
وسكرت من خمر الحياة وخلها
وعرفت طعمة شهدها والحنظل
واليوم عدت من الوجود لعزلي
مستغرقاً بتفكري وتأملي
فوجدت زاويتي الصغيرة جنني
والحق كان معي بدرسى الأول

ذكراتي .. مع الصافي

تعرفت على شاعرنا الصافي وأنا شاب في مقتبل العمر وطالب في المدرسة المتوسطة ، وقرأت وتابعته أخباره وتعلقت بشعره ، لا لسبب خاص سوى أنني كنت أرتبط - كما ذكرت - بأفراد أسرته بروابط الجيرة والصدقة ، ولما رحلت إلى أوروبا والولايات المتحدة لمواصل دراستي العالية ، توقفت علاقتي به ثم تجددت في العقدين الآخرين . ورأيت من الوفاء والأدب أن أزوره كلما قصدت بيروت مصطافاً أو ماراً بها ، ولا سيما بعد أن تقدم به السن وداهمت الأمراض من كل صوب .

في صيف عام ١٩٧٤ م ، ذهبت إلى « مصيفه » - كما يقول - المطل على ساحل البحر في مقهى ومطعم الحجاج داود ، مصطحباً زميلين من أقارب ، وجلسنا إلى مائدته .. وفي « زاويته الخاصة » بالمطعم ، أبى إلا أن يستضيفنا .. وتحدثنا طويلاً في شؤون كثيرة وسمعنا منه تعليقات أكثر ، وأنشدنا من شعره ما قل وطاب . وقد وجدته طاعناً في السن (وربما كان في الخامسة والسبعين) ، طاوي المنكبين غائر العينين ضعيف البصر والسمع مضطرب الحركة ، يحمل وجهه تجاعيد الحياة وتقلها وهمومها ، يابساً كقطعة من جلد ، قوي الصوت طلق اللسان سليم التفكير قوي الذاكرة نحيف الجسم ، لا يتجاوز وزنه على ما أتصور خمسة وعشرين كيلو غراماً ، لا تشاهد على جسمه إلا عظاماً تتصدى صروف الحياة وظروف الشيخوخة . يرتدي كعادته زياً عربياً مؤلفاً من ثوب وكوفية وعقال وعباءة خفيفة يحملها بيده تارة ويسحلها تارة أخرى من دون وعي ولا اكتراث . ولما شاهدته بهذه الصورة وقد بلغ من العمر عتياً ، أدركت أن شاعرنا لم يعد ، وأسفاه ، ينتمي إلى عالم الأحياء ، بل إلى عالم الأموات .

حدثنا عن الآلام التي يعانها بفعل التسمم الذي ألم به من جراء وصفة طبية أعدها طبيبه المختص وأسفرت عن مضاعفات غير متوقعة . وشكا شاعرنا شكوى مريرة من حالته الصحية المتدهورة ، ومن ضمور طاقاته الحجمية التي أثرت في نشاطه ، ومن ضعف بصره وعجزه عن الكتابة والقراءة ، مما اضطره إلى الاستعانة ببعض المقرئين لانحياز بعض أموره . وكان اليأس والاكتئاب يسيطران عليه وشعرت بأنه بدأ بالعد التنازلي ، وإن نهايته قريبة بل لم يبق منها سوى أيام وساعات محدودة .

شعر الألم

سألته عن آخر ما نظم من شعر وفي أي باب ، فأجاب بأن ما نظم من شعر خلال السنوات الأربع الأخيرة ، وهي سنوات تدهور صحته ، يختلف كل الاختلاف عن شعره القديم فهو شعر الآلام ، ويقع في خمسة دواوين محفوظة في منزله في محلة النبعة . وحدثنا كذلك عن إمكاناته المادية الجيدة التي جاءت من طبع دواوينه الشعرية وعن حساباته المصرفية ، ثم تطرقنا إلى الأسباب التي كانت تدفعه دائماً إلى عدم قبول أي راتب تقاعدي تعرضه عليه السلطات العراقية تكريماً لمكانته

الشعرية وسدأ لبعض متطلباته المعيشية . فقال إنه في وضع مادي حسن ، ولما قيل له إن هذا « الراتب التقاعدي » يحمل معنى التكريم فقط استجاب لرغبة الحكومة عام ١٩٦٧ م ، وخصص له راتب تقاعدي مقداره مائة وخمسون ديناراً . ونظم بهذه المناسبة بيتين من الشعر وأغلب الظن أنها لم ينشرا يومذاك وأنشدهما :

هو الحكم لم يخلد لأية دولة

وأعظم حكم ما يزان بانصاف

لئن زال ذاك العهد ما زال ذكره

كفي العهد قدراً أنه قدر « الصافي »

ورجوانه في نهاية اللقاء أن ينشدنا بعضاً من شعره ، فأنشدنا المقطوعة التالية التي سماها « بين نورين » ، وحينما شاهدني أدون أبياتها أصر على أن أتلوها عليه خشية وقوع بعض التحريف أو التصحيف وهي :

كم قد وهبت للورى أشياء

لم أنتظر حداً ولا ثناء

من هم ؟ لأرجو منهموا الجزاء

أشبه إذ أعطيهم الساء

تحسن للكون وإن أساء

كما يربي والد أبناء

يواصل الاحسان والعطاء

عقوه أو يروا به سواء

كالشمس حين تفتح الضياء

لا ترنجي من أحد رجاء

لا مثل من يعطيك كهرباء

بالنور يبغي البيع والشراء

هل أنا المتنبي

وليس يكسني ذا في الفريض غنى
أما أنا فإرادي أن أكون أنا
وذاك قد عز باسم حالف الزمنا
كأنني كوكب منه أنال سنا
هناك شع وهما إلي أشع هنا
فجاء من زاد معياراً إذا وزنا
قد عشت دوحة شعر إذ قضى غصنا
أودي به ولكن الشعر قد دننا
لا يرضني بدلا منها غلا لنا

التقاعد

برغمي بدعي راتباً للتقاعد
لما هو يجري زائراً بالفرائد
دليلي له روح الصبا في قصائدي
فذاك لئن العجز أعظم شاهد
ينقص في السمع لفظ « التقاعد »
تلوح به للفقر بعض الشواهد
سوى لفظة فيها شفاء لحاسدي

قالوا : أنا المتنبي قلْتُ ذا خطأ
مهما يك المتنبي فليكن ويخطئ
إني أنا أحمد الصافي أعز به
لئن أكن أنا غيري فهو ينقصني
أضواء نجم وتوري غير مقتس
قالوا سيقي ولا يأتني له شبه
لو مد في عمره ما كنت أفضله
لولا سقامي لأودي بي الطموح كما
نعم كلانا ولوع في مطاعه

قلت بجهد ، إن اشص براتب
فشيطان شعري ليس بالتقاعد
وقلبي ملي بالشباب ، وبأفوى
يقربني لفظ « التقاعد » للردى
نكاد تعاف النفس أخذاً لراتب
فلا تصدعوا سمعي بلفظ « تقاعد »
ضمو راتبني في أي لفظ أردتم

نوري إلى الله أنتمي انتاء
للناس أفني نوره افشاء
حيري سراجہ الوضاء
أشع حين انتهى انطفاء

السعادة العليا

ثم أنشدنا مقطوعة أخرى عنوانها «السعادة العليا» ، وقال إنه نظمها قبل عشر سنوات وهي :

لا أشتكي الحرمان من دنيائي
لأن عندي لذة العطاء
ليس عطاء البذل من ثرائي
فذاك عندي أتفه الأشياء
لكن عطاء النور للظلماء
يفوق ليل الجهل بالظلماء
جريا على سيرة أنبيائي
أسعد أهل الأرض والسماء
برغم ما عانوه من بلاء

وفي نهاية اللقاء ، الأول سئل الشاعر الصافي عما إذا كان قد نظم شعراً في تعظيم آل البيت أسوة بغيره من كبار الشعراء الهاشميين . فأجاب بأن المدح بوجه عام لا يؤلف جزءاً من فلسفته في الحياة ، واستدرك قائلاً إنه نظم أبياتاً في تعظيم آل البيت تخلصاً من الحرج الذي كان يقع فيه أحياناً وتلاها :

«بأهل البيت» ما أكثر مدحي
فهم أهلي وأكره مدح أهلي

ولكني سامدحهم بفعلي
ليعلم أن خير الأصل أصلي
سأعرضهم بأفعالي مزايًا
وأخلاقاً تفيض بكل فضل
فروحي ناطق عنهم بشعري
وقلبي خائف منهم بنيلي

الصافي يتجو من الموت

وفي لقاء ثانٍ^(٤) ، وصف شاعرنا الصافي كيف نجا من الموت خلال الاشتباكات التي حدثت في منطقة النبعة ، حيث لازم جميع السكان ، وهو منهم ، بيوتهم أياماً طويلة . وقال لقد كان يسمع الطلقات النارية وكأنها تنهال عليه من كل صوب . وحيناً عاد الهدوء إلى المنطقة نزل إلى الشارع لقضاء حاجة ، فلما رآه الجيران ذهولوا وظنوا أنه لاقى حتفه بسبب الطلقات التي انهالت عليه ، وأشاروا إلى الآثار التي تركتها على واجهة الشقة ، ويبدو أنه كان هدفاً لبعض القناصة الذين شاهدوه من بعيد يتنقل في غرفته . وقد وصف الأخطار التي تعرض إليها خلال تلك الأيام الحالكة ، وتحيل جسده ملقى على الأرض ممزقاً بالرصاص لا تسيل لأجله عبرة ، وأصبح تطارده المخاوف بعد أن كان يتمتع بالأمن . . . وإليك ما قاله :

بين الرصاص نفذت بين معارك
فبرغم أنف الموت- ها أنا سالم
ولها ثقب في جدار خمسة
قد أخطأت جسمي وهن علائم
ولدي خمس مجامع غخطوة
فيها من الشعر الغريب عوالم

العناد

لي عناد ، طفلاً ، مع الأهل أضحي
وعناداً في حفظ أسلوب شعري
وعناداً على بساطة عيشي
وعناداً أن لا أساير صحبي
وعناداً أن لا أساير قومي
وعناداً في أن أواصل سيري
وعناداً بأن أشق طريقاً
أنا إما عزمت أمراً أكمله
لم ترحز رأيي بدون اقتناعي
أنا لولا العناد ما كنت شيئاً
لم تشوه زخارف العصر فني
لي عناداً لدى أداء الرسالة
رغم نقد المقلدين حياله
رغم أهل الغبا وأهل الجهاله
في شراب ولو بقدر ثماله
إن همو آثروا طريق الضلاله
مستمراً حتى انطفاء الذباله
لي جديداً ، ولو رأيت جباله
ولو أبصر المئات حياله
وقفه العالمين ضداً قباله
لا يطبق الزمان يوماً زواله
حافظ فني الأصل جمال

للعالم الأدبي فيها نروة
ماذا سيفقد - لو أصبت - العالم؟!

فهل السرور بالنسبة لي أصبح العناء؟
لاني ما زلت أسمع به ولا أرى لونه

ومما قاله أيضاً :

وأخيراً أطلعت على « المجموعة الكاملة لأشعار أحمد الصافي النجفي
غير المنشورة » ، (ط وزارة الثقافة والفنون العراقية ،
ص ٥٥٠/٥٥١) ، التي تؤكد أنه نفسه ناظم هذه الأبيات .

خاتمة حياته

حينما تصاعدت حدة الاشتباكات في بيروت عام ١٩٧٦ م ، وازداد
قصف المدفعية ، أصيب شاعرنا الصافي بجروح ، ونقل على أثر ذلك إلى
أحد المستشفيات القريبة للمعالجة . وكان أول سؤال وجهه إلى الطبيب
المختص هو : هل ينصح بالعودة إلى العراق الذي فارقه منذ أربعين سنة
لأسباب صحية وهو في هذا الحال ؟ فكان جواب الطبيب بالإيجاب .
وغادر الصافي بيروت التي أحبها ، يوم الخميس المصادف ١٩ شباط
(فبراير) ١٩٧٦ م ، عائداً إلى بغداد يرافقه ممثل خاص عن وزارة
الخارجية العراقية ، واستقبل استقبالا حاراً^(٥) على الصعيدين الرسمي
والشعبي .

في ٢٧ حزيران (يونيو) عام ١٩٧٧ م (١٣٩٧ هـ) ، انتقل
الصافي إلى جوار ربه وشيع تشييعاً رسمياً وشعبياً ، وحمل نعشه
إلى مدينة النجف مسقط رأسه ودفن في مقبرة العائلة .
وبوفاته انطوت شخصية شعرية متميزة ، وفقد العراق
شاعراً من شعرائه العظام ، وخسر العرب شاعراً عرف
بالزهد والتصوف .. تاركاً وراءه ثروة شعرية كبيرة لم يسبق لكثير من
معاصريه أن طرقت أبوابها وموضوعاتها ، ثروة مليئة بالعطاء الفكري
والأدبي والشعري ، رحم الله شاعرنا الصافي .

الهوامش

- (١) أنظر مجلة الفيلس - العدد السابع (للسنة الأولى) عرم ١٣٩٨ هـ ديسمبر ١٩٧٧ م ،
بحث بعنوان « الصافي النجفي شاعر الحياة » صفحة ١١١ .
- (٢) نقل صديقه الشاعر والأديب عباس الحلبي الإقامة في طهران ، واشتغل بالصحافة
والترجمة والسياسة خلال حكم رضا شاه بهلوي مؤسس الأسرة البهلوية ، وصار نائباً في المجلس
وسفيراً لأيران في اليمن . وقد حدثني عام ١٩٦٧ م عن حياة الصافي في طهران والمساعدات التي
قدمها إليه يومذاك وعن نشاطه الأدبي .
- (٣) من هؤلاء الرصافي وآل الشيبسي (الشيخ محمد جواد الأب وأبناؤه ، الشيخ محمد رضا
والشيخ محمد باقر والشيخ محمد حسين) ، ومحمد مهدي الجواهري (شاعر العرب المعاصر) ،
وجليل الزهاوي والشيخ علي الشرقي وغيرهم كثيرون .
- (٤) كان هذا اللقاء في مطعم ومقهى الحاج داود نفسه عام ١٩٧٥ م .
- (٥) جريدة « الحياة » البيروتية عدد ٩٤٦٠ في ٢٠ شباط (فبراير) ١٩٧٦ م .

الأدب الفارسي

ودار الحديث عن الأدب الفارسي وهو أول من ترجم رباعيات
الخيام من الفارسية إلى العربية ، وأعطاهما المنزل الأولى بين
الترجمات ، وأنشدني الأبيات التالية ، ولم أسأله عن ناظمها وكتبها بخط
يده بصعوبة .

وترجمتها كما أملاها عليّ :

من روض الدهر المليء بالاشواق لم أنطف ردة
من جرح الشوق صار قلبي دماً ولم أصل إلى ردة





بقلم: فتحي سعيد

أو نوعاً من الخروج على المجتمع والتنديد بغدر الناس والحياة مثل أبي
الشمقمق، وأبي فرعون وعبد الحميد الديب .
أو نوعاً من المخون الفاحش كما كان ابن حجاج وابن سكرة .
أو نوعاً من الظرف والفن والسرود والتاريخ كما في أرجوزتي ابن مكناس
وابن المعز .

وقد ظل دائماً للشاعر غرض آخر غير الاضحاك والمفاكهة يختلف من
واحد لآخر ومن دافع لآخر كذلك .
فقد كانت « حلمنتشيشيات » حسين المصري بمثابة نقد لاذع

لم تكن الضحكات هي هدف الشاعر من وراء شعره الضاحك الذي
أرسله على مر العصور والذي يتندر به الناس ويمثلونه سيات كان هذا الشاعر
نكهة ضاحكة لدرجة « الحلمنتيشية » كما فعل حسين شفيق المصري
ويبرم التونسي في قصائدهما الفصحى .
أو كان هجاء مرأ جاداً لا ضحك فيه ولكنه يثير الضحك بما يرسمه من
صور لاذعة ساخرة .. كما فعل الخطيئة وجريز ويشار والفرزدق .
أو كان استعراضاً للمطابقة والمناذمة .. وطروقاً لمعان جديدة كما كان أبو
نواس وأبو دلامة .

لم يضحك الشعراء عبثاً ، ولم يطلقوا قصائد هم مرصعة
بأغرب الصور وأشدها سخرية أو إيلاماً .. بلا قصد ،
فقد ظل هذا الفن في أغلب الحالات سلاحاً
يشهره الشعراء ضد شيء ما !

وبقدر ما أدخل الشعر الضاحك البهجة والمرح في قلوب
الناس على مر العصور ، بقدر ما أثار الخواطر وفتح العيون
على مواطن الخطأ ، وألهب المشاعر ضد الدخيل .

أحد إلا وأنشبه فيه قلمه ويده ، وصوره في صور شتى .
فسخر من البخلاء في كتابه الموسوم بذلك .. ومن المعلمين في كتابه
« البيان والتبيين » ومن معاصريه وأصدقائه في رسالة « الترييح
والتدوير » معطياً بذلك للناس والتاريخ أدباً وفناً باقين ، وكما فعل
الجاحظ .. نجح الشرييني في « هز القحوف في شرح قصيدة أبي
شادوف » في أن يجعل الفكاهة سبيلاً إلى كشف الظلم والفساد والانحطاط
الفكري في عصره بما أورده في خطب ومحاورات وأشعار هزيلة تصل إلى حد
الاسفاف والبذاءة تثير الضحك لفظاً ومعنى ولكنها تكشف عما وراء السطور
من أوضاع فاسدة ، وكذلك فعل (ابن ممتي) في كتابه الشهير « الفاشوش
في حكم قراقوش » .

الشعر .. وفن الكاريكاتير

ولكن الشعر ... كان صاحب السبق دائماً - دون النثر - في فن
« الكاريكاتير » وبما ابتدعه من صور متحركة حية في مجال الجسد والمزج معاً
كفلت لها الموسيقى سرعة الانتشار والانشاد .. وتأمل معي بيت الحطيئة
الشهير الذي يرسم به « صورة كاريكاتيرية » لأمه حين يقول لها حاجباً
متطاولاً :

أغربالاً إذا استودعت سرا

وكانونا على المحدثينا

وصورة أخرى شاعت على الأفواه حين تنصل صاحبها من لقبه
وعشيرته :

والغلبى إذا نثنخ للقرى

حك إسته وتمثل الأمثالا

أو قول الآخر الشائع :

قوم إذا أكلوا أخفوا كلامهم

واستحكوا من رتاج الباب والدار

قوم إذا استنبح الأقوام كليهم

قالوا لأهمهم بولي على النار

فتسك البول خوفاً أن تبول به

ولا تبول لهم إلا بمقدار

للتناقضات الاجتماعية والاقتصادية وهجوم على الحكام والسلطات مقنعاً
بالفكاهة حين لا يستطيع الجهر بالقول .

وكانت هجائيات الحطيئة وجريير والفرزدق متنفساً طيباً لاستعراض
فحولتهم الشعرية والقبلية معاً مفتتين خلال هذا الاستعراض في حشد الصور
المتناقضة اللاذعة الأخيلة والتراكيب ... والتي لا تحمل في طياتها لفظاً ضاحكاً
واحداً . وإنما تحمل صورة ضاحكة تثير السخرية وتوجع .

وكانت بكائيات الديب تعبيراً صادقاً عن بؤس وشقاء طاحنين أفاض في
وصفها تحت وطأة عذابه ... ليضحك الناس منها لما حفلت به من صور
غريبة ، كما كانت مفكاهات أبي نواس استدراراً لذهب الخليفة حيناً وضرباً
لترف القصور ورضا أهلها ... وتعبيراً في نفس الوقت .. عن سلبته
المجددة وطبيعته الهازلة .

المهم .. لم يضحك الشعراء عبثاً .. ولم يطلقوا قصائدهم
مرصعة بأغرب الصور وأشدها سخرية أو إيلاماً .. بلا قصد .
فقد ظل هذا الفن في أغلب الحالات سلاحاً يشهره الشعراء ضد
شيء ما .

وبمعنى آخر .. كان الضحك كما يقول « مكندوجال » في كتابه
« سيكلوجية الضحك » « جرعة ضد ما هو تراجيدي » بحيث يصبح
الضحك « حيلة بيولوجية » يتحایل بها الفنان على انفعالاته أو يشارك بها
الغير في وجدان ما . أو يستعلي على موقف ما بضحكة يطلقها قد تحجب
وراءها دمة .

ومن طريف التعابير عن سيكلوجية الضحك ذلك التعبير الضاحك الذي
حلل به الكاتب الإنجليزي جوزين اديسون الفكاهة :

« الضحك الراقى إنسان جده الأعلى الحقيقة ... وقد أنجبت
الحقيقة أبا اسمه حسن الرأي وهذا بدوره أنجب الذكاء الذي
تزوج امرأة من قريباته اسمها الفرحة فأولدها مولوداً اسمه
الفكاهة » .

ولقد كان الجاحظ وضع النشأة قبيح الخلقة .. ولكنه تحايل على هذه
الصفات بما تناوله من جرعات ضد مأساته وبما سقاه لغيره من جرعات
بدوره .. فلم يسلم من لسانه أحد ، ولم يكن الجاحظ شاعراً حتى تلهج
اللسنة بقصائده بل كان كاتباً ناثراً علماً ناقداً من طراز فريد ، فلم يترك

ولو أن رساما .. أراد أن يرسم صورة للام المهجوة والتغلي
المشؤوم .. والعجوز وقومها البخلاء .. لما وجد رسما أدق
وأوضح وأدعى للسخرية من هذه الأبيات التي تكاد تكون صورة
حية ناطقة .

أو تأمل الصورة الأخرى التي رسمها دعبل الخزاعي للخليفة المعتصم

يهجوه :

واني لأعلي الكلب عنك رفعة
لأنك ذو ذنب وليس له ذنب

أو تأمل هذا البيت لعبد الحميد الديب يصف فيه بؤسه .. والبيت
الأخر يصف به جوعه :

وهام بي الأسى والبؤس حتى
كأنى عبلة والبؤس عنتر
كلوا الحكومة أو موتوا من الجوع
صوت الضعيف المرجى غير مسموع

أو هذا المعنى المجسم الذي يصف فيه بيرم التونسي زوجة ضخمة :

بالة علم وزنها عند ربي
ليس عند الميزان والقباني
لم يكن قط غير بطن لها
رأس وسمانتان هانلتان

أو هذا المعنى الفاضح لحسين شفيق المصري يفضح به الوساطات :

يقولون لي هل من وسيط نجيبه
شفاعته عند الحكومة تنفع ؟
فهل كانت اللبائس لما أخذتها
شهادة تطعيم بها أنكع

أو في هذا البيت لناجي رغم رفته وغزله :
يا عبقر يا في دمامته
ولدتك أمك وهي معتذرة

أو في صرخة أبي فرعون المركزة الكسيرة :
هذا جميع قصتي وأمري
أنا أبو الفقر وأم الفقر

أو في وصف أبي الشمقمق لحالته دون قصد منه الاضحاك :

ولقد أمزلت حتى
محت الشمس خيالي
ولقد أفلست حتى
حل اكلي لعبالي
من رأى شبيها محالا
فأنا عين المحال

أو في قسوة ابن حجاج عندما هجا المتنبي :
يا ديمة الصفح صبي على قفا المتنبي
وأنت يا ربح بطني على سباليه هبي
أو في هذا الهجاء اللاذع لرجل اشتد بخله حتى يقرر على نفسه تقتيرا يصل
إلى :

فلو يستطيع لتقتيره
تنفس من منخر واحد ..

ومن أرجوزة ابن مكناس ما يشيع الضحك حقاً بقدر ما يتضمن نقداً
ورأياً :

لا تندب الطلولا ولا تكن مهولاً
وإن دعاك أخوة إلى ارتشاف قهوة
فلا تصنع ذقنكا ولا تزرهم بابنكا

وذلك الشاعر الذي صور ليلة فراقه من زوجه بهذه الصورة :

ليلتي حين بت طالقة
الذ عندي من ليلة العرس

وعلى قدر ما سخر الشعراء فأضحكوا حيناً وأوجعوا أحياناً بقدر ما دفع
بعضهم الثمن غالياً . فقد قتل المتنبي بسبب قصيدته في ضربة كما يقال .
وقتل طرفة بن العبد بسبب قصيدته في عمرو بن هند كما قتل
النايفة لنفس الأسباب . وعرف بيرم التونسي التشرد والفقر بسبب
قصائده .. خاصة قصيدته الشهيرة في سلطان مصر .

الشعر الضاحك عند العرب

لم يفرد العرب باباً للشعر الفكاهي .. أو الضاحك على قدر ما أفرد في
ديوان الشعر العربي من أبواب للثناء والفخر والمدح والهجاء .. وليس معنى
هذا جهامة العرب وخلو حياتهم من السمر والزف ، فقد كانت لهم حلقات
السمر والقصف والأراجيز الضاحكة .. ولكن الشعراء العرب أهل
بلاغة ، حرصوا على الشعر ولغته بما عصمهم من النزول به إلى
حد الاضحاك ... ولقد قال العرب شعرا فاضحا مكشوفاً
تسامروا به وتندروا .. ولكن لم يذع في جبهة أشعارهم ولكن
سجل في مواضع أخرى ، حيث تجده متناثرا في الكشكول
(للعاملي) وفي مقامات الحريري وفي الأغاني وفي يتيمة الدهر
للثعالبي والمستطرف للمرزباني وأخبار الظراف والمتجانين لابن
الجوزي .

وإن كان شعرهم الهجائي قد غطى إلى حد كبير هذا النقص ، إذ يمكن
أن ندرج الكثير منه تحت باب الفكاهة لما يحمل من أوصاف وتراكيب تبعث
الضحك وإن خلت من الألفاظ الضاحكة المكشوفة وترسم الصورة الصارخة
الموحية دون اسفاف في اللفظ أو خروج .

ولقد خفت حدة البداوة وتلك الجهامة التي صبغت الشعر العربي إلى حد
ما حين انتقلت الحياة من البادية للقصور واختلط الشعر بالغناء والشراب
والذناير . وامتد بساطه الذهبي على مدى العصرين الأموي والعباسي .

أو في قوله الآخر :

لا تبك للذاهبين في الظن
ولا تقف بالطي في السن
عاج الشقي على رسم يُسائله
وعجت أسأل عن خسارة البلد

ولم يقل أبو نواس شعراً (حلمتيشياً) فكاهياً بمعنى الكلمة .. وإنما قال شعراً فصيحاً رفيعاً مزج فيه قدرته الشعرية بقدرته على السخرية .. وربما دعم هذا الجانب فيه حرصه على أن يظل بباب الأمراء ينعم بأطياب القصور ولين العيش والذهب المراق .. وهو خير مجال لشاعريته ولخفة ظله .
ومن أجل ما نقرأ لأبي نواس أبياته التي هدد بها « إبليس » إن لم يعد إليه حبيبه الذي هجره .. هدد به ماذا ؟ بأنه سيرتكب من الحسنات ما يفزع به إبليس وهو الشيطان :

لا قلت شعراً ولا سمعت غنا
ولا جرى في مفاصلي السُكُر
ولا أزال القرآن أدرسه
أروح في درسه وابتكر
والزم الصوم والصلاة ولا
أزال دهري بالخير ألتكر
لما مضت بعد ذلك نالته
حتى أثناني الحبيب يعتذر

وأقن أبو نواس اللعبة .. لعبة المنادمة .. مستعيناً بسلاح الشعر ، فعرف أطوار الخليفة ، فهو قد يحشوه جوهراً أو يأمر له بالنطع والسيف مرة أخرى .. فأعد عدته للأمر دائماً ، وقد أعانه على ذلك سرعة بديهة ورقة طبع وقدرة على الارتجال فهو يشتري حياته وقد أمر الخليفة بقلته سائلاً إياه عن :
من ذا يكون أبا نواسك إن قتلت أبا نواسك ؟
وحياة رأسك لا أعود لمثلها .. وحياة رأسك ..

ومرة أخرى يتلاعب بالحروف فيقلب العين همزة وينقذ جلده من سجن الخليفة .. في قصته الشهيرة عن عاتكة والعقد وبيت الشعر الذي كتبه على باب سجنه هاجباً فقال :

لقد ضاع شعري على بابكم
كما ضاع عقد على عاتكة
وتنور عاتكة وتثير قلب الأمير على أبي نواس وبهم لعقابه فيسر أبو نواس
ويححو باقي حرف العين لتصبح همزة ويصبح البيت بعد تغير المعنى :
لقد ضاء شعري على بابكم
كما ضاء عقد على عاتكة
وينجو أبو نواس ويمنح مكافأة كبيرة .

الباكون الضاحكون الثلاثة

وعلى النقيض من أبي نواس جاءت حنة من الشعراء الذين تركوا رصيذاً ضخماً من الشعر الضاحك ولكنه ضحك كالبكاء .. لأنهم لم ينشروه



★ بيرم
التونسي
ثالث
الضاحكين
★ الباكون



★ أحمد رامي
من الشعراء
الذين تناولهم
بيرم التونسي
في شعره
★ الشاعر الضاحك

وكان الشعر على قدر تقدير الخلفاء والسراة له في هذين العصرين بالذات لحاجة الدولة لالسنه الشعراء تفخر ببطولاتها أو تشيد بملوكها وتهجو أعادياها .. بجانب هذا الدور كان الشعر يحمل دوره الآخر . أو قل دوره الخافي .. حين تسدل الستائر وتعد القيان وتبرز الجوارى وتمتد موائد الشراب والتدامة آخر الليل ويسمح للخاصة من الشعراء بمخالطة أهل المجلس وادخال السرور على قلب الخليفة ويقوم الشعر بدوره في مفاكهة الخلفاء ومطايبتهم .
أمثال أبي نواس وأبي دلالة بجانب الندماء والسيار الآخرين من الرواة والحافظين أمثال الأصمعي والجاحظ الذي كانوا يثقون بظرف الواحد منهم ولا يثقون بدينه .

ولعل ألم الشعراء نجماً في مجال التفكه والهزل .. هو الحسن بن هانئ الشهير بابي نواس ، حتى إن العامة نسجوا حوله الكثير من الحكايات والأساطير وكادوا يطمسون شاعريته الكبيرة تحت وطأة ما نسبوا إليه من طرف وضحكات .

والحق .. أن دماء جديدة دبت في أوصال الشعر العربي على يد أبي نواس رغم كل ما عرف عنه من مجون وخلاعة وفسوق .. فقد خلع على الشعر من روحه الضاحكة وموهبته المجددة ما أزاح عن القصيدة خشونة البادية وغرابة اللفظ وسلفية المضمون ، فسخر أول ما سخر من شعرائه الأوائل الذين درجوا على بكاء الاطلال :

دع الزئج ما للسرير فبك نصيب
وما أن سبتي زنب وكعبوب
قل لمن يبكي على رسم دُرُس
واقفاً ما ضر لو كان جلُس

على موائد الخلفاء وحلقات السر .. وإنما نقشوه في وجه الخلفاء وكوكبة الحاكمين .. فكانوا بذلك الضاحكين الباكين حقا .. يتمرغون في الأسى .. ويضحكون الناس على أساهم هذا .
ولقد لجأوا إلى الضحك ليجهروا من خلاله بالرأي ضد ما يلمسون من مظاهر التخلف والتسلط وينفسون به عن وجعهم ليخففوا من حدة الحياة القاسية .

هؤلاء الباكون الضاحكون هم : عبد الحميد الديب وحسين شفيق ويريم التونسي .

فالدبيب ذاق مرارة البؤس واستمرأ هذه المرارة وجعلها مداراً لأشعاره كلها فجاءت حزينة قائمة بقدر ما بعثت البسمة على الشفاء ، حتى ليصفه الزيات خير وصف حين يقول عن شعره :

« رجعة إلى نوع انقرض من الشعراء الهجائين المستهترين المكدين ، الذين لم تهينهم طابعهم للعمل الكاسب ، فأخلدوا إلى التبطل وحلوا عجزهم وعوزهم على لؤم الناس وظلم القدر » .
وأياً كان اخلاص الديب للتبطل .. وحرصه على روح البؤس لم يفته وهو الشاعر أن يرصد عيوب مجتمعه ويصرخ في وجه ظالميه من أجل إخوته الجائعين :

فالرغيف الذي لا يجده .. ولا يجده غيره معه ينقص وزنه عام ١٩٤١م ، بقرار وزاري فيصرخ الديب :

صغر الرغيف كأنما هو قطعة
من قلب تاجره وجلد البائع
فقد كان شيخاً للطعام فاله
قد صار شبه وليد شهر سابع
جوعوا .. تصبحوا واذكروها حكمة
فالجد لم يكتب لغير الجائع

والديب الذي لم تنسم له الدنيا أبداً .. ترق له يوماً فيلحق بإحدى الوظائف ولا يلبث أن يفصل منها ولم تحض أيام عليه فيقول ساخراً :

بالأمس كنت مشرداً أهلياً واليوم صرت مشرداً رسمياً

وكان الديب من هذه الفئة المنكوبة الحظ في الدنيا ، أو من هؤلاء الذين ركبو موجة سوء الحظ تلك دون محاولة النجاة .. فتصور أن في البؤس موهبة وأن العزف الدائم على وتر الضياع والشكوى وسوء الحظ هو عزف منفرد يتميز به عن سائر الشعراء حتى لينال عن جدارة لقب « شاعر البؤس » كما كان حافظ إبراهيم شاعر النيل والمطران شاعر القطرين وكأنه تاج يلبسه لا لعنة تطارده .

ومن ثم أخلص الديب لبؤسه وهام بفقره .. وشجع ذلك البؤس على أن يحكم قبضته عليه ، ففشل في دراسته بدار العلوم وفشل في جميع وظائفه .. ولم يستقر بسكن واحد أو محل إقامة .. واستنم للكسل والبطالة والترحال الدائم .

وكان ذلك البؤس ثوب من العوسج يلدغي جسد صاحبه .. ولا يجد مفرأ من تحمل وخز الشوك .. وبدلاً من أن يخلع الثوب لينجو بجسده .. إنما أثره على ما يبلوه منه مبرأ لنفسه وللناس ذلك مستمراً في الندب والشكوى :

لا تنكروا الشكوى على متبرم

قلق الحياة كمن يشاك بشوبه

أنا لا أرى لي في شبابي لذة

لهفي على مرح الشباب وعجبه

من كان توأمه الشقاء وصنوه

فشبابه حرب عليه كشيبه

ولقد أخلص الديب لبؤسه كما يخلص عاشق لحبيبه ووفر على ناقديه

ومعاصريه أن يطيلوا القول والجدل فيه فأعلن عن هديته في كل موقف وعرج

على بؤسه في كل قصيدة واعترف أصدق اعتراف في شعره بذلك في قوله وهو

يستقبل أحد الأعياد :

يا معشر الديب وافى كل مغترب

إلا غريبكم في مصر ما بانا

ذبحتم الشاة قربانا لعيدكم

والدهر قدمني للبؤس قربانا

ورحل الديب وحيداً فقيراً يائساً في غرفة مظلمة كالسجن وصفها بأنها

لحده الذي يأوي إليه .

أبو نواس الجديد - صاحب « المشعلات »

أما أبو نواس الجديد .. حسين شفيق المصري .. فلم يكن نواسياً كصاحبنا ولم يكن غارقاً في لجة البؤس كالديب .. ولكنه كان صاحب مدرسة في الشعر الحلمنتيشي تصدرت صفحه صدر هذه الفترة مثل الكشكول ، المسامير ، البعكوك ، وغيرها .

وكان حسين شفيق المصري شاعراً بمعنى الكلمة .. ولكنه بدد شاعريته في المحاكاة والتقليد والنسج على منوال المشاهير من شعراء وأدباء . وقدرته على تقليد اللهجات كقدرته على تقليد الأسلوب . حتى طغت قصائده في هذا المجال على قصائده التي قالها دون تقليد لأحد . وفي نفس الوقت ركز طاقته المبدعة في دائرة الفكاهة فكان فيلسوفاً وشاعراً معا حتى طغى شعره الهازل على شعره الجاد .

ولم يكن حسين شفيق المصري يستهدف الاضحاك فقط من وراء شعره وإنما رفع شعره سوطاً حاداً ألح به الظهور حوله وفضح عيوب مجتمعه وسخر من تخلفه في شتى المجالات :

زمان العير قد ولى

بكبيل وخُطوب

وما الكبيل والوابور

في عصر الطباير

تقدم كل أهل الأرض

واحنا الي ف تأخير

فأخيبيهم ميكانيكي

وأشطونا الفواخيري

وهو يرفع صوته في وجه الحكام مندداً بتدخل الانجليز في أسعار القطن مقلداً قصيدة أبي تمام الشهيرة « كذا فليجل الخطب وليفدح الأمر » :

فقال :

تظن أنك باشا إذ تخاطبني
وانت في نظري بالكاد زيال
وكل ما فيك من مجد ومعجزة
جوازة حلوة بجبوحة عال
فالست تعطيك مالا حين تصرفه
تهز طولك ممروعا وتختال

وظل حسين شفيق المصري .. يواصل هذا اللون من الشعر
الفكاهي حتى ذهب بصره في الأربعينات .. وأسدت عليه ستارة النسيان .

الضاحك الباكي الأخير

وكان بيرم التونسي هو ثالث الضاحكين الباكين .. وبموته اندثر هذا
اللون من الشعر الضاحك الذي لعب دوراً هاملاً على يد بيرم في كفاح الشعب
وكشف نوايا الحاكمين .

ولم يكن الشعر الضاحك هو جماع فن بيرم كما كان عند شفيق
المصري .. ولكنه خاض في بحوره فأبدع بجانب بحر الزجل الكبير الذي كان
بيرم ربانه الأكبر .. بجانب نثراته ومقاماته وملاحمه .

ولعل قصيدة « المجلس البلدي » أشهر قصائد بيرم « الحلمتيشية » لما
أثارت من ضجة كبرى وقتها .. حتى باتت تتردد في الأذنة وعلى أفواه الناس
وتعاد طباعتها أكثر من مرة ويعلقها الناس وينشدوها المنشدون ويتناولها الشعراء
بالتخميس والتشطير حتى بات طبع القصيدة وانتشارها مصدر رزق له عند
الحاجة وكان يهاجم فيها الضرائب الباهظة التي فرضها المجلس البلدي
بالاسكندرية في ظل الاحتلال الأجنبي :
قد أوقع القلب في الأشجان والكد

هو حبيب يسمى المجلس البلدي
لا تنكروا ما رأيتم من ضنا جسدي
ولا فؤادي الذي أمسكته بيدي
إذا الرغيف آت فالنصف آكله
والنصف أتركه للمجلس البلدي
وما كسوت عيالي في الشتاء ولا
في الصيف إلا كسوت المجلس البلدي
أخشي الزواج فإن يوم الزواج آت
يبني عروس صديقي المجلس البلدي
وربما وهب الرحمن لي ولدا
في بطنها يدعيه المجلس البلدي
كان أمي بل الله تربتها
أوصت وقالت أخوك المجلس البلدي
وعندما زادت الضرائب هب يندد بها في قصيدة فكاهية :
يا أيها الراقدون هُـبُوا
فالكون بالراقدين يمضي
قلم لنا مالنا قليل
قلنا وما زال غير نش



★ أبو نؤاس
على يديه دت في
أوصال الشعر العربي
دعاء جديدة ★



★ حافظ إبراهيم
شاعر
النيل ★

لقد خلطوا بالسكلاريدس غيره
فليس له في السوق وزن ولا سعر
فلا بيع في البورصاء والخال واقف
ومن لنكشبر النهي يصدر والأمر

وقد اشتهر شفيق المصري « بالمشعلقات » إذ نسج على منوال المعلقات
الشهيرة قصائد طويلة فكهة تدور حول أحد الأحداث - سماها « المشعلقات »
مثل معارضته لمعلقة طرفة بن العبد :
لحولة أطلال بريقة تهمد
تلوح كباقي الوشم في ظاهر اليد

فقال :

لزئب دكان بمارة منجد
تلوح بها أقفاص عيش مقدد
وقوفا بها صحي على هزارها
تقولون لا تقطع هزارك واقعد
ومعارضته لمعلقة امرئ القيس الشهيرة : « قفا نبك من ذكرى
حبيب ومزل » يقول :

يبيعان مشوي الطحال وتارة
يبيعان بمبارا فخذ منه أوكل
كدابك من أم الفلافل قبلها
وجارتها أم الخلول يا شيخ علي
مطاعم مكروياتها تلد العمى
لعين كثير الأكل والمتقل

كما كتب قصائد أخرى هي « المشهورات » عارض فيها أشهر القصائد
العربية متجهاً نفس الأسلوب وهو النقد الجارح للأوضاع حوله في ثوب
ضاحك يشد إليه القارئ فعارض أبا العلاء في قصيدته : « علاني فإن
بيض الأماني » ، وعارض أبا الطيب في قصيدته :
لاخيل عندك تهديها ولا مال
فليسعد النطق إن لم يسعد الحال



★ خليل مطران ،
شاعر قلده آخرون ★



★ أحمد شوقي ،
قلده بيرم التونسي وسخر منه ★

ولم يقف بيرم عند هذا الحد من اشهار الشعر الفكاهي كسلاح ضد التخلف وإنما كتب شعراً فكاهياً خالصاً نابعاً من روح شفيفة وذكاء جم وحصيلة وافرة من القراءة والوقوف على مختلف الثقافات فقلده أبا العلاء في لزومياته فقال في بائع «كباب وكفته» :
أرى للفنى الجريان في السوق نصباً
يبيع عليها كفتة وكباب
وحول الفنى رهط من الناس واقف
عليهم دخان غامق وضباب
وئذأمهم خطوا صحنون مخلل.
بحافات هاتيك الصحنون هباب

وقلده شوقي وسخر منه .. وقلده شعراء عصره مطران وحافظ وعبد الرحمن شكري ورامي والمراوي والرافعي ، وكتبه مقامات شعرية كشفت عن بصيرة نفاذة في تحليل الشخصيات فكان بارعاً حقاً في سخريته الجادة .. وبارعاً حقاً في فكاهاته المرسلة عن صفاء طبع وخفة روح وحضور بديهة .

ويقدر ما أدخل الشعر الضاحك البهجة والمرح في قلوب الناس على مر العصور .. بقدر ما أثار المواطن وفتح العيون على مواطن الخطأ .. وألهم المشاعر ضد الدخيل وحرث أرضاً لشعراء العامية بعده .

وهكذا كان الشعر على مر العصور الحديثة .. سلاحاً ذا حدين ، حد يضحك حتى تدمع العيون .. وآخر حتى تدمي القلوب .

فكم حجزتم على رغيف
ورطل سمن .. وصحن مش
وقفل بيت وكوز ماء
وزوج نعل ونصف بُز
وعندما يشتد الفقر والحرب .. يخاطب حبيته مستنجداً بطلعت حرب
صاحب أول بنك مصري :
سُلّمي لم يكن بُندي
لصو أو غنى عنك
ولكن لم أكن الق
بجبي نصف إنرك
عي أن تصل الشكوى
(لطلعت) صاحب البنك
هو الحرب .. الذي أضحي
بمصر هازم الفنك

ويسخر بيرم من التقاليد والمواصلات وقذارة الشوارع فيقول لصاحبه القادم من مصر ليسأله عن حالها :
كيف غدت سكة زرع النوى
وبركة الفيل وباب الحديد ؟
ألا يزال داهسا فيكم
تراكم فوق القضيب المديد
وهل نساء القطر قد أقلعت
عن ذلك اللطم وذاك العديد
والصفع في الأقسام ما حاله
هل خف نوعاً أم قوي شديد

ويلتفت بيرم مواصلاً سخريته من رجل البوليس معارضاً قصيدة الشريف الرضي : « منابت العشب لا حام ولا راع ، فيقول :
خطوا الخفير على الدكان بحرسه
فباعه جملة لا بيع قطاعي
جاء الحرامي له لبلاً وقاله
على الذي فيه من مال وأبضاع
والصبح جاء على الدكان صاحبه
فلم يجد فيه غير السقف والقاع
قال « المعاون » شغل ليس نعرفه
فاللص لا يسرق المستيقظ الراعي
وحرر المحضر المكتوب صورته
لكل لص ونشال وقطاع
يا ابن اللثيمة يا شايوش بلدتنا
جعلتنا ضحكة الدنيا باجماع

اشترى في الندوة

- د. محمد سعيد الشنقي - السعودية ● د. ابراهيم الإمام - مصر
- د. المنصف الشنوفي - تونس ● حسن الزين - السودان
- عبد الله الشيتي - الكويت

الاعلام الاسلامي

ماضي.. حاضر.. مستقبل

اعداد: محمد مبارك



★ الاعلام .. من أبرز ظواهر العصر وأهمها ، وقد كثرت المؤلفات التي تبحث في أصوله وقواعده ، وتضطلع بأعبائه وتكاليفه مؤسسات وهيئات ، وتوليه جميع الدول اهتماما خاصا في عصر ينتقل فيه الخبر من أقصى الدنيا إلى أقصاها في لحظات معدودات .

والاعلام سلاح ذو حدين فهو مصدر للبناء كما أنه مصدر للهدم ، وهو يساهم في تشكيل العلاقات بين الناس وأساليب اجتماعهم واتصالهم وأمور انتلافهم ، وينقل المعلومات ويعتبر من أهم وسائل التثقيف والاخبار والتوجيه والارشاد .

وإذا كان الاعلام كعلم من العلوم الانسانية يعتبر من أحدث العلوم ، إلا أنه كفن ومازله يعبر من اقلّم أدنّ شايب التي استخدمت في الاتصال وتنظيم العلاقات ونشر الدعوات والتفسير والايضاح .

وهو أيضا كمبادئ وأسس بحث عنها رجاله كثيراً ونقبوا عنها الباحث في التاريخ الاسلامي عامة وتاريخ اعلامه خاصة ، وتقرب تعريفات علمائه من المعاصرين من قواعد الاعلام الاسلامي سواء تلك التي جاء بها الدين الحنيف أم أضاف إليها عصور سابقة ، أو أدخل عليها بما انتهجت القرون الاسلامية الأولى ★ .

والإعلام في تعبير شديد البساطة هو الإخبار بالمحائق والوقائع والمعلومات الصادقة من أجل اتخاذ اتجاه سليم وموقف صحيح .

«البلاغ» الأخي، فهو يتضمن جميع أساليب الإعلام والدعاية المعروفة بدءاً من تقديم الخبر على جميع أشكاله ومروراً بالتوجيه والإرشاد، وحتى استخدام أسلوب الأمثلة والشواهد، واستخدام أسلوب التوقع ووضع يد الدعاة على ما ينتظرهم، ورسم معالم الدعوة الإسلامية، وتقديم المثل الأعلى، والمنهج القويم الذي يوصل إلى أبرز النتائج، كما استند في أكثر مواطن التوجيه والإرشاد إلى أسلوب محب إلى نفوس البشر فنقدم الدليل والعبرة معاً ذلك هو أسلوب القصص القرآني.

ويأتي بعد ذلك النبي محمد ﷺ القدوة الاعلامية، ومن أبرز ما تركزت فيه أساليبه الاعلامية، أحاديثه النبوية ثم خطبه الكريمة حيث يجد فيها دارس الاعلام كل ما ينشده من معالم الصدق والدلالة، واعطاء الأمثلة الواقعية والقريبة من الأذهان، والاعتراف بفضل السابقين من الأنبياء، وأدب الحديث، وبساطة التعبير، والتواضع، واحقاق الحق، ووضوح الايمان بالرسالة.

والمدقق في أحاديثه وخطبه النبوية - صلوات الله وسلامه عليه - يجد فيها تحقيقاً للأهداف التي تسعى إليها جميع وسائل الإعلام المعاصرة وهي الإعلام والإخبار والتوجيه والإرشاد والتفسير والايضاح والتنقيف. وقد تعمقت الجذور الاعلامية ورسخت في عهد الرسول الكريم ﷺ، ووضعت أسسها، واستمر بعضها، وأدخل على الآخر ما يناسب مع ترامي أطراف الدولة الإسلامية في عهد الخلفاء الراشدين.



★ د. محمد
سعيد
الشيخ



★ عدائه
الشيخ

وإذا كانت وسائل الإعلام في ضوء هذا المفهوم تنجبه بالدرجة الأولى إلى بعض صور الاتصال والأنماط الإعلامية التي تعود إلى العصر الجاهلي بالنسبة للعرب مثل الخطابة وإقامة الندوات والمناداة وعقد الأسواق الأدبية والتجارية، فإنها تنجبه بقوة إلى ما كان للرواة الثقات من دور كبير إمتد حتى العصر الإسلامي نفسه، حتى أنه خلال القرون الثلاثة للهجرة كانت الرواية الشفهية تسير جنباً إلى جنب مع الكتابة والتدوين.

ومن بين قواعد الاعلام الاسلامي ما تمثل في القرآن الكريم والأحاديث النبوية والأعياد الاسلامية ومجالس الشورى والبعوث الاسلامية والأذان والندوات ومؤتمرات الحج.

والقرآن الكريم أساس المنهج الاسلامي القويم الذي يهدي إلى الحق، فهو نور من الله وكتاب مبين.

يهدي به الله من اتبع رضوانه سبيل السلام ويخرجهم من الظلمات إلى النور بإذنه ويهديهم إلى صراط مستقيم.

وهو يتضمن جميع الأساليب الإعلامية والدعائية المعروفة من تقديم للإخبار إلى التوجيه والإرشاد، واستخدام أساليب الأمثلة والشواهد والتوقيع ورسم معالم الدعوة الإسلامية وتقديم القدوة الصالحة مما يجب أن ينهل منه رجال الإعلام المسلمين.

ندوتنا لهذا الشهر تناقش قضية «الاعلام الاسلامي» من جوانب وزوايا مختلفة. . . يشترك فيها عدد من العلماء والخبراء الإعلاميين في العالم الإسلامي.

جذور الاعلام الاسلامي

في البدء تحدث الدكتور محمد سعيد السعدي رئيس قسم الاعلام بكلية الآداب بجامعة الرياض بالمملكة العربية السعودية عن الجذور التاريخية للإعلام الإسلامي.

«الاعلام قديم قدم الإنسان وعهده بالحياة، وتقرب تعريفات علمائه من المعاصرين من جذور إعلامنا الإسلامي. . . فهو:

★ التعبير الموضوعي لعقلية الجماهير وروحها وميولها واتجاهاتها في نفس الوقت. والمفروض أن يقوم الاعلام على:

★ الوضوح والصراحة ودقة الأخبار مع ذكر مصادرها.

ويشترط:

★ الالتزام بمعايير الصدق والأمانة.

وينبغي الاعلام أيضاً على:

★ التنوير والتنقيف ونشر الأخبار والمعلومات الصادقة التي تنساب إلى عقول الناس. ويظهر دين الله الخفيف بدأت مرحلة جديدة كل الجدة في ماهيتها وأساليبها، مرحلة تسمو فوق التعريفات والإضافات كما تفوق خاصة في المرحلة الأولى منها - الدعوة الاسلامية - كل ما وصل إليه خبراء الاتصال الجماهيري وأصحاب النظريات التي قسمته إلى شخصي وجمعي، أو كما يطلق عليه حديثاً من مصطلحات مبتكرة مثل المرسل والمستقبل ورجع الصدى.

وهذه المرحلة الجديدة يقف القرآن الكريم منها موقف الأصل والركيزة، وتأخذ الرجل الاعلامي لأول وهلة عدة حقائق تنصل بهذا

* د. النصف
الشرفي *



* حسن
الربيعي *



ذاتيتنا الثقافية

ويتحدث الدكتور المنصف الشنوفي مدير معهد الصحافة وعلوم الأخبار بتونس عن الأبعاد الإسلامية وثقافتنا الذاتية وحتمية اتخاذ إعلامنا الإسلامي لها أسساً يسير عليها فيقول :-

«أولا أود أن أنبه إلى ضرورة تدعيم أصالتنا التاريخية والحضارية بالبحث في جوانب ديننا الخفيف في كافة المجالات والأبعاد التي تواجه المسلمين في عصرنا الحاضر المتميز بطغيان المادة وإهمال الجذور الأساسية للأصالة الإسلامية . ولا شك عندي والمجتمعات العصرية قد بحثت بعد عن أصول مجدها وحضارتها أنه خليق بنا ونحن أمة مجدها راسخ وقديم أن نبحث عن جذور أصالتنا كعرب اتخذوا الإسلام هم ديناً ، وبناء حضارة إسلامية عريقة اعترف خصومتنا بدورها الإيجابي في بناء الحضارة الإنسانية .

فالاسلام عند ظهوره اعتمد بصفة لا تختلف عما تقوم به وسائل الاعلام اليوم منهجا قويا في نشر الدعوة الاسلامية وبالتالي في الاعلام الديني في أجدى مظاهره ، إذ دخل الناس في الدين الخفيف أفواجا وأفواجا .

ولا أريد أن أتحدث عن روعة الحديث ودعاة السنة وعن الطرق العلمية التي قامت عليها الدعوة النبوية وواصلها أصحاب الرسول ﷺ والشابعون هم باحسان وأجيال من كبار العلماء والفقهاء مكثوا من ترميز الدين الإسلامي في جزء شاسع جداً من الكرة الأرضية إذا قيس ذلك بما تعمد إليه أحدث وسائل الإعلام في العالم المتقدم لاعتبر بحق أهم جذور لما ينبغي أن يقوم به الإعلام الإسلامي من دور في إرساء قواعد ذاتيتنا الثقافية التي هي إسلام وعروية ولغة عربية .

ومن مصر يشترك الدكتور إبراهيم الامام رئيس قسم الصحافة والاعلام بكلية اللغة العربية بجامعة الأزهر برأيه ويورد مثال لفكر غربي يرى في اللجوء إلى المبادئ الإسلامية خلاص مجتمعه ، وهذه المبادئ هي ما يجب أن نهمل منها في إعلامنا الإسلامي :-

« إن موضوع الإعلام هذا يعتبر موضوع الساعة ، ذلك أن كثيراً من الناس غاضبون على ما تقدمه أجهزة الإعلام في العالم الإسلامي حيث لا يتواءم مع المفاهيم الإسلامية والسلوك الإسلامي .

وأرى أنه لا يمكن أن يتقدم الاعلام الاسلامي في عصرنا الحالي ويواجه مشاكل التنمية وتكوين الانسان المسلم على أساس الهدى الاسلامي الصحيح إلا إذا ارتكز على أساس الاسلام الصحيح . وسأقدم الآن مثلاً على أن المجتمع الغربي يعاني من الصم الذي صنته ذلك أن عالم الغرب يعاني من السرد في المادية والشعور بالاكثاب والضياع ولا يجد مخرج إلا بتبني التعاليم الإسلامية وهناك كاتب تكلم تحديداً في هذا الموضوع - ماكس فيبر - وقال : ان هناك خمس قيم :

١ - التوحيد : لا إله إلا الله ، فيه مساواة وعدالة وعدم شرك وهو فوق الفلسفة المادية وهو قوة دافعة للإعلام والمجتمع .

٢ - القيم الإسلامية : وهي القيم والتقاليد الإسلامية وخصوصاً قيم الأسرة والمجتمع (وهذه التي نجدها منحرفة بالضياع في إعلامنا) هم يبحثون عن قيم من عندنا ونحن نبحث عن قيمنا عند الغرب المكتسب .

٣ - المهابة : وهي توقير رب الأسرة وتوقير الكبير والكتب المقدسة .

٤ - الاعتدال : يقولون إن الإسلام يتصف بالاعتدال فالإسلام وسط ، والوسط معتدل وهو لا يرضى عن المبدزين والمسرفين كما أنه لا يرضى عن البخل ، والوسط قيمة كبرى يفتقدها الغرب .

٥ - السمو الروحي : وهو أعظم القيم ، فيه الارتضاع عن الماديات والدنيا . وهم يشكون من المادة « الصم الأكبر » ومرضى العصر وهم يرون في الإسلام الدواء .

ومن جهة أخرى فالعالم كله يشكو من التلوث ، فعندما سقط القمر الصناعي السوفياتي في كندا أغربت الحكومة الكندية عن مخاوفها من التلوث ، والدول الصناعية الكبرى منها والصغرى مسؤولة عن هذا التلوث وتشكو منه في ذات الوقت وتعتقد المؤتمرات لاقتراح العلاجات المناسبة لهذه المشكلة .

إلا أن هناك تلوثاً من نوع آخر نعيش فيه باستمرار ، والناس تحسه وتفرغ منه ، لكن الإحساس والفرع هذا لا يعامل بنفس الإحساس ولا يقابل بنفس الاهتمام ، وهو تلوث ثقافي وإعلامي ، ولا يمكن أن يكون كل العتب على الإعلاميين فقط ، فهم يعيشون في بيئة وحضارة وإعلامهم نتاج مجموعة الظروف التي من هذا الشكل .

والأمل معقود على نجاح وكالة الأنباء الإسلامية في أن تبرز كوكالة لها أسس ومبادئ خلقية ودينية وأن تتعاون معها الدول الإسلامية وتأخذ منها وتعطيها حتى تصل إلى مركز مناسب بين الوكالات العالمية للأنباء

ولتكن مؤسساتنا قادرة على أن تقود إعلاماً إسلامياً في حجم هذا الدين وهذا التراث بل وفي حجم الإنسانية .
إنهم الرجال المؤمنون الذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه ، يستطيعون أن يفعلوا هذا وأن يحققوه وينصروه بإذن الله .

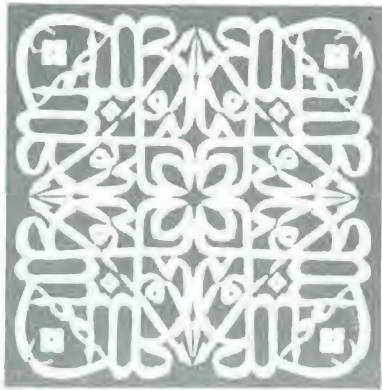


تعليق

ما أوحجنا في عالمنا الإسلامي إلى الاستفادة من الرعيل الأول من المسلمين في أساليبهم المبتكرة لنشر الدعوة الإسلامية والتي صلحت مع غير المسلمين في إعلامهم أو على الأقل في وضع مبادئ الإعلام السليم .
إن العالم المضيق التي ارتكز عليها الإعلام الإسلامي من صدق وبساطة وحسن اختيار الأسلوب الإعلامي والتشويق والحقائق والإخبار والارشاد والايضاح والتثقيف ، تحقق بها مسلمينا الأوائل رفع راية التوحيد ونشر الدعوة الإسلامية على أوسع نطاق ، وأيضاً تحقق بها ائتلاف العقول والقلوب .
والمبادئ السامية الخالدة بكتاب الله عز وجل ، والتي حقق بها نبي الله محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم القدوة الصالحة للمسلمين صالحة دائماً أن ينهل منها الناس على اختلاف مشاربهم .

وللإعلام الاسلامي جذور عميقة يجب أن يبرزها المتخصصون في مجالات الاعلام المختلفة ، والقيم التي يرتكز عليها إعلامنا الاسلامي والمنطلقة من كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وعلى آله وسلم يجب أن تتبناها وسائل الاعلام المختلفة في العالم الاسلامي ، وكما أن الدين عند الله الاسلام فعلى العلماء المسلمين في كافة مجالات الحياة - ومنها الاعلام - أن ينهضوا وينطلقوا بها ليكون كل مجال منها خليق بأن ينسب إلى الإسلام .

ونتظر اليوم الذي ينسب الفضل فيه إلى أهله بحيث يعترف العالم أن أسس الإعلام السليم القويم إنما نبتت من روافد الاسلام . . وهذا يلقي أعباء ومسؤوليات جسام على المؤسسات الإعلامية في عالمنا الإسلامي بحيث تلزم بشرف الكلمة وأمانة العرض وحسن القصد .



ومن السودان يوجز الأستاذ حسن الزين وكيل وزارة الثقافة والاعلام السودانية رأيه في قوله :

« جذور الإعلام الإسلامي تعود إلى « بسم الله الرحمن الرحيم » .
اقرأ باسم ربك الذي خلق » وهي الدعوة الإعلامية الأولى التي انطلقت في وسط الجزيرة العربية حين عم الجهل والضلال وقام بها رسولنا ﷺ خير قيام حتى وصل بها وتنعمه من ربه إلى المدينة الفاضلة والمجتمع السامي الذي صار نبزاً لمن تنطق شعلته ما دامت السماوات والأرض .
ونحن نسأل الله سبحانه وتعالى أن يوفقنا أن نستهدي في عملنا الإعلامي بمبادئ الإسلام الخنيف وأن نسعى كما سعى نبينا ﷺ من قبل وأن نحقق الرجعة الحضارية المرجوة لذلك المجتمع الفاضل الذي أصبح الأمل المنشود لخلاص البشرية مما تعاني منه الآن من مشاكل سلوكية عميقة الجذور . »

إعلام في حجم الاسلام

ومن الكويت يقول الأستاذ عبدالله الشيتي مدير تحرير مجلة النهضة الكويتية :

« القرآن الكريم في يقين ، وبكلمات قليلة ، ومعان بسيطة أقر أنه - أي القرآن الكريم - عالم واسع المدارك من الاعلام والارشاد والتوجيه والتبصير . وكذلك الأحاديث النبوية والسيرة الشريفة وسيرة السلف من الصالحين والخلفاء الراشدين . هذه المعطيات جميعاً تشكل في جوهرها العظيم وخصائصها الكريمة ، إعلاماً إسلامياً ذا جذور ضاربة في التراث والتاريخ والحضارة العربية والإسلامية التي ننكرنا لها ، وأفسدنا التفريط ، وساءنا التقليد الأعمى ، وأضررت بنا التيارات الوافدة كالولاء .
وأنا هنا لا أريد أن أؤرخ لماهية وجذور الإعلام الإسلامي ، لغيري من المختصين والمؤرخين أن يفعل ذلك . ولكن الذي أريد أن أقوله إن إعلامنا العربي والاسلامي يجب أن يقوم ويتحرك ويفعل ويؤثر من خلال القيم والأخلاقيات والمناقب الإسلامية وأن تؤدي هذه المهمة بأسلوب عصري وعلمي ومنطقي .

ولقد كان الرسول الكريم ﷺ أول من حمل راية الاعلام الاسلامي وقد بعثه الله ليلبغهم الدعوة . . ويعلمهم علم اليقين ، ويهديهم إلى سواء السبيل بالحق والبينة وبالصدق والأمانة .

وإن على هذا العالم الإسلامي الممتد على طول الأرض وعرضها أن يتدارك أمره ، ويحفز إرادته ليضع إعلاماً في مستوى هذا الدين قيمة وموضوعية وإنسانيّة ، وأن يتصدى لمثل هذه المهام رجال قادرون أكفاء أخيار يتبنون مرضاة الله ودين الله . وأن يعيدوا سيرة الإسلام الأولى حتى ترفرف راياتها فوق كل سارية وكل مرتفع من هذا العالم المليء بالشاحنات والمتناقضات والماديات .
ويجب أن نكون مسلمين حقيقيين لا قولاً ، وحقيقة لا وهماً ، أو أن تكون مؤسساتنا الاعلامية مرتكزة على أساس روحي ومادي معا وليس على أساس مادي فقط .

شرق آسيا المنطقة التي اكتشفت مؤخراً



بقلم
عبدالله جفري

★ كانت الرحلة تبدو شاقة جداً .. بطول مسافتها ، وبقصر الراحة في أيامها الثلاثة ! لكنها - في محصلتها - جعلتنا ننظر إلى الوقت بروية فلسفية متعاطفة مع مكاسب المعرفة واكتشاف الجديد ، والانبهار بقدرة شعب على صناعة التطور المضطرد في حاضره واستشراقاً لمستقبله !

أما مشقتها .. فقد تمثلت في ربطنا بأحزمة الطائرة حوالي ثمانية عشرة ساعة ، ونحن في طيات السحب القطنية .. نعبث فوق جبال ، وبحار ، وندخل إلى ليل دامس ، ونخرج من طرف قرص الشمس القاني ، حيناً تميل إلى الأفول .. فكأننا - بين السماء والأرض - نتأمل في صنع هذا الكون الشاسع الباهر دليلاً على قدرة الخالق وآية من آياته . وكأننا بزرخم الحميمية في صدورنا ننشد في هذا اللامدى المترامي قصة الإنسان الذي استمد إبداعه من قدرة خالقه .. فريط القارات هذا الرباط المتناسك .. لتكون بين الناس وشائج من عواطف الإنسان ، ولتكون هناك أيضاً فلسفة لأبعاد الانقسام التي تحدث أحياناً من فكرة التسابق إلى حياة أفضل ، أو التصارع من أجل سيادة أقوى !! ★

★ الباب الرئيسي للقرية الشعبية التي تمثل
طريقة الحياة في كوريا القديمة . ★

★ الكثير من العائلات الكورية تحضر أطباق الحلوى الشعبية في المنزل ، وهنا تبدو
مجموعة من السيدات منبهكات في إعداد فطائر دقيق الأرز مع السكر ★



● كأنها زقزقة العصافير بعد طلوع قوس قزح: أصواتهن!

●● نحن نتحد في محاربة الشيوعية عدو الإنسان الحر.

●●● منع التجول في كوريا.. أصبح عادة!



★ آلة موسيقية كورية تشبه القيثارة فيها اثنا عشر وترًا ★



★ خزاف شاب يزخرف آنية خزفية قبل إدخالها في الفرن. ★

★ بيت ريفي مغطى بالقش،
يلكرنا بهلوه الحياة الريفية ★



ولكننا في هذا المللكوت الممتد .. كنا نتأمل كيف يحس الإنسان في لحظة من عمره بالضعف، وبالصالة .. رغم أن هذا الإنسان نفسه هو الذي اخترع الطائرة، والصاروخ، وأسرع الوسائل التي تأخذه إلى حفا في العمر عندما يبحث عن عمق الحياة !!

فكان هذه السحب التي تطويها بزمان قصير من اختراع الإنسان .. تطويها هي الأخرى في لا مداها الرحب .. فلا ندري لحظتها، هل نغني للحياة أم نصغي لأصدا ما نرتكبه ضد الحياة ؟!

ولكننا كنا نعجز عن التأمل الطويل .. لأن طبيعة الإنسان أن يتلفت، وأن يتكلم، وأن يغمض عينيه ليرتاح بالنوم قليلاً من شجونه وأفكاره، وأن يحس بالملل .. فلقد كانت مسافة الرحلة من جدة

المستقبلين لنا شعرنا بحرارة دافئة .. فكأنما قلوبهم توسطت أكفهم تعبيراً عن فرحتهم بقلاننا !!

وانطلقت بنا الحافلة الصغيرة في شوارع «سيول» .. وكنت لحظتها أسترق السمع إلى حديث هؤلاء الأصدقاء الجدد ، رغم أنني لا أعرف كلمة واحدة من لغة كوريا .. لكنني استمزجتها فكأنها نقر مطر خفيف على شبك زجاجي . أما هذه اللغة بأصوات نسايمهم ، فقد كانت شيئاً من نقر الطيور .. كأنها زقزقة العصافير بعد طلوع قوس قزح .. ولم تكن هذه العصافير طويلة الإقامة معنا في رحلة الأيام الثلاثة إلى كوريا .. لكنها أخذت كثيراً من الطبيعة العفوية والباهرة !!

فالبطبيعة هناك بساط ممتد .. وسياج لا ينتهي كحزام أخضر يحوط هذه المدينة ليصد عنها النفايات والاطماع . وإذا لم يكن اللون الأخضر من ألوان شعار كوريا .. فلا بد أن هذا اللون هو اللون السائد في جوانح أهلها .. فليس من طبيعتهم العنف ، وليس على وجوههم القسوة .. إنما من طبائعهم الصلابة ، وعلى وجوههم ذلك الجد ، الذي حولهم كلهم إلى شعب يعمل بلا كلل . وهم يعملون لتحسين حياتهم ، ولانجاح خطط التنمية في بلادهم ، ولذلك فقد جعلوا ساعات العمل «اثنتا عشرة» ساعة بدلا من ثماني ساعات !!

■ ■ ■ اليوم الأول

● ● قالوا لنا هناك : إنكم أصدقاء لنا ، ومن الضروري أن ندعوكم لمشاهدوا جهودنا من أجل الإنسان الحر وفي مناخ الحياة الكريمة . ونحن ننشأه في أشياء هيمة وملاحقة للمستقبل الذي نرجوه .. فكوريا من الدول النامية ، والسعودية أيضاً . ولدينا خطط للتنمية حققت لنا بعض أحلامنا وما زلنا نواصل العمل ، ولديكم خطط للتنمية استطعتم بها أن تحيلوا الصحراء إلى حدائق ومبانٍ شاهقة ، ومصانع ، ومدارس ، وجامعات ، ومستشفيات ، ولديكم المال ، ولدينا الخبرة واليد العاملة .. ومن هنا كان التقاؤنا ونمت العلاقات في اضطراد ! — قلنا لهم : وهناك رابط أهم وأخطر !

— قالوا : نعم .. فنحن نتحد في محاربة عدو الإنسان الحر : الشيوعية . أنتم تبصرون الأخطار المحدقة بالإنسان على عقيدته وتراثه وثروته وأرضه ، فتحاربون الشيوعية الخطر ، ونحن اكتوينا وعانينا الكثير من تسلط الشيوعية وقهرها ومحاولة تمزيقنا .. لكننا بخطط التنمية وبنظام الاقتصاد الحر ، استطعنا أن نحقق معدلا للزيادة في الإنتاج .. فأصبح غنونا الاقتصادي يمثل ١٠ ٪ في السنة ، ولكن الأخطار ما زالت محدقة بنا .. فقد نجحت الشيوعية أن تقسم الأرض الواحدة ، أو كوريا الواحدة إلى كوريا جنوبية وشمالية ، وفي يوليو (تموز) ١٩٥٣ م ، وقعت اتفاقية تقسم كوريا عند خط العرض ٣٨° ، وعقدنا معاهدة الدفاع المشترك مع أميركا في نفس العام ، وفي السادس من يونيو (حزيران) ١٩٦١ م ، ولدت أول حكومة عسكرية .. وخلال ثمانية عشر عاماً ، استطعنا أن

إلى الظهران ، ومن الظهران إلى «سيول» ، عاصمة كوريا الجنوبية ثمان عشرة ساعة ، وهي مسافة يختلط فيها التقدير للوقت ، والحساب للزمن ، وربما يصبح الوقت في طول هذه المسافة شيئاً لا أكثر من الانتظار الطويل . فنحن داخل مقاعد الطائرة كنا ننتظر اللحظة التي يتحرك فيها الوقت من جديد ، ويتحول إلى عمل ، وإلى خبر ، وإلى رؤية ، وإلى شعور !!

ونحن أيضاً - في طول هذه المسافة - نفكر في الاتجاه الذي ننتقل إليه .. وبعض رفاق الرحلة زار الكثير من مدن العالم ، وربما قطع أطول من هذه المسافة إلى «سيول» .. لكنه في هذه الرحلة يشعر أنه يتقدم إلى شيء جديد ، ويتجه إلى رقعة من الأرض لا يعرفها ، لأنها تختلف كثيراً عن كل ما تعرف عليه .. ومنطقة «شرقي آسيا» بالذات لم يكتشفها الإنسان العادي إلا مؤخراً .. ولكن أميركا ، قد تمكنت من اكتشافها منذ وقت طويل وقالت للعالم : إن هذه الأرض جديدة .. تختلف باناسها عن كل ما تعودناه وعرفناه .. ثم بعد ذلك تنازعت أميركا ، وروسيا على هذا الجزء من العالم وما زال النزاع ما بين مد وجزر .. وما زالت روسيا بايديولوجيتها تنسج أطماعها الكثيرة ضد هذه المنطقة ، لتستفيد من ثرواتها ، ومن استراتيجيتها ، والصراع محتدم ، والتحديات قد انتقلت من القوتين العظميين إلى نفس شعوب هذه المنطقة .. فهي شعوب تناضل الصخر بأظافر مدبية .. لتحظى باستقلالها إلى التطور ، وتبني بلدانها بخطط التنمية الهادفة قبل كل شيء إلى نوعية الإنسان هناك ، وإلى توفير غذائه ، وإلى رفع مستوى معيشته !!

● ● وعندما هبطت الطائرة بنا في مطار «سيول» قالوا لنا في أولى النصائح :

« اتبهوا .. فإن الطقس هنا يختلف عن طقس بلادكم إلى النقيض ، ودرجة الحرارة في حوالي الساعة العاشرة صباحاً ، كانت (أربعة تحت الصفر) ، وفي المساء ، ستكون (سبعة تحت الصفر) . لقد كان فارق الزمن مهولاً مثل فارق المناخ .. فبينما كانت الساعة العاشرة صباحاً في «سيول» ، عرفنا أن الزمن في المملكة العربية السعودية ، هو الساعة الرابعة بعد الظهر من اليوم القادم .. فنحن في «سيول» الآن .. في بداية يوم السبت ، ولكن الناس في المملكة أصبحوا في يوم الأحد بعد الظهر !!

فما أشد الفرق علينا بحسابنا للزمن .. وأيضاً ربما تمثل الفرق الزمني كذلك ، عندما نقارن بين عطاء إنسان وإنسان ، وبين انجازاتها ، وبين نظريتها للإبداع وللإنتاج !!

وبحركة عفوية كنا «نفرك» أكفنا بعضها ببعض . وكان البخار المتصاعد من بين شفاهنا كما «نقطة» سريعة من شعور إلى شعور .. ومن تجربة إلى تجربة . وحاولنا أن نهتسم بحرارة في هذا المناخ البارد جداً ، وعندما لمست أكفنا أكف المسؤولين في شركة الخطوط الكورية ،

● ● كنت أقف خلف زجاج يؤدي إلى شرفة الغرفة في الفندق بمدينة سيول .. أتأمل ذلك الازدحام العجيب أمامي في الشوارع .. ورغم ذلك فإن الحياة كانت تسير هادئة .. لا أصوات عالية لأبواق السيارات .. لا سائق سيارة يمد رأسه من نافذة عربته ليستم سائقاً آخر .. لا تكديس في السيارات أو ضغطاً في المرور ، رغم كثرة تلك السيارات !!

وتساءلت : كيف هي الحياة في هذه الجزر ؟!

إن كوريا كلها تضم حوالي ٣٤٠٠ جزيرة ، وتاريخها الطويل يصل إلى القرن الثاني عشر قبل الميلاد . وتاريخها الأصيل يدون هذه البداية المعروفة في كتب التاريخ عن ميلاد كوريا الكبرى :

● « إن التاريخ يذكر العالم الصيني كيتزي ، الذي أسس مستعمرة في بيونغيانج ، وفي القرن السابع أنشئت مملكة سيلا الوطنية بتأييد الصين ، ومدت نفوذها في أنحاء كوريا ، وجاء الدكتاتور الياباني هيدويوشي ، ١٥٩٢ - ١٥٩٦ م ، فاحتل كوريا في حملته على الصين ، وفي الحرب العالمية الثانية ، وعدت أميركا وبريطانيا والصين ، بمنح كوريا استقلالها ، ولكن عندما انتهت الحرب ، قسمت كوريا إلى مناطق احتلال : الروس شمال خط عرض ٣٨° ، والأميريكيون جنوبه .

● والمعلومة الأخرى ، تقول : « إن الكوريين يعتقدون خليطاً من البوذية والكنفوشية والشامانية ، وأقلية مسيحية » . ولكنهم اليوم ينضون تحت العلم الكوري الجنوبي .. مواطنين يستيقظون في الصباح المبكر مهرولين إلى أعيانهم ، وينامون في المساء المبكر حفاظاً على صحتهم ، والتزاماً باحترام وقت العمل . وما زال نظام حظر التجول سارياً كل ليلة من الساعة الثانية عشرة .. فحقق لهم هذا الحظر نوعاً من التماسك الأسري أيضاً ، ورغم أنهم يعرفون أن منع التجول الآن لا ضرورة له .. لكنهم قد تعودوا عليه شكلاً من أشكال النظام ، الذي ارتضوه بهدف تنظيم الوقت من أجل الإنتاج والعمل !!

وفي كوريا الجنوبية ، يعتمدون أساساً على التجارة .. فهم شعب بارع في التجارة التي حولوها إلى « فن » التعامل مع الشعوب ، وهذا الفن مكنتهم من الانطلاق إلى العالم الثالث بالذات ، وترويج بضائعهم في العالم الحر .. أما في بلادهم .. فلا بد أنك تدهش أمام الطريقة التي يعاملون بها كل راغب في الشراء من معارضهم ومتاجرهم !

وكنا نضحك كلما تجولنا في أسواقهم ، ونحن نركض إلى بعض تلك الأسواق التي بنيت ونظمت تحت الأرض .. لأننا نبحث أولاً عن الدفء هرباً من البرودة ، التي تتسلل إلى عظامنا كلما فتحنا باب الفندق الكبير إلى الشارع . أما لماذا كنا نضحك ، فلم يكن ضحك السخرية ، وإنما كان من ضحك الغبطة والاعجاب .. فالبياعات يخرجن من داخل المعرض ليصافحننا ويجذبنا إلى الداخل ، ولديهن طريقة محبة ومغرية في عرض

ننجز ما ترويه اليوم ماثلاً أمامكم . وما زلنا نواجه خطر مؤامرات الشماليين الشيوعيين . وكانت لهم محاولات عديدة ، أشهرها مؤامرة الأنفاق الثلاثة ، التي اكتشفناها في عام ١٩٧٤ ، وعام ١٩٧٦ ، وعام ١٩٧٨ م .. والهدف منها هو تهريب الأسلحة والمخربين لزراعة القلاقل في البلاد ، ولاشغالنا عن بناء مستقبلنا ، وتنفيذ مشاريعنا الإنمائية !

— قلنا لهم : يلاحظ أن هناك انفتاحاً من العالم العربي على بلادكم .. هدفه تطوير التعاون والمشاركة في البناء الحضاري ؟!

— قالوا : رغبتنا في السلام أمنية وعمل ، ولا بد أن نفتتح على العالم الحر لنستفيد ونفيد ، فمشاكل التنمية فيما بيننا مشتركة ، وخطط التنمية لدينا ولديكم هدفها البناء ، والتعمير وتطوير الحياة إلى الرخاء والرفاهية ، ولا ينبغي أن نعيش في خوف لأن حولنا أعداء شرسين .. بل لا بد أن نبلور الخوف فنجعله حذراً ، ونجعله إبداعاً في العمل والإنتاج .. فإذا نجحنا في ذلك استطعنا أن نهزم الشيوعية .. نهزمها ببناء الاقتصاد الحر ، ونهزمها بتوفير الحياة الكريمة والرخاء في شعور كل إنسان !

— قلنا لهم : إننا نستخدم اليوم في بناء خطط التنمية في بلادنا الأيدي الكورية العاملة ، ونبحث معاً التعاون الاقتصادي والفني والتجاري والثقافي ، ونستفيد من خبراتكم في الرغبة لتطوير المجمعات الصناعية ، وزيادة المشتريات السعودية من منتجات كوريا ، وفي تقرير أخير عن مجالات هذا التعاون المتعدد .. أثبت أن صادرات كوريا إلى المملكة العربية السعودية ، قد ارتفعت خلال الشهور التسعة من هذا العام إلى ما قيمته ٥٥٢ مليون دولار ، ومن هذه الصادرات : الألياف الصناعية ، والآلات ، والألواح الخشبية ، والمنتجات المعدنية ، والاطارات . كما أن صادرات المملكة من البترول إلى كوريا الجنوبية ، قد بلغت ٩٢٧ مليون دولار .

— قالوا : أقرأوا هذا المقال الذي كتبه صحفي كوري ، عن العلاقات بين كوريا الجنوبية والدول العربية .. إنه يقول فيه : « لا شك أن العالم يراقب باهتمام هذه المساهمة التي تقدمها كوريا والبلاد العربية من أجل السلام في آسيا ، والتقسيم الأفقي للعمل بين شبه الجزيرتين يسجل النموذج الأفضل للتعاون الدولي في النصف الأخير من القرن العشرين » !!

— قلنا لهم : إنه خلال سبع سنوات مضت استطاعت كوريا أن تحصل على عقود بلغت قيمتها الإجمالية ١٣,٦٠٠ مليون دولار ، في مختلف مشروعات البناء في المملكة العربية السعودية ، وفي المملكة الآن ، يوجد حوالي ٥٧ ألفاً ، من الفنيين والعمال الكوريين الجنوبيين التابعين لسبع وخمسين شركة !!

ثم ... انتهى اليوم الأول من الحوار بهذه الإحصائية التي دلت على أن العلاقات اليوم ، تزداد ازدهاراً ومتانة بين كوريا والسعودية بالذات ، وبينها وبين الدول العربية .

✱ ✱ ✱

السلعة التي يعرف أنك تود اقتناءها .

وفي أحد المعارض قالت لي الفتاة الصغيرة البائعة :

— هل تريد شيئاً لزوجتك ؟ .. إنه عندي . هل تريد شيئاً لابنتك ؟ .. إنه عندي .

● قلت مبتساً : بل أريد شيئاً لي !

— فقالت : أمتأكد أنت ؟!

● قلت : ولماذا التأكد ؟ .. إنني أعرف ما أريد !

— قالت : أقصد .. هل انتهيت تماماً من شراء هدايا

لزوجتك وابنتك وابنك ؟!

● قلت : ليس كل الهدايا وإنما بعضها !

— قالت : إذن .. أكمل النقص أولاً .. فالبيت قبل

كل شيء . وأنت في النهاية !

● قلت : حقاً ما تقولين !

— قالت : هل لك أربع زوجات ؟!

● قلت .. ولماذا ؟!

— قالت : لا تغضب .. فالعرب كما نعرف يتزوجون

أربعاً : إن أخي يعمل لديكم في الظهران .

● قلت : ألا ترغبين في زيارته ؟!

— قالت : إنه في عامه الأول .

● قلت : السلام عليكم !

— قالت بلهجة مكسرة : السلام أليكم !!

★ ★ ★

■ اليوم الثالث

●● يهتم الشعب الكوري بالفنون . واهتمامه هذا ينبع أصلاً من

تقديره لقيمة الثقافة عند كل شعب ، وهو يرى أن الفنون معيار يدل على تقدم كل شعب !

وفي لقائنا مع مدير عام الصحافة بوزارة الإعلام الكورية

قال لنا :

« إن الثقافة في تقديرنا هي هوية الاستقلال لكل شعب .. فإذا كان

شعب ما بلا ثقافة فإنه بلا هوية ، ونعتبر الفنون من أهم ركائز الثقافة

للدلالة على تقدم الشعب ، وعلى حفر تاريخه الحافل بالتراث والقيم

وبالنهضة . ونحن نحترم الدول الأخرى من خلال هذه الهوية .. أو من

خلال الفنون التي تمثل في رأينا « الاختبارات التاريخية » .. ونحن في

كوريا منذ سنوات .. نحرص كثيراً على تأكيد وبلورة تلك الاختبارات

التاريخية ، وذلك عن طريق إعادة اكتشاف قيمنا التقليدية .. كذلك

الحرص على المحافظة على كل ما لدينا من تراث قديم وبلورته وتطويره عن

طريق الفنون ، وعن طريق الاقتراب من ثقافات وفنون الدول الأخرى ،

وعن طريق البرامج الثقافية مع دول العالم ، وبعثنا بالعديد من الفنانين

والمفكرين والممثلين الكوريين إلى دول كثيرة ، ليطلع العالم على ثقافتنا

وفنوننا ، ولناخذ منهم الدلالة على اختباراتهم التاريخية عبر ثقافتهم وفنونهم .. فإن المجتمع الإنساني لا يتحقق له البوح والصهر إلا من خلال تعبيراته .. سواء بالكلمة ، أو بالتمثيل ، أو بالرسم ، أو بالنحت ، أو بالموسيقى !

وقد حرص المسؤولون الكوريون في حفلاتهم التي أقاموها للاحتفاء

بنا .. أن يقدموا لنا جانباً من فنونهم الشعبية .. سواء ما كان منها

عن طريق الرقصات الشعبية ، أو عن طريق الغناء .. ولديهم آلات

موسيقية خاصة بهم .. وهي تتشابه ، أو ربما تتفق مع الآلات

الموسيقية التي نراها في اليابان ، أو في الصين .. لكن التعبير يختلف

عند كل شعب منهم عن الآخر . وإن كانوا الآن ينساقون في أغانيهم

الحديثة إلى « الرتم » الغربي .. لكنهم لا ينسون أبداً أن يحافظوا على

طابع بلادهم .

ولقد رأينا - أيضاً - جانباً من ذلك الفن في النقوش التي يبدعونها

على القطع الخشبية .. وأجل ما يمكن أن تبتاعه من أسواقهم

كهدايا تحملها ، تلك الأشكال الفنية من النقوش والحفر فوق

الخشب .

وقد استفادوا من هذا الفن في الخشب .. فجعلوا الكثير من أدوات

المطبخ مثلاً من الأخشاب ، والكثير من التحف أيضاً ، في شكل جبل

يجذبك !

وعندما خرجنا من أسواقهم .. تأكد لدينا أن هناك الكثير الكثير مما

لم نستطع أن نحمله معنا على كثرة ما اشترينا .. فكل ما تراه من

منتوجاتهم لا بد أن يشدك للوقوف أمامه ، ثم الرغبة في شرائه !

وعندما حانت ساعة الوداع لنودع « سيول » ، كنا نضحك

على اكتشاف تنبهنا إليه في اللحظات الأخيرة ، وهو : أن

وزن كل واحد منا قد انخفض بسبين :

●● السبب الأول : أننا كنا نمشي مسافات طويلة ولا نشعر

بالتعب !

بينما نحن في بلادنا ، قد نسينا هذه الرياضة المفيدة الجميلة بسبب

انشغالنا وركضنا ، واعتمادنا دائماً على السيارة !

●● السبب الآخر : أننا في أغلب وجبات الأكل .. كنا نفضل

تناول الأرز .. وهو طعامهم المفضل ، أو هو كما يسمونه : طعام

الفقراء الأصحاء .. فهم يتناولون كميات محدودة من الأرز ، ويمشون

ويعملون ويتأمون مبكرين .. فتسبب ذلك الأرز في خفض أوزاننا ونحن

سعداء جداً !!

●● وبعد ...

فلقد كانت هذه الرحلة .. قد نهأت لنا يدعوة من الخطوط

الكورية .. وضمت بعض المسؤولين عن الصحافة وكتاب الكلمة في

المملكة العربية السعودية ، وكان الهدف من ورائها : أن تؤكد جمهورية

كوريا الجنوبية تطور العلاقات بينها وبين المملكة العربية السعودية ، في

مناخ المساهمات المتبادلة بين البلدين على طريق البناء والتطور !



عالم الأساطير

رحلة في

Roland Barthes
Mythologies



كتاب

★ استلقت نظري هذا الكتاب ، لا لعنوانه أو مؤلفه فقط ، وإنما لما رسمه مصمم الغلاف من خطوط انسيابية تتوازي في دائرة ذات لون أخضر مريح للنظر ، بينما تحفرت خلف هذه الخطوط ... سيارة عصرية بالغة الحداثة .. لتنتقل مخرقة هذه الخطوط المناسبة ، بما زادني شوقاً إلى استكناه مضمون الكتاب .

فالسائد أن كلمة الأسطورة تستحضر في الأذهان معنى الخرافة والقدم .. بل وتسترجع عهود ما قبل الرسائل السماوية ، وما سادها من حكايات لقدرات خارقة ، وصور خيالية متماسكة .. أطلقت للانسان العنان ليشرذ في حدود إسارها ، لكنها لم تتح له الوثوب إلى رحاب الفكر المتسق ، والتأمل المعتقد .. إلا بعد لأي بذل فيه الجهد ، وعانى فيه من تخطي الحواجز ★

تأليف :

رولاند بارتية

عرض وتحليل :

جمال بدران

لذلك فإن إنسان القرون الثلاثة الأخيرة ، وقد أخذ على عاتقه النظر ووضع القواعد ، لدراسة التفكير البشري .. بارتقاءاته وسقطاته ، بمعقولياته وخیالاته .. من خلال تلك الأساطير المبتدعة ، وتبع جذورها البعيدة الغور ، ومتابعة ما دخل عليها من تعديلات أو تشويهات ، وملاحقة التشابه منها في أنحاء الأرض بالمقارنة والاستصفاء .. حتى أصبح للأساطير منهج بحث يدرسها ويجمعها العاملون عليها به ، ويتطلعون إلى مستوى من العلم يقيمون مبحثهم عليه .. لكنه مثل بقية علوم الإنسان .. مفتقر إلى ثراء مادة بحثه ، عويص الخضوع لافتراض علمي موحد . ومن ثم تعددت وجهات تفسيره ، وتباعدت نظرياته بين تاريخية ومجازية وطبيعية وشعبية وجذور جنسية .. لكنها اشرتكت جميعها في حصر مجال بحثها في الماضي وحده دون غيره .

● هل يمكن أن نعتبر أنفسنا في عصر أساطير جديدة؟

المصارعة الحرة يراها في كونها استعراضاً يتسم بالمغالاة ، تبرر ملاءمتها للمسارح القديمة التي كانت مكشوفة في الهواء الطلق .

أما في باريس .. حيث الواجهة البارقة ، تخفي وراءها قاعات تتنافس في عدم النظافة ، يخترن فيها جمهور - باختياره - لينابيع على الطبيعة ، أحداث المصارعة وما يلبث هؤلاء أنفسهم ، أن يملكهم الحنق لما يرونه من زيف .. صحيح أن بعضاً من هذه الاستعراضات يكون كاذباً وتكلف نفقات باهظة .. لكن الجمهور يسخر لمجرد ما إذا كان هذا الاستعراض معروضاً للتساؤل .. خادع أم غير خادع .. وللجمهور الحق كل الحق ، في قناعته بالاطمئنان إلى الواجهة الناصعة من قساعة الاستعراض .. فهي تبطل كل تردد وتنتفي كل استنتاج ، إنه جمهور يثقل عليه أن يظن غير ما يراه .

المصارعة الحرة والملاكمة

فهل يعرف هذا الجمهور الفرق بين المصارعة الحرة والملاكمة ؟

إنه يعرف أن الملاكمة ، رياضة سيئة ، تعتمد على علامات من المهارة ، وبالإمكان المراهنة على نتيجة صراع الملاكمة . أما المصارعة الحرة ، فلا تتضمن أية إشارة موحية . مباراة الملاكمة عبارة عن قصة تصاغ أحداثها تحت أعين النظارة ؛ أما المصارعة الحرة فعلى العكس تماماً ، مجموعة من المشاهد ، التي لا يكون أي واحد منها بذى أهمية ، فهو مؤقت التأثير .

وهكذا تصبح مهمة المصارع .. ليست الفوز .. بل تأدية الحركات التي تنتظر منه بالضبط ، أو المتفق عليها تماماً .

هذه المهمة التي يلتزم بها المصارع ، هي نفسها التي للمسرح القديم .. فنشاط المصارع يعادل لسان الممثل ، ووسائل التنكر والخداع واحدة .. فالأحذية والأقنعة تتحكم بشكل واضح في اشباع الضرورة . وفي المصارعة الحرة كما على المسارح التقليدية .. إذ لا خجل من التوجه إلى حد البكاء .. ومن ثم يكون جسم المصارع هو المفتاح الأول لإدارة الصراع .. ويكون المصارعان هما الحقل الذي ترتع فيه جرثومة الصراع كله .. حيث ينضج جسد كل منهما على الجمهور نوعاً من التسلية الشاملة تختلط فيها الحركة بالوضع الطبيعي .

وعندما ينتصر أحدهما .. تتبدل ذقنه وهو يفتح فيه في استرخاء ، ويمسك بالبطاقة الرياضية تحت ركبتيه ، ويقف بجانبه المتعهد معلناً للعامة ، بضحكة مقنعة ، عن لقاء نأري

هنا ينفذ إلى الذهن سؤال .. هل بالإمكان أن يتعدى علم الأساطير نطاق الماضي ، ويمتد ببحته إلى حاضرن الذي نعيش فيه ؟

يقول آخر .. هل يمكن أن نعتبر أنفسنا في عصر أساطير جديد ؟

هذا هو ما انفرد كتاب رولاند بارتية بالتعرض للإجابة عليه .

مضمون الكتاب

وينظرة شاملة لمحتوياته .. نجدها مقالات نشرت على مدى عامين في الصحف الفرنسية في الستينات ، تناولت ما دار ويدور في الحياة اليومية من عاديات وغرائب ، وترابطت برباط موغل في الأعماق .. هو رباط النظرة الباحثة عن أصول هذه المستحدثات .

فما الذي تناوله مؤلف الكتاب بالبحث والتأصيل ؟

أشياء تبدو للوهلة الأولى متنافرة .. فمن المصارعة الحرة إلى الرخصة الضرورية للممثل الجديد ، ومن الرومان في السينما إلى تزجية وقت فراغ الكاتب ، ومن دورة الدم الأزرق إلى النقد الأبهك والمكفوف ، ومن المنظفات إلى الحكايات والأولاد ، ومن التأكيد على أن باريس لم يغرقها الزحام بعد ، إلى الحديث عن العنب والدن ، إلى اللحم وشيه ، إلى آدموف واللغة ، إلى مسخ اينشتين ، ومن أسطورتين للمسرح الحديث إلى المرشد السياحي الأزرق ودور فرنسا كملاحمة ، ومن النحو الإفريقي إلى سيارة ستروين إلى القارة المفقودة ، ومن علم الفلك إلى لدائن البلاستيك إلى العائلة الإنسانية الكبرى .. وغير ذلك من عناصر متباعدة كل البعد عن بعضها ... لكنه يخلص منها في النهاية إلى أفراد فصل بأكمله للتعريف بالأسطورة اليوم .

قد يخطر لذهن القارئ من اطلاعه على عناوين هذه الموضوعات ، أن الكاتب يستخدم كلمة الأسطورة استخداماً مجازياً ، أو أنه يطوع مدلولها الخرافي أو المستحيل للسخرية من هذه المستحدثات الجارية .. والأمر يقتضينا عندئذ أن نعرض نماذج عما كتب .

فيها هو يقول : « عانيت في كل لحظة - الرؤية المختلطة - برواية أحداثنا الحاضرة ، رؤية الطبيعة والتاريخ » . ويستعين بيت من أشعار بودلير في كلامه عن المصارعة الحرة ، فيصدر ما كتبه بما سبقه به الشاعر الجهنمي من قول « إنها الحقيقة المتعاطمة لقبضة اليد في أحداث الحياة الضخمة » ... ففضيلة

●● وهل بالإمكان أن يتعدى علم الأساطير نطاق الماضي ويمتد ببحثه إلى حاضرينا الذي نعيش فيه؟

إن لم يكن قد صور في ستوديو تصوير هاركور . ومن ثم يعتبر ممثل هاركور أهما .

فعل الايقونات في ستوديو هاركور يرفع من حجم الممثل ، ويواصل تقديم عرض مبتذل بالضرورة ، لا لأنه يقع تمثالا غربياً في مدينة لا حراك فيها ، أو بالأحرى مدينة وهمية ، فالتمثال هو الحقيقة هنا ، أما المدينة فهي الأسطورة ، الحلم الضخم . والممثل في تخلصه بمهارة من لفاته الجسدية ، يربط ذاته الهلامية ببطل ، بنموذج إنساني موضوع في إطار مبالغات معتادة لدى الآخرين . فها هنا الوجه في وضع روائي ، براءة ، بطبيعة سماوية تحجب الحقيقة اليومية ، وتسبب خللاً ، بوسواس الظن الأكثر معلقاً بالعصر وبالبيئة الاجتماعية ، الضعيفين معاً أمام العقل الخالص والأسطورة العارمة ، فجمهور وقت الراحة الذي تضجر ويكشف ، يعلن ان هذه الوجوه غير الحقيقية هي بنفسها التي في المدينة . وهكذا يتاح له الضمير العقلاني الخبير لكي يفترض أن رجلاً ما يقف خلف الممثل ، لكن في لحظة تجريد الملمح ، يبدو هنا دور ستوديو هاركور . إذ يقع بين جمهور المدينة الضعيف الحواس بشكل عام ، يقع بينهم إنسان الممثل ، فيعيش الجمهور اكذوبة التمثال الوهمي . . ويصير الكل مقتنعاً .

وبالمثل . . على سبيل الاستنتاج . . فان صورة من هاركور بالنسبة للممثل الكوميدي الشاب ، هو اجراء طقسي مفروغ منه ، هو شهادة الزمانة العليا . . فالصورة هي بطاقته الحقيقية ليعبر إلى الاحتراف . فهل هذا تنصيب حقيقي . . مادام الشاب لم يمس أيقونة هاركور أو القديسة اميول ؟ نعم . . فهذا المربع الذي تنهض فيه رأسه الخرافية للمرة الأولى ، يبدو فيه ملمحه الذكي ، رقيقاً أو خبيثاً ، تبعاً للدور الذي تتقرر له فيه الحياة ، ليعبر اجراء احتفالي يقبل به المجتمع ما هو مطلق من قوانينه الطبيعية الخاصة ، ويقدم له لاحتفال الطقسي وجها يتقبل بركة ، في يوم هذا التعميد ، يقدم له كل القوى المرفوضة في الطرف العادي . في وقت واحد على الأقل - فوق منبر عام : فيكتسي بهاء لا يتغير ، وجاذبية نقية من كل شائبة ، وقدرة عقلية لا تقتزن بالممثل الفكاهي في أغلب الأحوال .

لذلك فإن تصاوير تيريز ليرا أو أني فارداد ، على سبيل المثال ، إذ إنهما من الطلائع الجديدة ، يتركان للممثل وجهه مجسداً بعد أن يحيطانه بهالة مضيئة ، تسبغ عليه نوعاً من التواضع المرموق في دوره الاجتماعي الذي يبدية ويؤديه دوناً مبالغة أو افتراء . وتبقى الأسطورة الحمقاء المتعلقة بوجوه الممثلين ، إذ يعتبر أسلوب المصورين المذكورين بهذا الخصوص جديد جداً . . فلا يرقى إلى مستوى درجات هاركور

قريب . بينما قبع هناك المصارع الآخر على الأرض يضرب التراب ضربات قوية بذراعيه ليفهم الجميع طبيعة موقفه الحرج .

ومن ثم فان كل لحظة في المصارعة الحرة كما في الجبر يكشف في الحال عن العلاقة بين السبب وبين اثره الملموس ، وعند هواة المصارعة الحرة - بالتأكيد - نوع من اللذة الذهنية ، لمشاهدة استخدام الآلية باجادة : فأمامهم مصارعون بعينهم ، كممثلين فكاهيين عظماء ، مرفهون تماماً كشخصية من شخصيات موليير ، لأنهم ينجحون في فرض مطالعة آنية من داخلهم .

إلا أن إيقاع المصارعة الحرة جد مختلف ، لأنه مستمد من هذه الاطالة البصرية . . كتضخيم الرغبات ، وتبديل أقصى الانفعالات ، فعنف الاستجابات لا يمكن أن ينضب - بقدر طبيعي - إلا على الملابس الغريبة جداً .

وقد لوحظ - في أميركا - أن المصارعة الحرة تمثل نوعاً من الصراع الأسطوري بين الخير والشر ذات طبيعة شبه سياسية . . إذ إن المصارع السيء يكون على الدوام كما لو كان « ذا لون أحمر » . أما في فرنسا . . فهي تكتشف بطولة مختلفة تماماً ، فهي نسق أخلاقي وليس سياسياً ، وهو ما يسعى إليه الجمهور ، الصرح الأكثر تقدماً لصورة ملائمة . . أقصد صرح الخداع التام .

الخداع التام

إذن ما هذا الخداع التام في نظر هذا الجمهور المعقد ، بشيء من التقريب؟

المصارعة الحرة هي كالجُمهور تماماً . فالمصارعون رجال ذوو خبرة عظيمة ، يجيدون معرفة الانحراف بالحدث التلقائي العارض للصراع إلى الصورة التي يعتبرها سائر الناس شريحة فاخرة للفن الأسطوري . فالمصارع بإمكانه أن يغيظ أو يقرق ، لكنه لا يغش أبداً ، لأنه يجري الصراع حتى منتهاه ، في صلابته ذات علامات يعهدها منه الجمهور . ففي المصارعة الحرة ، لا شيء موجود إلا بالتمام والكمال ، ليس من رمز أو كتابة ، بل قد وضع كل شيء باستفاضة ، بمعنى آخر لا شيء متروك في الظلام . . إلا الاتفاق .

والأسطورة الأخرى الجديرة بالتنويه عند رولاند بارتية هي . . ممثل هاركور . . ففي فرنسا ، لا يصبح الإنسان ممثلاً



★ ماذا يعني صراع اللاكمة في الأسطورة ★

التقليدية ، ما دام الشعر مجعداً ، والارهاق ياد على محياه ، والرجولة أو التسامي ياد على الملامح « تبعاً لجنسه » أسلوب في حد ذاته يمثل شجاعة لكن قلما تقتنع بها المسارح خضوعاً لأسطورة هاركور .

تأصيل الأسطورة

من هذين النموذجين وغيرهما يصل المؤلف إلى أهم جزء في الكتاب .. وهو الخاص بمحاولته التأصيل لعلم الأساطير ، ووضع معايير وسبل لدراساتها . وتحت عنوان الأسطورة اليوم ، يستعين بعلم الاشتقاق اللغوي Etimologie فيعترف بأن لكلمة أسطورة الف معنى ، ما دامت الأسطورة كلمة ، لكنه يستدرك متحفظاً بقوله إنه يبحث في تحديد الأشياء لا الكلمات .

بالطبع لا بد من لغة ، لكن أيضاً لا بد للغة من شروط خاصة ، حتى تصبح الكلمة أسطورة .. فالأسطورة طريقة للاتصال . وهي أيضاً شكل ، واستوجب الأمر مؤخراً أن يوضع لها حدود تاريخية ، كشروط استخدام ، يمتزج المجتمع بها .. وذلك لا يتعارض مع ما يجب وصفها به أولاً .. بأنها شكل .

فالإنسان يرى لأول وهلة أن الميزة الجوهرية للموضوعات الأسطورية يكسوها وهم بَيِّن . لأن الأسطورة قول ، وربما الأسطورة كلها ، ومن ثم تكون خاضعة للبحث . فلا تتحدد بموضوع المهدف الذي تحمله ، بل بالشكل الذي تقوله : هناك إذن حدود شكلية للأسطورة جوهرية . فهل يمكن أن تكون لكل أسطورة ؟

نعم ، اعتقد ذلك ، لأن المجال لا يفرغ إجماعه . إن كل موضوع في الدنيا بالإمكان أن يمر من وجود مغلق ، صامت ، إلى وجود شفاهي ، منفتح على اللياقة بالمجتمع ، لأن كل قانون ، طبيعياً كان أم غير طبيعي لا يتدخل في التحدث عن الأشياء . فالشجرة هي شجرة . نعم ولا ريب ، لكن الشجرة الذي يخبرنا بها مينو دروييه ، ليست شجرة الآن بالضبط ، بل هي شجرة منمقة ، متوافقة باستيعاب معين وموثوق به مع استجابات أدبية ، أو صور ، مستمدة من استخدام اجتماعي ، ومضافة إلى



★ الجودو .. من الألعاب الرياضية الجديدة التي بدأت تلقت الاهتمام ★

الخامة النقية .

إنه لأمر واضح ، أن كل الأشياء لا يخبر عنها في وقت واحد : فتظل موضوعات بعينها فريسة للحديث الأسطوري لفترة ، ثم تختفي ، لتحل محلها أخريات ، حتى تصل إلى مستوى الأسطورة . فهل هناك من موضوعات جبرية الاعماء ؟

لا بالتأكيد : ففي الإمكان توليد أساطير قديمة جداً ، خالية من الأزليات ، لأن التاريخ الإنساني هو الذي يدع الحقيقة تمر إلى حالة القول ، هو ، وهو وحده الذي ينظم حياة وموت اللغة الأسطورية . بعيداً أو غير بعيد ، لا يمكن لعلم الأساطير إلا أن يكون ذا أساس تاريخي ، لأن الأسطورة هي قول مختار عن طريق التاريخ : إنها لا تعرف أن تولد من « الطبيعية » أشياء .

هذا القول هو في حد ذاته هدف . بإمكانه إذن أن يكون شيئاً آخر أجود من الشفاهي ؛ بإمكانه أن يكون شكلاً من كتابات أو صور .

إن البحث المكتوب ، بل أيضاً الصورة الشمسية ، السينما ، التحقيق الصحفي ، الرياضة ، العروض ، النشرة الاعلانية .. كل ذلك في الإمكان أن يستخدم لتدعيم القول الأسطوري . فالأسطورة لا يمكن أن تتحدد بموضوعها ، أو مادتها ، لأن المادة لا أهمية لها إلا إذا أمكن جعلها موقوفة على معنى تحكي : حتى ما يذكره الإنسان من تحد يكون كذلك قولاً . كذلك الصورة وفن الكتابة ، على سبيل المثال ، لا ريب أنها ، في إطار الإدراك الحسي ، لا يحتاجان نمط الشعور نفسه : وفي الصورة نفسها كثير من طرق القراءة : إذ إن رسماً مبسطاً يكون أكثر تهبؤاً للمعنى عن اللوحة التشكيلية ، وكذلك التقليد يمكن أن يكون أكثر من الأصل ، كما تكون الصورة الهزلية أكثر احتواء للمعنى من الصورة الشخصية . لكن التزاماً بالدقة ، نقول إنه لا توجد أكثر من طريقة نظرية هنا لنشبيه شيء بآخر : فبصد الحديث عن هذه الصورة ، الموضوعة لهذا المعنى : نقول إن القول الأسطوري قد يشكل من مادة مستخدمة من قبل بهدف تحقيق اتصال متوافق . هذا لأن كل مواد الأسطورة ، التي قد تكون تصويرية أو كتابية ، تستلزم شعوراً ذا معنى ، ليتمكن للإنسان أن يتحدث فيها

باستقلالية عن مادتها . هذه المادة ليست سواء : فالصورة ، في الحق ، أكثر ثباتاً عن المخطوط ، إذ إنها تفرض المعنى بلمحة ، من غير تحليلها ، بدون تفريغها . لكنها هنا ليست أكثر من اختلاف تكويني . فالصورة تصبح مخطوطة ، منذ اللحظة التي تصبح فيها دالة : مثل المخطوطة ، إذ تسمى مشتقات .

هنا إذن يسمع الإنسان ، ومن الآن فصاعداً ، باللغة ، بحثاً ، قولاً ، الخ . فكل وحدة أو كل تركيب ذو معنى ، يصبح إما شفاهة أو مرئياً : فالتصوير الشمسي سيكون بالنسبة لنا قولاً بنفس العنوان الذي يكون مقالا في جريدة : ستقدر الموضوعات نفسها أن تصبح قولاً ، لو تضمنت معنى شيء ما .

هذا الشكل النوعي لولادة اللغة يكون خاضعاً من ناحية أخرى للتاريخ ، تماماً مثل المخطوطات : فقبل اختراع أبجديتنا بكثير ، كانت موضوعات مثل الكويبو إنكا Kipo Inca ، ولوحات رسم مثل البكتوجرام Pictogram ، من الأقوال ذات القواعد . هاهنا ليس القصد أن نقول بأن الإنسان عليه أن يعامل القول الأسطوري كلغة : وإنما والحق يقال ، تنهض الأسطورة من علم واسع تمتد إلى علم اللغة ، وهو علم الاستدلال .

الأسطورة كمنهج استدلال

كدراسة لقول ، يكون علم الأساطير ليس إلا - في الحق - جزءاً من هذا العلم الواسع للدلائل ، الذي كان العلامة سوسير قد أكد على أنه ظل مندرجاً تحت اسم علم الاستدلال لأكثر من أربعين عاماً . فهو لم يتأسس به . فضلاً عن ذلك ، فنذ سوسير نفسه وربما قبله بقليل ، آل كل جزء من البحث المعاصر بلا توقف إلى مشكلة من مشاكل المدلول : التحليل النفسي ، التركيبية ، علم النفس المرضي ، ومحاولات جديدة معينة في النقد الأدبي وضعها بوشلار نموذجاً ، لا يحتاج كل واحد منها لأكثر من دراسة الظاهرة إلا بما تدل عليه .. أو التركيز على معنى ، وهذا يؤدي إلى علم الاستدلال . لا أريد أن أقول إلا أن علم الاستدلال يأتي بتفاصيل مساوية لكل هذه البحوث : له مضامين مختلفة . لكنها تحتوي على نظام عام ، فهي كلها علوم قيم : لا تكتفي بمواجهة الحقيقة : فهي تحددها وترتادها .

إن علم الاستدلال هو علم التركيبات ، لأنه يدرس المدلولات منفصلة عن مضمونها . أريد أن أقول بأنه قول ضرورة وحدود علم صوري معين .

الضرورة ، هي نفسها لكل لغة دقيقة . لقد سخر زادانوف من فلسفة الكسندروف عندما تحدث عن « البناء الفلكي لكوكبنا » فقال : « إلى هنا تبين أن الشكل وحده هو الذي أكلفه بأن يكون فلكياً » . كان لزادانوف الحق ، فلا يمكن للإنسان أن يتحدث عن تركيبات محدود من الصور ، وبالعكس . بالإمكان أن يكون مطبقاً

بشكل أفضل على مستوى « الحياة » ، فلم يكن فيها إلا جملة لا يمكن تمييز التركيبات فيها عن الصور . لكن العلم ليس فيه من مجال غير إنجاز ما يفوق الوصف : عليه أن يتحدث عن « الحياة » ، إذا كان يستهدف تغييرها . على عكس الحركات الدون كيشوتية بالذات ، فضلاً عن الأفلاطونية .. للأسف ، من أجل التركيب ، إذ لا بد أن يرضى كل نقد بالتدريب الروحي ، بالمصنوع من التحليل ، وفي التحليل لا بد من توافق المناهج مع اللغات . فشيح الصورية يسبب ارتباكاً أقل .

ربما كان النقد التاريخي أقل عمقاً ، فقد عرف أن الدراسة التصنيفية للأشكال لا تناقض بتاتاً المبادئ الضرورية للجملة وللتاريخ . على النقيض تماماً : فقد حددت أكثر من طريقة بتصنيفها في صورها ، وأكثرها قد كان أطوع للنقد التاريخي . إن كلمة شائعة ، بتحريف لها ، سأقول إن قليلاً من شكلتها بعيد عن التاريخ ، لكن كثيراً منها يقود إليه . فهل من نموذج أصلح للنقد الشامل ، حيث يكون وصفه صورياً وتاريخياً واستدلالياً وفكرياً ، مرة واحدة ، بالأهمية كما في القديس جينييه لسارتر ؟

إن الخطورة ، هي على النقيض ، من اعتبار الصور كالموضوعات المزدوجة المعنى ، نصف الصورية ونصف المادية ، من تزيين الصورة بمادة صورة ، كالتي فعلته الواقعية الزادانوفية كنموذج .

إن علم الاستدلال ، بوضعه في نطاق حدوده ، ليس فخاً ميتافيزيقياً : إنه علم بين العلوم الأخرى ، هو لازم لكنه ليس بكاف . فالمهم هو رؤية ما إذا كانت الوحدة الشارحة لا يمكن أن تصدر عن اقتطاع بقدر مماثل أو أكبر من مثيلاتها ، أم تصدر عن النسق الجدلي للعلوم الخاصة التي أدمجها فيه . بهذا يتم الانتقال بالوحدة الشارحة من علم الأسطورة : فهي جزء من علم الاستدلال كعلم صوري ، ومن الأيديولوجيا كعلم تاريخي معاً . وبذلك تدرس الأفكار في شكل ما .. مثل تطور الإعلام ، وتضخم الصحافة ، والاذاعة ، والمصورات ، بدون الحديث عن الاستبقاء من لا نهاية طقوس نقلية (أي طقوس ذات مظهر اجتماعي) .

سأنبه إذن إلى أن علم الاستدلال كله يلح على مرابطة بين حدين ، دالة ومعبر عنه . هذه الرابطة بين موضوعات لنظام مختلف عنها ، ولذلك فهي ليست مساواة وإنما موازنة . لا بد هنا من التنبيه إلى أنه على العكس في اللغة المألوفة ، إنها تخبرني ببساطة أن الدالة تتضمن المعبر عنه ، فأمامي مهمة في كل منهج استدلاي .. لا إزاء حدين فقط ، بل ثلاثة حدود مختلفة ، إذ إن هذا الذي أفهمه ، ليس حداً على الإطلاق ، الواحد تلو الآخر ، وإنما هو تضايق يوحدنا : إذن فتوجد الدالة ، والمعبر عنه ، والإشارة .. التي تكون الجملة الرابطة للحدين الأولين : صحة زهور على سبيل المثال . أجعلها تدل على انفعالي . ألا يوجد هنا إذن غير دالة ومعبر عنه ، أي الزهور وانفعالي ؟ ولا هذا : للقول الحق ، ليس هنا إلا زهوراً « انفعالية » . لكن على مستوى التحليل ، توجد بالضبط ثلاثة حدود ، إذ إن هذه الزهور المحملة بالانفعال تنفك بالتمام والكمال إلى زهور

وإلى انفعال : الوحدات والآخر وجدوا قبل الالتقاء وتشكيل هذا الموضوع الثالث ، ألا وهو الإشارة .

وسواء كان حقيقياً ، على المستوى المرئي ، فلا يستطيع تفرقة زهور الصحبة المحمولة ، أيضاً ، على مستوى التحليل ، إنني لا أستطيع أن أخلط الزهور كدالة والزهور كإشارة : الدالة فارغة ، والإشارة ممتلئة ، إنها حس .

لدينا مثال آخر . . حصاة سوداء : يمكنني أن أجعلها تعني صوراً كثيرة ، فهي دالة بسيطة : لكنني لو أحملها كمعبر عنه بالتحديد (كالحكم بالموت لدى رأي مجهول المصدر) لأصبحت إشارة ، لأصبحت تداخلات وظيفية (كانتقال من الجزء إلى الكل) ضيقة جداً لدرجة أن التحليل يمكن أن يظهر فيها كضرب من العبث . لكن الإنسان سبى للتو أن هذا التمييز ذو أهمية رئيسية لدراسة الأسطورة كرم استدلالي .

بالطبع هذه الحدود الثلاثة صورية خالصة ، ويمكن طرحها بمضامين مختلفة . وأماننا ما فعله سوسير في اللغة كمثال ، إنه كان يبحث بطريقة استدلالية خاصة ، لكنها نموذج للبحث المنهجي . فالعبر عنه هو المعنى المجرد للغة ، والدالة هي الصورة السمعية (نظام حياة نفسية) والرابطة بين المعنى المجرد والصورة هي الإشارة (مثل الكلمة ، أو الكائن العيني) .

I دالة لغة

٢ - معبر عنه

٣ - إشارة

أسطورة

II معبر عنه

١ - دالة

III إشارة

نرى الأسطورة في الرسم التوضيحي ، الثلاثي الذي نتحدث عنه : دالة ، معبر عنه وإشارة . لكن الأسطورة أسلوب خاص ، تتأثر فيه بناء على سلسلة استدلالية توجد قبلها : هذا أسلوب استدلال ثنائي . فما أشير إليه في المنهج الأول (أي جملة متألّفة من معنى مجرد ومن صورة) يصير في المنهج الثاني دالة بسيطة .

يجب التنبه هنا إلى أن مواد الكلام الأسطوري (لغة مقولة كما ينبغي ، تصوير ، رسم ، إعلان ، طقس ، موضوع الخ) . بالنسبة للبعض منه القابل للتناقل - مادام من الميسور فهمه - بواسطة الأسطورة ، يؤول إلى دالة مرشدة خالصة : فالأسطورة لا ترى فيها إلا مادة أولى معينة : وحدتها هي هذه التي تحولت كلها إلى قانون بسيط في اللغة .

أما فيما يتعلق بالتصوير الحرفي أو التصوير التشكيلي ، فلا نرضى الأسطورة أن تكون مفهومة هناك إلا على اعتبارها جملة إشارات ، أي إشارة جماعية ، تكون حداً نهائياً لأول سلسلة استدلالية . وهو على وجه الدقة الحد النهائي الذي يعتبر حداً أولاً أو جزئياً في المنهج الأوسع الأكثر تأثيراً . بمعنى أن المنهج الأوسع يتم كان الأسطورة قد أقامت دعامة

افتراضية من المعاني الأولى له كمنهج صوري . لأن هذه ترجمة أساسية بالنسبة لتحليل الأسطورة . وبإمكاننا تبينها في الرسم التوضيحي ، بشرط ألا تكون رحابته إلا مجازاً بسيطاً : ففي الرسم نرى ، أن في الأسطورة منهجين استدلاليين ، ينحل أحدهما فيها بارتباطه بالآخر : منهج لغوي ، لغة (أو طرق التبين التي تمثلت فيها) ، سائمية لغة موضوع ، لأنها اللغة التي ترتقي فيها الأسطورة إلى تركيب منهجها الخاص ، أما الأسطورة نفسها التي سائميها ما وراء اللغة Meta langue ، لأنها لغة ثانية ، القول فيها بالأولى ، تأمل في ما وراء اللغة . والاستدلال هنا ليس له أكثر من الاستفسار عن تركيب لغة الموضوع ، ليس له أكثر من رصد التفصيل في الرسم اللغوي : إن المعرفة لن يوجد فيها أكثر من حد جامع أو إشارة جامعة ، والقياس فقط هو الذي يصبح فيه هذا الحد مهياً للأسطورة .

هذا هو السبب في كون الاستدلال قد أسس للتعامل بالمنهج نفسه مع المخطوط ومع الصورة : فهذا ما يبرز للفهم منها ، وما جعل كلا الاثنين إشارة ، تحداث عند عتبة الأسطورة ، مزيتين بدالة مرشدة ، فيقيان بالوحدة والأخرى لغة لموضوع .

وهنا يقتضي الأمر تقديم مثال أو اثنين على القول الأسطوري :

تستعير ملحوظة في مذكرات فاليري : كنت تلميذاً في الخامسة بمدرسة الليسيه فرانسيس ، أفتح كتاب في النحو اللاتيني ، وأقرأ فيه جملة ، مقتبسة من إيسوب أو من فيدر : «لأنني أنا الذي أسمى بالأسد» . هنا للتوقف ونفكر : إن ازدواجاً موجوداً في هذه القضية . فن جانب ، الكلمات فيها ذات حاسة بسيطة : «لأنني أسمى أسداً» . ومن جانب آخر ، الجملة هناك تدلني بإيضاح على شيء آخر : ففي القياس حيث تقصدي القضية بأنني ، تلميذ في الخامسة ، تخبرني بوضوح : إنني نموذج لنحو مخصص لتصوير القاعدة طبقاً للمحمول . إنني مضطر حتى لمعرفة أن الجملة لا تعبر لي عن الحس بها ، إنها تبحث بنوع من الالتحاح عن التحدث معي عن الأسد وعن الصورة التي تسمى ، فدلونها الحقيقي والنهائي ، هو في إلزامي أنا كحضور واحد معين باتفاق مع المحمول .

استنتج أنني أمام منهج استدلال خاص ، آخذ في الاتساع ، لأنه يتسع للغة : فؤكد أنه توجد دالة ، لكن هذه الدالة هي في ذاتها محددة الشكل بجملة إشارات ، لها وحدها - الدالة - أول منهج استدلال (إنني أسمى أسداً) . أما بالنسبة للبقية ، فإن الرسم الصوري يتسع بطريقة صائبة : إذ يوجد معبر عنه «إنني نموذج لقاعدة النحو» ، ويوجد مدلول جماعي . . وهو ليس شيئاً آخر إلا تضاييف الدالة والمعبر عنه : لأنه لا تسمية الأسد ، ولا نموذج قاعدة النحو قد جعلاني منفرداً .

وها هو مثال آخر : إنني عند الحلاق ، أمدني بعدد من مجلة باربي ماتش . على الغلاف شاب أسود في زي رسمي فرنسي يؤدي التحية العسكرية ، العينان شاخصتان ، مثبتتان ولا ريب على صارية علم مثلث الأولوان .

شكل الأسطورة من غير ازدواج ، وأجد نفسي أمام منهج بسيط ، حيث يعود المدلول إلى الحرفية : فالزنجي الذي يجبي هو نموذج للاستعمار الفرنسي ، فيه الرمز .

●● **ثانياً :** لو اهتمت بالدالة ممثلة ، أميز فيها بوضوح الحس بالشكل ، وانتقل بتغييره الذي أحدثه إلى الآخر ، إنني أوهم المدلول من الأسطورة ، أتقبله كخدعة : فالزنجي الذي يجبي يصير هو الغائب عن الاستعمار الفرنسي .

●● **ثالثاً :** أخيراً لو اهتمت بدالة الأسطورة ، مثلما اهتمت بكل مستغلق من الحس والصورة ، فإني أتقبل مدلولاً مزدوجاً : فأجيب بآلية مدعمة بالأسطورة ، بحركتها الخاصة ، أصير أنا القارئ لها : فالزنجي الذي يجبي لا هو بالثال ، ولا هو بالرمز ، كذلك هو أقل غيباً : فهو الحضور نفسه للاستعمار الفرنسي .

هنا يمكننا القول بأن التكيفين الأولين .. هما نظام اسقراطي ، تحليلي ، يتلفان الأسطورة ، بإعلان مغزاها ، بكشف قناعاتها : بل يمكننا أن نقول : إن النمط الأول من القراءة كلسي المدرسة ، أما الثاني فقراءة لا ساخرة . ومن ثم يصبح التكيف الثالث حركياً ، يتمم الأسطورة تبعاً لأواخر بنائها نفسه .. فالقارئ رأى الأسطورة بطريقة مستمدة من تاريخ حقيقي وغير حقيقي جملة واحدة .

خاصية الأسطورة

فما هي الخاصية التي تميز الأسطورة عما عداها إذن ؟ .. يجيب المؤلف على ذلك بفصل عنوانه بصفة أساسية .. فقال .. الأسطورة كلغة شائعة .. إنها تتميز بتحويل الحس إلى صورة ، أو بقول آخر .. هي دائماً شيوع لغة . فهل كل لغة أولى تظل بشكل مقدور فريسة اللغة ؟ ألا يوجد أي حس يقدر على مقاومة هذا القبض الذي يهددها شكلاً ؟

في الحق ، لا شيء بمستطيع أن يكون ملاذاً للأسطورة ، بإمكان الأسطورة أن تطور رسمها الخيالي الثاني بدءاً من عدم الاهتمام إلا بالحس ، ولقد رأيناها ، من بدء فقدان الحس نفسه . لكن اللغات كلها لا تقاومها بالصورة نفسها .

فاللغة ، التي تكون أكثر شيوعاً وبشكل متواتر عن طريق الأسطورة ، تبدي مقاومة ضعيفة . فهي تتضمن إمكانات أسطورية معينة ، هي نفسها رسم مبسط لجهاز إشارات مصيرية للكف عن الغاية التي تستغلها ، وهذا هو ما أمكن تسميته بتعبيرية اللغة : كالطرائق اللغوية من صيغة الأمر أو الاحتمال على سبيل المثال ، هي صورة لمعبر عنه خاص ، تختلف عن الحس : فالمعبر عنه هنا هو إرادتي أو طلبتي .

ومن جهة أخرى ، فإن القول الإرادي للأسطورة يمكن أن يحدد أدبنا التقليدي : فهذا الأدب ، على الأساس المعياري ، يكون منهجاً أسطورياً ، ذا ملمح : فيه حس ، أي البحث

هنالك ، إن الصورة أمامي .. هذه هو حسها . لكن ، ساذج أنا أم لا ، أرى أنها تدلني تماماً : بأن فرنسا إمبراطورية مترامية ، وبأن كل أبنائها ، بدون تمييز في اللون ، يعملون باخلاص تحت علمها ، وبأنها ليست إلا أحسن إجابة على المشنعين بالاستعمار المزعوم ، وبأن حمية هذا الأسود هي في خدمة الطفلة الوهميين . إذن ، وهنا أيضاً ، أصير أمام منهج استدلاي مغالي فيه : فتوجد دالة محددة الشكل بذاتها ، مسبقاً ، بمنهج قبلي (جندي أسود يؤدي التحية العسكرية الفرنسية) ؛ و يوجد معبر عنه (هو هنا مزج متعمد بين التفرنس والتعسكر) ؛ و يوجد أخيراً حضور للمعبر عنه عبر الدالة .

المنهج الأسطوري

قبل الانتقال إلى تحليل كل حد من المنهج الأسطوري . يقتضي الأمر أن يم التفاهم حول مجموع مصطلحات العلم . فالمعروف الآن ، أن الدالة بالإمكان أن تكون متناولة ، في الأسطورة ، بوجهتي نظر : كحد نهائي للمنهج اللغوي ، أو كحد أصلي للمنهج الأسطوري : هنا يستوجب الأمر اسمين .. اسم على مستوى اللغة ، بمعنى الحد النهائي للمنهج الأول .. فأسمي الدالة : حس (أسمى أسد ، أسود يؤدي التحية العسكرية الفرنسية) ، واسم على مستوى الأسطورة ، فأسمي الدالة : صورة . أما بالنسبة للمعبر عنه ، وليس من ازدواج لمعنى محتمل : فلنترك له اسم المعنى المجرد . أما الحد الثالث فهو تضافات الاثنين الأولين : في منهج اللغة هو الإشارة : لكن ليس ممكناً استرجاع هذه الكلمة بدون ازدواج المعنى ، إذ إن الدالة ، في الأسطورة (وتلك خاصيتها الأولية) ، قد شكلت مسبقاً من إشارات اللغة . سنسمي الحد الثالث للأسطورة ، المدلول : وهنا يكون للقول - بقدر ما للأسطورة من انضباط أكثر - دالتان : فهو يحدد وهو يعلق ، إنه قول يفهم ويلزم .

بعد هذا التفسير المنهجي لعلم الأساطير اليوم ، وما يوجبه من التزام قاعدي في تناول الأسطورة بالنقد والتحليل .. يمكننا أن نقول إن المؤلف يحاول أن يخضع الأسطورة للمنطق ومقاييس العقل . فما الغرض الذي يستهدف فيه من ذلك ؟ .. هل هو تخليص العقل من برائن الخرافات الأسطورية ؟ إنه يعود مؤكداً على ضرورة قراءتها بتمعن وأناة .. ونحت عنوان جانبي .. قراءة وفك رموز الأسطورة .. يقول :

قراءة الأسطورة

كيف تتقبل الأسطورة ؟ هنا يجب العودة إلى تضاعيف دالتها .. حساً وصورة معاً . إذ إنني سأهم بواحد أو بالآخر أو بالاثنتين معاً ، وسأنتج ثلاثة أنماط مختلفة من القراءة .

●● **أولاً :** لو اهتمت بالدالة فارغة ، أترك المعنى المجرد يملا

المقول ، فيه دالة ، أي هذا المقول نفسه كمصور أو مكتوب ، وفيه أيضاً معبر عنه ، أي المعنى المجرد للأدب ؛ وفيه أخيراً مدلول وهو المقال الأدبي نفسه .

إن الأسطورة تستطيع دائماً ، وفي اللحظة الفاصلة ، أن تدل على المقاومة والتي تواجه بها . وللقول الحق ، فإن أمضى سلاح ضد

وعلى حد قول فلوبير : « هذه الأسطورة المعاد تركيبها هي التي ستكون علم أساطير صحيح » . والمغزى من قوله هذا لا يخفى على الباحث فيها .. إذ إن كثرتها الموضوعية سوف غده بقدر أكبر لتطبيق منهج هذا العلم .

هنا يحق لنا أن نرفض كل ما يعكر علينا لحظات الاستمتاع والسعادة ، التي تنشأ من معايشتنا للأجواء الأسطورية ، التي تهيئها لنا - نحن القراء - قراءة أسطورة ، ذلك لأن إخضاع اللحظات الخيالية لقانون العقل ، يفسدها ، بل توقف تسلسل حلقات الخيال ، التي تنبئ عن إمكانات وطاقات للانفعال ، وتؤدي بالقارئ إلى مواصلة التخيل والتصور ، والابتداع . إننا حينما نتقبل اليوتوبيات بفضائلها ومثالياتها معاً .. تمدنا بالقدرة على التطلع والانتظار .

لكن المؤلف يرد رداً مضيفاً بقوله : « اليوتوبيا بالنسبة لعالم الأساطير أمر فخم ولكن مستحيل ، ولا يحق له أن يضيع جهده هباء بين الاستحالات » .

وكذلك الأمر مع القارئ العادي لا عالم الأساطير ، فمن اعتاد على قراءتها دون اعتماد على منهج التحليل والاستدلال هذا .. فسد خياله نفسه .. ذلك لأن الخيال إن لم يكن خادماً للوجدان والعقل ، أعاق صاحبه عن استقامة التفكير والتصور ، وأبقاه في إसार العقم والواقع المستحيل .

ثم يعود المؤلف إلى ما واصل المناداة به .. منهج استدلالى لفحص الغث من الخمين في عالم الأسطورة .. منهج يعايش اللغة الجماعية المطلقة بلا أمل في العودة إليها ، لأنها - على حد قوله - فقدت العطاء . ومن ثم تكون دراستنا لها دراسة متخفية وليست تاريخية ، لأن هذه الأخيرة قد توحى بجقائق متصلة ، أما الأولى فقد قطعت صلتها بأغلب عصرنا . ربما نحس من هذا الاتجاه بموقف الكاتب من الأساطير ..

هل هو موقف معاداة؟ هل هو موقف رافض؟

إنه هو نفسه يفرد صفحات للأسطورة بين اليمين واليسار .. حتى الأسطورة يريد - كمفكر - أن يخضعها لميول أصحاب الاتجاهين .. هذا بالطبع ما يبدو للوهلة الأولى من هذا التصنيف .. لكننا لا نلبث أن نقف أمام حقيقة علمية يسوقها .. حيث يقول « العلم الاستدلالى أداة صماء » بمعنى أنها أداة في يد هذا وذاك ، ولا بد - إذا ما استخدمت بالطريقة العلمية المنهجية - أن تخرج عن سيطرة ذات الباحث ووجدانه . وبمعنى أنها تسفر عن نتائج تلزم الباحث بالنزول عند حقائقها . ومن ثم فإننا إن بحثنا عن أسطورة يمينية وأخرى يسارية .. فهي أساطير موضوعية

تتنافى وضرورة غياب مصدرها . ونكون قد دخلنا - دون أن ندري - في حلقة القيم التي تعتمد على المعيارية الذاتية .

وهنا لا يفوت المؤلف أن يؤكد على صفة هامة جداً .. هي أن الأسطورة قول لا سياسي .. لأنها بعيدة كل البعد عن التخديم والتهديف السلطويين ، هي قول تلقائي .. أما دمجها باتجاهات سياسية .. فهو تحميل خاطيء لمحمول ذاتي على موضوع وهمي خادع .

ولا نعجب أو ندهش إذن عندما نجد المؤلف يصير على ضرورة علم الأساطير ، لأنه - على حد قوله - إن كان ضرورياً للآزمنة القديمة ، فهو أكثر ضرورة للآزمنة المعاصرة والمستقبلية على السواء .. تحسباً من نكسة فكر ، أو شطحة خيال . وإن كان يستعير من سويسر قوله عن أهمية حدود علم الأساطير وضرورة التعويل عليها تماماً .. فإن رولاند بارتية يعقب بقوله : « إنني أسترب بشدة في أن تكون حقائق الغد ظهراً منضبطاً على أحلام اليوم . فلم يؤكد التاريخ أبداً انتصار النقيض على نقيضه انتصاراً خالصاً وسيطاً » .

وبعد .. آن لنا أن نتذكر ما عرضه المؤلف من نماذج ، كانت مثار نقده ، ومزج بين كل منها وبين أشباهها في الأساطير .. فهل كان هذا سخريه منه بكل هذه الصروح ؟ قال بارتية في الفصل الخاص بالنقد الأبيكم والأعمى .. إن إجراء فن النقد والاعلان بأن أحداً - على سبيل المثال - لا يفهم في مذهب معين ، فإن هذا الناقد يقيم بكه أو عماه على قاعدة تحصيل عالمية ، إذ إنه يطرد هذا المذهب من العالم : « أنا لا أفهم ، إذن فانتم الأغبياء » .. وهذا في الحق معناه أن كل ما يستبقى في مجال الثقافة يكون في وضع إرهابي .

لكن لو شكك أحد أو احتقر ما في العمل المنتقد من أسس فلسفية ، ولو طالب في قوة بالحق في عدم فهم شيء وفي عدم الكلام .. فلماذا يحدث النقد؟ بفهم ، يستوضح ، إن هذا بالأخص هو عملك . ففي إمكانك بشكل واضح أن تقود الفلسفة نحو اسم ذي معنى بالسأم مثلاً ، هذا ما إذا لم يكن « المعنى » و « الشعور » غير مفهومين في الفلسفة ، فالفلسفة ، هي التي تفهمها كل الفهم . فأنت لا تفهم الفلسفة ، إنما الفلاسفة هم الذين يفهموك .

معنى هذا أن المؤلف يشترط لاحتراف النقد ، إجادة فهم الأسس الفلسفية للعمل المراد نقده ، وبتفهم المستوى يشترط فيمن يقدم على نقد الأسطورة . أن يجيد فهم أسسها .. لكنها ليست هنا الفلسفية على الإطلاق . بل فلسفة اللغة التي تنتقل بها هذه الأسطورة .. وهذا ما أفلح المؤلف بارتية في وضع وإبراز حدوده المنطقية ، بمنهج استدلالى يساند علم الأساطير .



بمناسبة
عام
الطفل



موضوع
بخاص



★ طفل من الدول الفقيرة، يلهو بالحبال، في انتظار من يهيم به.. وأطفال من الدول الغنية، في درس موسيقى.. والصورة الأخيرة لأطفال الدول الفقيرة، حيث تفرض عليهم الظروف، العمل الشاق في سن مبكرة ★

اليونيسيف

وعام الطفولة العالمي

١٩٤٦ - ١٩٧٦



★ الطفل
في
حاجة
إلى
الطعام ★

من أجل هذا كله ، كانت منظمة اليونيسيف !!
فقد أنشأتها منظمة الأمم المتحدة للأطفال في ١١ ديسمبر (كانون أول) عام ١٩٤٧ م ، بناء على قرار أصدرته الجمعية العامة للأمم المتحدة ، وعهد إليها بمهمة تقديم معونات الاغاثة الفورية للأطفال الدول التي دمرتها الحرب العالمية الثانية .
ويعد أن بدأت هذه الدول في استعادة قوتها الاقتصادية ، قررت الجمعية العامة للأمم المتحدة في ديسمبر (كانون أول) عام ١٩٥٠ م ، مد فترة عمل اليونيسيف ثلاث سنوات أخرى ، على أن تقوم بتوجيه اهتمامها نحو البرامج البعيدة المدى ، لتحسين أوضاع الأطفال في الدول النامية .
وفي أواخر عام ١٩٥٣ م ، قررت الجمعية العامة جعل اليونيسيف منظمة دائمة ذات نشاطات واسعة النطاق في خدمة الطفولة والأمومة .

هذا وتضم اليونيسيف لعضويتها ، جميع الدول الأعضاء في الأمم المتحدة ، أو في وكالاتها المتخصصة ، علماً بأن الانضمام لليونيسيف ليس عضوية بالمعنى الحرفي أو بالمعنى الرسمي للكلمة ، بل هو أشبه بمساهمة عالمية تصدر عن طوعية واختيار من قبل الحكومات والمجتمعات والأفراد .

وانطلاقاً من مبدأ المساهمة الطوعية ، تستمد اليونيسيف مواردها المالية من تبرعات الحكومات والمنظمات والأفراد ، كذلك تعتمد اليونيسيف على بيع بطاقات المعايدة والتهنئة لتعزيز مواردها المالية ، ذلك لأن اليونيسيف ليست لها مخصصات مالية من قبل الأمم المتحدة ذاتها !

هذا في الوقت الذي نعد فيه اليونيسيف جزءاً لا يتجزأ من الأمم المتحدة ، وفي الوقت الذي تشكل فيه كياناً ذاتياً شبه مستقل ، إذ يحكمها مجلس تنفيذي تتبعه هيئة سكرتارية ، ويتألف هذا المجلس التنفيذي من ممثلي ثلاثين حكومة ، ينتخب عشرة منهم كل سنة ، ولفترة ثلاث سنوات من قبل المجلس الاقتصادي والاجتماعي التابع للأمم المتحدة .

ويجتمع هذا المجلس التنفيذي مرة كل عام ، لاقراء برامج المنظمة ، واستعراض تطور العمل ، ودراسة طلبات المساعدة المقدمة إلى المنظمة ، وتخصيص المعونات اللازمة ، وتحديد الميزانية الإدارية والتنفيذية للمنظمة . هذا في الوقت الذي يتم فيه تولية مدير عام إدارة المنظمة ، وتعيينه من قبل الأمين العام للأمم المتحدة ، بالتشاور مع المجلس التنفيذي لليونيسيف !

★ رغم الانجازات الكبيرة التي حققتها منظمة اليونيسيف خلال الأعوام الثلاثين التي انقضت منذ إنشائها في عام ١٩٤٦ م ، وذلك في مجالات تحسين الظروف الحياتية والصحية والاجتماعية والتربوية لملايين الأطفال في الدول النامية ، ما زال أكثر من ثلاثة أرباع أطفال هذه الدول ، يحتاجون إلى المزيد من خدمات اليونيسيف ، تلك الخدمات الجلية التي تحقق انجازات حقيقية في حماية هؤلاء الأطفال من أسباح الجوع والجهل والمرض ★

فالحقيقة المؤكدة هي أن أكثر من مائة طفل يولدون كل ثلاثين ثانية ، في الدول النامية ، يموت عشرون منهم قبل أن يتموا عامهم الأول ، في حين لا تتوافر الرعاية الطبية الملائمة ، والعناية الغذائية الكافية لستين آخرين ، خلال سنوات الطفولة .

ومن الذين يتقون على قيد الحياة ، ويبلغون سن التعليم ، لا تتاح إلا لنصفهم فرصة التعليم والاتحاق بالمدارس ، علماً بأن أربعين في المئة فقط من هؤلاء ، هم الذين ينهون مرحلة التعليم الابتدائي ، ولا يواصلون التعليم إلى ما هو أبعد من ذلك .

وتزداد خطورة هذه الحقائق ، عندما ندرك أن ثلاثة أرباع أطفال العالم دون الخامسة عشرة من العمر ، يعيشون في الدول النامية ، وأن أكثر من ٨٠٠ مليون طفل ، يعيشون في دول لا يزيد معدل دخل الفرد فيها على ١٠٠ دولار في كل عام .

ويعد ..

إن الطفولة ، هي أكبر ثروة للبشرية ، وأعلى مورد لها ، وعلى المجتمع الدولي بكامله ، مهمة النهوض بها ، وتوفير أفضل ظروف الحياة لها ، وللمرء أن يتصور ما يمكن أن يكون عليه العالم غداً ، إن هو أهمل أطفال اليوم !

★ اليونسيف
والرعاية
الطبية ★



الحاجة إلى اليونسيف

التي ترفع توصياتها إلى المجلس التنفيذي، فإذا ما وافق المجلس على الخطة، انتقل العمل إلى مرحلة التطبيق، فتوقع الأطراف المعنية على خطة العمل، بحيث تصبح اتفاقاً رسمياً ملزماً.

ومع بدء التنفيذ، تقدم الوزارات أو الهيئات المعنية الاعتمادات المالية، والتجهيزات، والخدمات، والتسهيلات، التي تعهدت بتوفيرها محلياً، فيما تستقدم اليونسيف المعدات والتجهيزات التي التزمت باستيرادها، فضلاً عن تقديم المساعدات المالية في حال التزامها بتقديم مثل هذه المعونة، وهذا ويسهم موظفو اليونسيف في متابعة تقدم العمل في المشروع، وتقديم المشورة الفنية، وتقييم مراحل التنفيذ، فضلاً عن النتائج.

اليونسيف في خدمة الطفل

نعم، فلقد قرر المجلس التنفيذي لليونسيف في مايو (أيار)، عام ١٩٧٥ م، التركيز على توفير الخدمات الأساسية للأطفال، نظراً إلى عجز حكومات كثيرة عن تقديم هذه الخدمات، وازدياد تدهور أوضاع الأطفال في مناطق كثيرة من العالم. وبخاصة في الأرياف والأحياء المزدهجة بالسكان في المدن.

وتشمل هذه الخدمات الرعاية الصحية للأمهات والأطفال، وتنظيم الأسرة وتوفير المياه النقية، والتخلص من الفضلات، والتأهيل الغذائي، وإنتاج المواد الغذائية، بصورة أكثر فعالية، على المستوى المحلي، وسد الاحتياجات التعليمية الأساسية، وتطبيق الأساليب الفنية والتكنولوجية البسيطة التي تخفف عن الأمهات أعباء العمل اليومي، بالإضافة إلى برامج تعليمية واجتماعية تستهدف رفع مستوى الأسرة، وزيادة اشراك المرأة في شؤون مجتمعتها.

اليونسيف في خدمة الصحة

ذلك أن معظم سكان الدول النامية، يفتقرون إلى أبسط الخدمات الصحية، وتبلغ نسبة هؤلاء في بعض الدولة، أكثر من تسعين في المئة من مجموع السكان.

إنه طالما كان في العالم أطفال يعانون من الجوع والمرض، ويفتقدون فرص التعليم والتدريب المهني، تظل هناك حاجة إلى مساعدات اليونسيف، ولليونسيف مبدأ أساسي، هو أنها لا تبادر إلى المساهمة في مشروع ما، إلا بناء على طلب الحكومة المعنية، على أن يكون هذا المشروع أو هذا البرنامج الذي تدعمه اليونسيف جزءاً من خطط التنمية الوطنية للدولة.

وتربط اليونسيف معوناتها المادية، بمشروعات محددة كالمساعدة على تجهيز المراكز الصحية للأطفال والأمهات، وتوفير الغذاء والمياه النقية، والتعليم والتدريب المهني، وتأهيل الاختصاصيين، وغير ذلك من الخدمات التي تعود بالفائدة على الطفل بما يتفق مع الأولويات والبرامج الانمائية للدولة.

وتساعد اليونسيف الوزارات والهيئات المختصة في إجراء البحوث والدراسات الميدانية الهادفة إلى تحديد الأولويات، واقتراح الحلول الملائمة للمشكلات القائمة.

وتبدي اليونسيف اهتماماً كبيراً في اشتراك المجتمعات المحلية وهيئاتها القيادية، إلى أكبر قدر ممكن، في حل المشكلات، وزيادة استخدام الموارد والطاقات المحلية في إيجاد هذه الحلول، كما أنهم يتقيم النتائج كوسيلة لتطوير برامج أكثر فعالية، وتفادي أخطاء الماضي، أو الأخطاء التي وقعت في الماضي.

هذا ويبدأ الإعداد لمشروع يطلب إلى اليونسيف المساهمة في تنفيذه، بمشاورات مستفيضة بين ممثلي الوزارات أو الهيئات المعنية، وخبراء المنظمة، وتضم هذه المشاورات في أحيان كثيرة، ممثلي وكالات أخرى تابعة للأمم المتحدة، أو منظمات محلية لها علاقة بهذا المشروع، وتزود اليونسيف الحكومة، خلال هذه المرحلة بالمشورة والمعلومات، وتسهم في تمويل الدراسات والخدمات الاستشارية.

وبانتهاء هذه المرحلة، توضع «مسودة خطة عمل» تحدد أهداف المشروع، وأسلوب التنفيذ والتنظيم الإداري، وفترة التنفيذ، كذلك تحدد الخطة التزامات كل جانب سواء تمثلت في تخصصات مالية، أو في معدات وتجهيزات وخدمات.

وبعد ذلك، يعرض المدير العام لليونسيف خطة العمل على لجنة البرامج،

★ الطفولة
نحتاج
إلى
اللهم
واللعب
كما نحتاج
إلى الماء
وأخوه ★

وتتم في الدولة النامية سبعون في المئة من الولادات دون إشراف طبيب أو قابلة مدربة ، وتشير الاحصائيات إلى أن الوفيات بين الأطفال دون الخامسة من العمر ، تشكل نسبة ٣٥ ٪ من مجمل الوفيات في الدول النامية ، مقابل ٧ ٪ في الدول المتقدمة .

وانطلاقاً من هذه الحقائق المفزعة ، تخصص اليونيسيف جزءاً كبيراً من مواردها ونشاطاتها لدعم برامج الرعاية الصحية للأمهات والأطفال ، وتضع نصب عينيها هدفاً طموحاً ، هو جعل هذه البرامج تشمل أكبر عدد ممكن من المواطنين المحرومين من الخدمات الصحية الأساسية ، وفي هذا الإطار تشدد اليونيسيف على عمليات التطعيم ضد الأمراض ، وحماية الحوامل ، وتوفير أساسيات الحياة الصحية للأسرة كلها .

هذا وتساعد اليونيسيف في تدريب العاملين الصحيين على المستوى المحلي ، للقيام بمهام محددة ، كتقديم العلاج البسيط والقبالة وأعمال الوقاية وإرشاد الأهالي إلى اتباع شروط الصحة !

كذلك تسهم اليونيسيف في تدريب الممرضات ، وإنشاء مراكز رعاية الطفولة والأمومة ، وغير ذلك من المؤسسات التي تقوم على خدمة الصحة العامة .

وتشجع اليونيسيف المجتمعات المحلية على المساهمة الفعالة في توفير الخدمات الصحية ، بما في ذلك التخطيط والإدارة وتوفير العاملين ، وتبذل جهوداً كبيرة في العديد من الدول النامية لتوفير مياه الشرب النظيفة ، للحد من انتشار الأمراض التي تنقلها المياه الملوثة ، والتي تصيب الأطفال في المقام الأول .

ومن الأعمال التي قامت بها اليونيسيف في مجال الصحة ، خلال عام ١٩٧٥ م ، أنها :

- خصصت ٤٦ ٪ من مجمل مساعداتها ، أي حوالي ٤٤ مليون دولار ، لدعم برامج الخدمات الصحية الأساسية في أكثر من ١٠٠ دولة .
- أسهمت في تدريب ٣١,٠٠٠ شخص ، من العاملين في مختلف التخصصات الصحية .

- قدمت تجهيزات ومعدات إلى ٢١,٠٠٠ مركز صحي ، منها مراكز لرعاية الطفولة والأمومة ، وعيادات ريفية ، ومستشفيات للتوليد ورعاية الحوامل .

- قدمت لقاحات وأدوية ضد السيل والجذري والجزام والخانوق والكزاز والتيفوئيد والحصبة وشلل الأطفال وأمراض أخرى ، لحماية عشرات الملايين من الأطفال ، وشفاء المرضى منهم .

- أسهمت في مشروعات توفير المياه النظيفة في ٨٢ دولة ، منها ٣٨ دولة في إفريقيا ، و ٢٣ دولة في آسيا ، و ١٦ دولة في أمريكا اللاتينية ، و ٥ دول في الشرق الأوسط ، وتم في هذا الإطار إنشاء ٥٨,٥٠٠ شبكة للمياه النظيفة ، يفيد منها أكثر من ١١ مليون شخص .

اليونيسيف وتغذية الطفل

تسعى اليونيسيف إلى تشجيع الدول على النهوض بمستوى تغذية الأطفال ، وتقديم هذه الدول المساعدات في هذا المجال ، وهذا وتحتوي نشاطات اليونيسيف الصحية والاجتماعية والتعليمية على عناصر هامة من الدعم المباشر ، لتحسين أوضاع التغذية .

وتساعد الدول النامية على وضع برامج ملائمة لإنتاج الغذاء ، وتحديد أولويات التغذية بما يتفق مع الاحتياجات الخاصة للوضع ، والأطفال الصغار ، والحوامل

★ هكذا
الطفل
في الدول
الفقرية
دون
رعاية ،
نتيجة أن
أبويه
بمعلان
ولا وقت
للعناية ★



والأمهات المرضعات .

وتقدم مساعدات لتدريب العاملين في المجالات المتصلة بالتغذية ، كالزراعة والتعليم والتنمية الحضرية والتنظيقات التعاونية ، كما تنتهج سياسة تشجيع الأسر والمجتمعات الريفية على إنتاج وتخزين واستخدام الأغذية الأفضل للأسرة وصحة الطفل .

كما تهتم اليونيسيف ببرامج التوعية الغذائية ، وإيصال المعلومات اللازمة إلى الجمهور بوسائل متعددة كمراكز الرعاية الصحية ، والجمعيات والمدارس ووسائل الإعلام ، وتقدم مواداً غذائية بعينها ، غنية بالبروتينات والفيتامينات وغيرها من العناصر الضرورية ، وذلك في المناطق التي تشتد فيها حاجة الأطفال إلى مثل هذه المواد ، وفي حالات الطوارئ كالكوارث الطبيعية والحروب .

وفي عام ١٩٧٥ م ، أنفقت اليونيسيف ١٦٪ من مساعداتها ، أي حوالي ١٥ مليون دولار ، لمعالجة مشكلة سوء تغذية الأطفال في ٦٨ دولة ، فقدمت تجهيزات إلى ٢٠,٣٠٠ مركز للإرشاد الغذائي والزراعي ، وأسهمت في تدريب ١٨,٩٠٠ عامل في هذا المجال . كما وزعت ٣٨,٠٠٠ طن ، من المواد الغذائية لانتفاذ حياة ملايين الأطفال ، وخاصة في بنجلاديش والهند والصومال وأثيوبيا ودول الهند الصينية .

وعلى مر السنين ، أسهمت اليونيسيف في تجهيز ٢٢٠ معملًا لإنتاج الحليب الصحي المعقم في ٤٥ دولة ، كما ساعدت على إقامة مصانع لإنتاج الأغذية المعدة لمرحلة فطام الطفل في كل من مصر والجزائر والهند وتركيا ، ويجري العمل في إقامة مصانع مشابهة في إيران والمغرب وتونس .



★ في بعض الدول
الإفريقية
لا يزال الناس يعتمدون
في مياه الشرب
على النهر ★



التعليم ، وتشير التقديرات إلى أن النسبة الوسطية لأطفال الدول النامية الذين لا تتاح لهم قط فرصة دخول المدرسة ، تبلغ أكثر من ٥٠ ٪ وترتفع هذه النسبة المفزعة إلى ٨٠ ٪ في بعض الدول الأقل نمواً . وتبلغ هذه النسبة أبعاداً أشد وطأة بالنسبة للفتيات ، ففي بعض الدول لا تدخل المدرسة إلا فتاة واحدة من أصل كل عشر فتيات .

ولا تقتصر هذه المشكلات على الأرياف ، بل تشمل الأحياء الفقيرة والمكتظة بالسكان في المدن ، وترجع هذه المشكلات إلى العوامل التالية :

- الافتقار إلى المدارس .
- الافتقار إلى المعلمين المؤهلين .
- الافتقار إلى الكتب والأدوات المدرسية .
- الافتقار إلى الوعي الكافي بأهمية التعليم .

ولا يقف الأمر عند هذا الحد ، فمن بين أطفال الدول النامية الذين يلتحقون بالمدارس عدد كبير ينقطعون عن الدراسة قبل بلوغ سن الدراسة الابتدائية الثالثة ، وتبلغ نسبة هؤلاء ٢٦ ٪ في إفريقيا ، و ٣٧ ٪ في جنوبي آسيا ، و ٥٠ ٪ في أميركا اللاتينية .

اليونيسيف وتنظيم الأسرة

تدرك اليونيسيف أن صحة الأطفال ونموهم السليم ، يتوقفان إلى حد كبير على حجم الأسرة ، وفوارق العمر بين أطفالها ، فكثرة الأطفال في عائلات المتفجر بسكانه عبء ثقل على الأسرة والمجتمع ، وعامل رئيسي في حرمان معظم أطفال الدول النامية من الرعاية الصحية وفرص التعليم وانمو السليم ، وفي الأخذ من فعالية برامج التنمية .

وتنظر اليونيسيف إلى تنظيم الأسرة ، كجزء من مجمل الخدمات الأساسية المتعددة الخادفة إلى رفع مستوى الحياة .

وتعتقد اليونيسيف بأن نجاح برامج تنظيم الأسرة ، يعتمد على التثقيف الجماهيري والتوعية العامة عن طريق الجمعيات المعنية ، والمؤسسات ذات الاتصال الجماهيري العريض ، فضلاً عن مناهج التعليم ووسائل الإعلام المختلفة ، وتقدم اليونيسيف مساعدات عديدة إلى الحكومات التي تقرر تنفيذ برامج تنظيم الأسرة ، وذلك حسب الأولويات التي يتم الاتفاق عليها بين الجانبين .

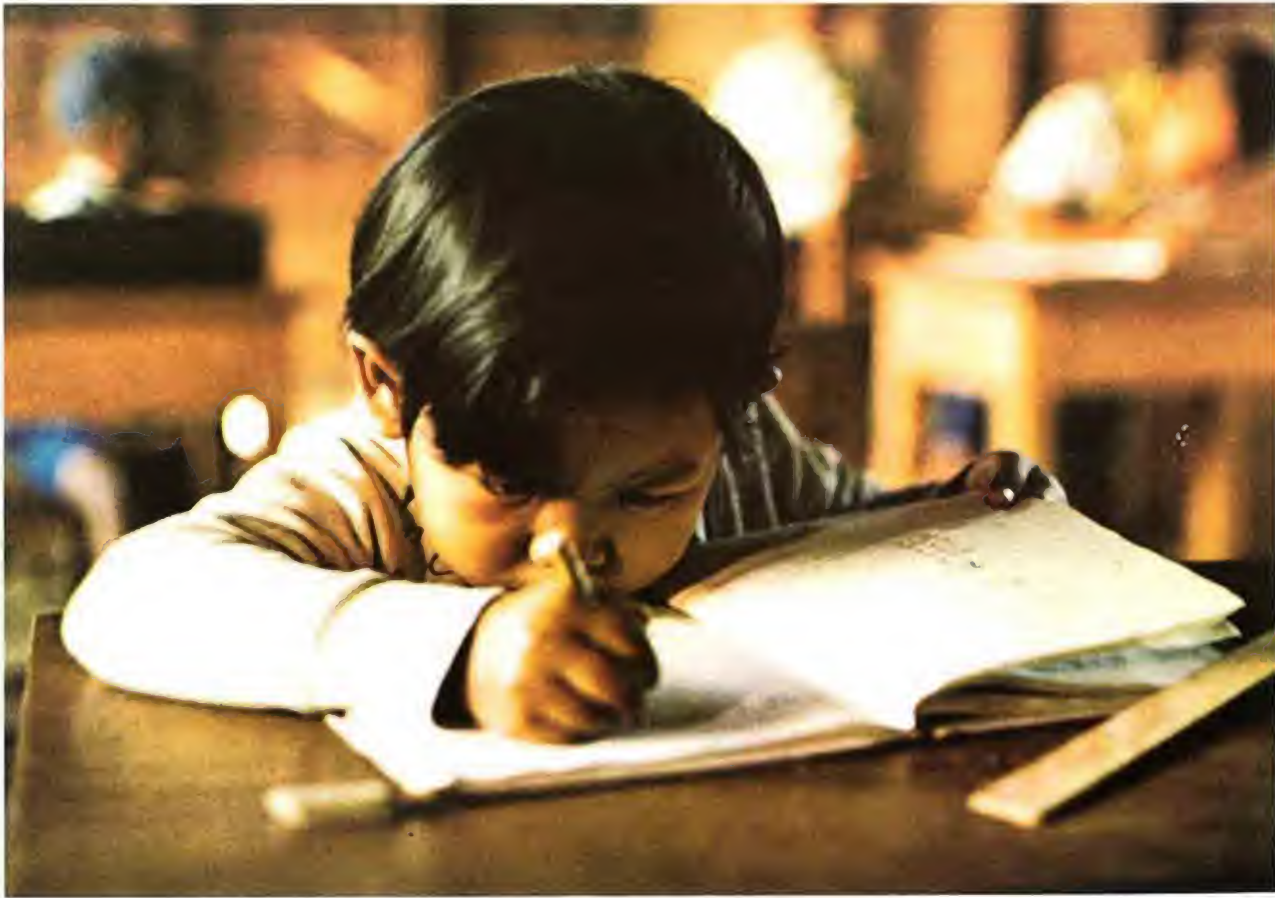
اليونيسيف في خدمة التعليم

نعم ، فالدول النامية تعاني بشسب متفاوتة من مشكلات خطيرة ومعقدة في مجال



★ في أعلى الصفحة ، أطفال يتعلمون
في مدرسة بلا مساعدة .. ولا أدوات
كتائية .. وفي أسفل طفلان يحملان
واحدًا من المصفاة التي صنعها الكبار
احتفالاً بالعام الدولي للطفل ، وفي
عمومها أمل في المستقبل ★





★ طفل
يحاول
تعلم
فك
رموز
الخط
حيث
توفرت
له
الرعاية
التعليمية
والصحية ★

★ طفلة غائبة وسط الأسماك ، لا نجد الرعاية
من أي نوع وفي عينيها نظرة أسمى حزنة

هذا واليونيسيف لها مبدأ أساسي ، تلزم به في تقديم مساعداتها التعليمية ، هو جعل المناهج متوافقة مع احتياجات البيئة ومتطلبات الحياة في المستقبل . وهي تسعى إلى تحسين التعليم كماً ونوعاً للفتيات والفتيان على السواء ، وذلك عن طريق المساعدة في إنشاء المدارس وتزويدها بالتجهيزات والأدوات وتوفير الكتب المدرسية ، وتقديم المنح لتدريب المعلمين في الخدمة وما قبلها ، وتحسين المناهج الدراسية أو وضع مناهج أخرى جديدة .

وتهم اليونيسيف بمكافحة الأمية بين الأحداث والكبار ، وتوجه عناية خاصة في هذا المجال إلى الفتيات والنساء ، كما تسهم في نشاطات التدريب المهني ، للأحداث والنساء على نحو خاص ، لاكتساب مهارات في العمل تضمن دخلاً إضافياً للأسرة .

ولقد قدمت اليونيسيف خلال عام ١٩٧٥ م ، منحاً دراسية أُنشأت لـ ١٠٣٤٠٠ معلم ، للاشتراك في دورات تدريبية متقدمة ، كما أسهمت في تقديم تجهيزات وأدوات تعليمية إلى ٥٢٥٠٠ مدرسة ابتدائية وثانوية ومركز لتدريب المعلمين ، و ٦٠٠ معهد للتدريب المهني ، وساعدت دولا عديدة على إنتاج الكتب المدرسية محلياً بتقديم الورق وأجهزة الطباعة والتجليد .

وتتعاون اليونيسيف تعاوناً وثيقاً مع منظمة اليونسكو في مجال المساعدات التعليمية ، وخاصة في تطوير المناهج الدراسية وبرامج تدريب المعلمين .

اليونيسيف والخدمات الاجتماعية

تنزع ملايين الأسر من الأرياف إلى المدن في الدول النامية كل عام ، يحدها





★ السعي لحزمة أطفال الدول في جميع المجالات ★

أمل تحسين مستواها المعيشي ، طناً منها أن المدينة توفر فرصاً أكبر ، للعمل ، وتقديم خدمات لا تعرفها الأرياف .

غير أن الغالبية العظمى من هذه الأسر ، تضطر إلى الإقامة في أكواخ بدائية متداعية ، داخل أحياء بالغة الفقر ، نكتظ بكثافة سكانية رهيبية ، وتندم فيها أبسط الضمانات الصحية ، والخدمات الاجتماعية والتعليمية .

وتتفاقم مشكلة هذه الأحياء الصغيرة عاماً بعد عام ، نتيجة للتضخم السكاني الرهيب فيها ، الذي يعادل ثلاثة أو أربعة أضعاف نسبة التضخم السنوية في الأحياء الأخرى الأكثر رخاء ، فتنتشر الأمراض ، وتسود البطالة ويزداد عدد المنحرفين . وقد أجرت اليونيسيف دراسة مفصلة عن هذه المشكلة وأبعادها ، تولدت من خلالها قناعة بأن سكان الأحياء الفقيرة يستطيعون عمل الكثير لمساعدة أنفسهم إذا هبّتهم المعطيات اللازمة من تخطيط ومؤسسات ودعم فني .

وانطلاقاً من هذه القناعة ، تركز اليونيسيف اهتماماً في هذا المجال ، على إقامة المؤسسات والمراكز المعنية بالتوجيه والإرشاد ، وتقديم الخدمات الاجتماعية الأساسية ، وتدريب العاملين فيها ، ومن أبرز نشاطات اليونيسيف في هذا الحقل المساهمة في إقامة دور الحضانه ، ونوادي الشباب ، ومراكز تدريب الأمهات ، ومكافحة الأمية ، وذلك بالإضافة إلى التوسع في الخدمات الأخرى التي تقدمها في مجال الرعاية الصحية ، والتغذية والتعليم ، وتنظيم الأسرة . وفي عام ١٩٧٥ م ، أسهمت اليونيسيف في تعزيز الخدمات الاجتماعية في ستنين

دولة ، وشملت هذه المساعدات :

- تدريب ٧٨٠٠ شخص من العاملين في رعاية الأطفال .
- تجهيز ١٠٠٠ دار للحضانه .
- تجهيز ٦٠٠ مركز قروي للشباب .
- تقديم منح دراسية لتدريب ٧٠٠٠ شخص من أفراد القيادات المحلية في ٣٧ دولة ، للعمل في النشاطات النسائية ، والتنمية الاجتماعية .
- الاسهام في مشروعات اختيارية لتحسين الظروف المعيشية للأطفال والأحداث في الأحياء الفقيرة ، داخل بعض المدن الرئيسية في مصر ، واهند ، وكولومبيا ، وزامبيا ، والفلبين .

إعلان حقوق الطفل

وافقت الجمعية العامة للأمم المتحدة في ٢٠ نوفمبر (تشرين الثاني) ، عام ١٩٥٩ م ، على إعلان حقوق الطفل ، وتعتبر مقدمة الإعلان عن جوهر هذه الوثيقة ، إذ أنها تنص على « أن البشرية مدينة للطفل بأفضل ما لديها »^(١) . وبعد ، فتلک كانت هي اليونيسيف ، وكان ذلك دورها في خدمة الطفولة ، ورعاية الطفل ، والتغني دوماً بنشيد الأطفال .

المجلة : طالع (العدد ٢٠) الماضي من هذه المجلة نص إعلان حقوق الإنسان .



من أمثال العرب



أَلْزَقُ مِنْ جَعَلٍ

المعروف أن الجعل يتبع المرء البائت في الصحراء إذا أراد الغائط . . يضرب به المثل في لزوم من تكره صحبته . . قال الشاعر :
إذا أتيت سليماً شب لي جعل
إن الشقي الذي يغري به الجعلُ

قَدْ حَمَى الْوَطِيسُ

قال الأصمعي وغيره : الوطيس حجارة مُدَوَّرَةٌ ، فإذا حميت لم يمكن أحداً أن يطأ عليها .
يضرب للأمر إذا اشتد . ويروى أن الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام رُفِعَتْ له أرض مُؤَنَّة فرأى معترك القوم ، فقال : « الآن حمى الوطيس » ، أي اشتد الأمر .

عِنْدَ الشَّدَائِدِ تَذْهَبُ الْأَحْقَادُ

المعنى واضح . . قال الشاعر :
نخلت له نفسي النصيحة إنه
عند الشدائد تذهب الأحقاد

عِزُّ أَسْتَيْسَتْ

أي صارت العز كالتيس في جرائها . . ويروى عز نزت في الحبيل فاستتست . أنشد ابن الأعرابي :
عز نزت في حبيل فاستتست
في دارنا حيث انشطى ضرس الضبع
يضرب لمن يعز بعد الذلة .

قَتَلَ أَرْضاً غَالِمْهَا

أصل القتل التذليل . . ويراد بالمثل أن الرجل العالم بالأرض عند سلوكها يذلُّ الأرض ويغلبها بعلمه . . يضرب في مدح العلم . . ويقال في ضده : « قَتَلْتُ أَرْضُ جَاهِلْهَا » ، ويضرب لمن يباشر أمراً لا علم له به ، أو يقوم بعمل لا يحسنه ، لأنه يجبهله .

أَثْقَلُ مِنَ الْكَاتُونِ

يقصد به الشخص الذي يخفى عنه الحديث . . قال الخطيب في هجاء أمه :
أغربالا إذا استودعت سرّاً
وكانونا على المتحدّثينا

الَلَّيْلُ أَخْفَى لِلَّوَيْلِ

أي أن أفعال الليل مستورة ، غير مكشوفة ، فالليل أستر للسر . . يروى أن أول من قاله سارية بن عويمر العقيلي .

أَخْرَجُ مِنْ شَارَفٍ

الشارف : الناقة المسنة . وهي أشد حنيناً إلى ولدها من غيرها .

جَاءَ بِالْقَضِ وَالْقَضِيضِ

القض يطلق على الحجارة الكبيرة ، والقضيض على صغرها . . والمعنى أنه جاء بالكبير والصغير ، ويقال أيضاً : « جاء القوم قضهم بقضيضهم » أي جاءوا كلهم . . قال الشاعر :
وجاءت سلم قضّها بقضيضها
وجمع عوال ما أدق والأما

يَاقَعَةُ مِنَ الْبَوَاقِعِ

أي داهية من الدواهي . . وأصله من الْبَقَع ، وهو اختلاف اللون ، ومنه الغراب الْبَاقِع ، وَسَنَّةٌ بَقَعَاءُ تعني سنة خصب وجذب . . وسمي الرجل الداهي باقعة ، لأنه يؤثر في كل ما يقصد ويتوَلَّى ، والباقعة : الداهية نفسها ، لأنها أمر يلصق حتى يرى أثره . وقيل الباوعة طائر خبز إذا شرب الماء نظر يَمَنَّةً وَسَرَّةً .

من أمثال الشعوب

- من يقتسم العسل مع الدب ، فإن حصته ستكون قليلة .
- من يحب الولاثم عليه أن يولم .
- ليس هنالك أكثر حقاً من أحق متعلم .
- من غير مكان إقامته غير حظه .

(إيطاليا)



- لا يُقاس المرء بمظهره كما لا يُقاس البحر بالصاع .
- لا يُباع الخطب قبل قطعه كما لا يُباع السمك في البحيرة .
- عندما يبرد الجو تصيح الديكة في منتصف الليل ارتقاباً لشمس النهار .
- الغراب الأسود .. أسود في كل الأصقاع .

(الصين)

- خياره مهاداة إليك أفضل من بطيخة تشتريها من السوق .
- ثروات القلب لا يمكن أن تسرق .
- كثير من الرجال لا يجيدون السباحة .. لكنهم يحبون الماء .
- عندما يمشي القلب مع القدم فإنها تجد الطريق سهلاً .

(روسيا)



- الغياب يزيد القلب شغفاً .
- ما نكسبه دون جهد نبذله دون ندم .
- المقشة الجديدة تكتس أفضل .
- لا يرغب الناس في إعطاء شيء مجاناً كالنصيحة .

(أمريكا)

- إن وجهة نظر القوي هي الأثقل وزناً .
- لا يمكن أن نحصل على صفقة إذا لم نسع إليها .
- من يستطيع أن يلحق يستطيع أن يعرض .
- على الدجاجة أن تكف عن الصياح في حضور الديك .

(فرنسا)

- القوس المشدود على الدوام .. إما أن يرتخي وإما أن ينكسر .
- الرغبة تجعل الذم جيلاً .
- حفلة العرس لا يكفيها طبق فطر واحد .
- عندما نفكر بالصيد قد نصبح نحن الطريدة .

(إسبانيا)

- لا ينفع الاقتراض إلا لمرة واحدة .
- الإطراء لا يكلف غالباً .. مع أن بعضهم يدفع غالباً للحصول عليه .
- إذا أردت ناراً فأبحث عنها في الرماد .

(ألمانيا)

خالد بن الوليد

شعر
إلياس قنصل

وكنْتَ لدينِ الله سيفاً مجرّداً
على جبهات البائسين تشيِّداً
بأن لواء الزور لن يتوطداً
تردّد في إيوان كسرى لها صدى
وأعددت للهجاء شرعاً مسدداً
ولكن لنشر الخير والفضل والهدى
يبلغ في عدوانه مترصداً
كريمٌ، ولو أبلى الصرامة مُرشداً
وأنت تواليه بحلمك مُرْفداً
ليمعنَ في كسب الرقيّ ويسعدا
ويبغى لك الارزاء والويل والردى
وديئك يابى أن يراه مقيّداً

رَفَعْتَ لمجدِ العزب ذكراً مخلّداً
ودمّرتَ للطغيان والبطل معقلاً
وجابهتَ أخطارَ المارك مؤمناً
ولقّيتَ جيشَ الروم درساً فصوله
سننتَ لعهد السلم نهجاً مقبوماً
ولم تكُ للتفطيع والقتل والأذى
فَتَحَتَ ولم تهدم ملاًذاً لفاشل
ومن بذلَ البهتانَ بالحق مرشداً
عدوك يابى أن يقرّ بخسره
تريد له أن تمتقيم حياته
ويُخفي لك الاشراك في كل موقف
يُقيّده بالنار والغَيّ ديه

★ ★ ★

كفاحك في الإسلام بالعنف والندى
وما يستحقّ الوغد بالسوء أخلداً :

تجانسَ فيك الغيظُ والعطفُ والتقى
بحزرك ما شاء النبيه مسالماً

بسوراته ليلُ الفساد تبثدا
يراقب من عادي وآذى وأفسدا
وأبعد في تضليله وتمزدا
سمحت، ولم تصعب عليه منثدا
تحلّ على آثارها ما تعقدا
وكم غمرة لاقت بحزمك مُنجدا
وتنجز أسلوب الهجوم مجثدا
كانك تحيا من فراستك العثدا
ضربت بساح السيف والرمح موعدا
عقدت وغاز النصر حلفاً مؤثدا
ولست تبالي أن تضاعفها المدي
وساماً على صدر العروبة سزمدا

★ ★ ★

تكنُ لها الاجيال مدحاً مجودا
ولا كنت في فرض السيادة مُفردا
تبارت سجايهم جهاداً وسؤدا
وما بسطوا إلا لكرمته يدا
وأسي طريق النبل فيها ممهدا
صيرت من الألباب ما كان مُقعدا
ويرضى عليه من تظلم أو غدا
كما ربحوها بالبيان مغردا
وراحوا ينادون الشعوب توددا
وحين تمادى الشر سلكوا المهندا
وتقبس من إحسانه ما تعددا
وبالعدل والتهذيب بات مؤيدا
فطاب حياة مثلما لُد موردا
ولا عرفوا في الخلق عبداً وسيدا
تكبد من صحرائها ما تكبدا
بعقيانها جيد الخلود تقلدا
وأوسعهم في الكارثات تجلدا
فتحسبها كالبحر أرغى وأزيدا
تمارسها علماً وطبعاً ومقصدا
تخوض لظاها غيرةً وتعبدا
ويكسر ما البهتان للكفر جثدا
ويغمدو على رغم الصعاب مسودا

كتاب تمتى الدهر بعض خلوده
وسيف على افرنده الموت جاثم
وما ثرت إلا حين كابر حاكم
فإن عاد عن ركب الغواية نادماً
تمثك بالرأي المرجح خبرة
فكم شدة شامت بعزمك مُنقذاً
تعد عتاة الحرب غير مقلدا
ويخترق الأيام فكرك ثاقباً
إذا ضرب الأعداء للكأس موعداً
وما خسرت كفاك حرباً كأنما
ندوبك عن «سبعينها» تشهد الوغى
جراح غدت من مجدها: كل قطرة

بإيمانك الصافي ابتدعت عجائباً
وما كنت في صون الكرامة واحداً
صحابك بين الفتح والحكم معشر
كنوز الثرى، أن يرغبوا، رهن أمرهم
بأخلاقهم ساسوا النفوس فاذهنت
«ناؤه» عن الأفهام ما كان غامضاً
يدير شؤون الأرض إنصافاً رأيهم
ولم يخضعوها بالحسام مزمجراً
أحبوا ضمان الخير باللطف والنهي
وحين تعامى الكفر كف ليانهم
وتزدهر الدنيا ويسلس أمرها
على سنن الإصلاح قام نظامهم
تفجر ينبوع المساواة منهم
فما عرفوا في الجد فقراً وثروة
فيا لفريق في البداة معرق
يلقن اعلام العقول مبادئاً
وقد كان من أقوى الأنعام عداتهم
فيالت لا تحصى، يفيض سلاحها،
يدرؤها من قادة الحرب عصبة
ولكنها ذلت حيال كتيبة
لها ثقة بالله ينصر جنده
لها ثقة بالحق تعلو بنوده

ولا يتساوى خائف من مصيره
وشتان بين المرء وجهه للسم

وآخر بالايمن يحيا مزودا
وآخر يبغي السلب والنهب ملحدا

★ ★ ★

وحاول أن يغلو بشتك كاشح
وجرب أن يعزو إليك نقائصا
فلطخ من تاريخك الفذ صفحة
وضل بما يرجو وأدبر خائباً
هو الحق يحمي نفسه بجلاله
ومن رام حجب الشمس بالكف لم يقم
ومن كان في عرف الشمائل فرقدأ
ومن يتبع سبل الغواية والخنا

مهمته أن يستريب وينقدا
لتلقى ملام الباحثين مرددا
وشوه من أعمالك الغر مشهدا
وعاد يغشيه الهوان منكدا
وتمضي جهود الكائدين له سدى!
حواليه إلا السخر مما تعمدا
يظل، وإن ضجت أعاديته فرقدأ
يجد بعدها باب السلامة موصدا

★ ★ ★

حياتك برهان على ما رسمته
دعاك الهدى والناس تقبع في الدجى
فواجهت عتب الاقربين ببسمة
وكان لك الصيت الذي عز مثله
وكان لك الرهط الذي إن أمرته
وكان لك المال الذي لو طلبته
واسلمت، لم تحفل بغضبة حائق
ونجيت جيش المسلمين من الأذى
لئن أحرز الفوز المهند مُسلطاً
ورب انتصار كان للعار مطلقاً

واكملته مستغنياً متزهدا
وقربك صوت الشر يهذر مُرعدا
وصاولت من أبدى الجفاء وهدا
وكان لك السيف الذي أربب العدى
تدقق سيلاً في الطعان مجسدا
تلالاً في مغناك ذراً وعسجدا
تصلب في بغضائه متوعدا
وخلصته من أن يهون ويهمدا
فقد يحرز الفوز المهند مُغمدا
ورب اندحار كان للمجد مولدا

★ ★ ★

وهيأت الأهواء اشعال فتنة
على رأسها أقوى الصناديد صولة
فاخمدتها مستسهلاً ما تعدّه
وارجعت للدين الحنيف قبائلاً
ونفذت وعداً جاءك الأمر عكسه
فكنت مجيداً في كفاحك ضدهم

بأغراضها الشيطان سر وعيدا
وأبرزهم بأساً وجهدا ومحتدا
ولم يك سهلاً أن تخفت وتخمدأ
أبى خوفها أن تستمر وتصمدا
وأمنتها عن ذنبها متعهدا
وكنت وقد انجزت عهدك أمجدا

★ ★ ★

تحدأك «هرميز» فلاقى جزاءه
وولى - كما ترى الارانب - جنده

وكان كُلياً واهياً قد تأسدا
وأسعدهم من كان في الفر أبعدا

يعنفهم كسرى على ذلّ ركضهم
ولاحقتهم حتى تنامى اندحارهم
وراسلته لا تبغى غير خيره
عرضت عليه أن يتوب ويهتدي
فلما ازدهى لم يبق للصالح مطرح
وليس الذي لله ناضل مثل من
وماست بآيات الهداية فارس
ووزعت الأموال وهي ضرائب
وحطمت الأغلال أو هي حديد
وضاء من القرآن فجر منور

★ ★ ★

ويصرخ غيظاً، وهو أول من غدا
وأدركت منهم في مخططك المدى
ودام على رغي الضلال معبدا
ويتبع درياً بالرشاد معبدا
ونال القصاص العدل عن كل ما اعتدى
يحارب من خوف الفرار مصفدا
وأطفئ من نيرانها ما توقدا
تحملها الشعب الضعيف مشردا
فقيراً يعاني الناثبات ومجهدا
فصدع أفقاً بالأضاليل أسودا

«وانجذب جيش» تسع يا «اسكنم طاطع»
تسابق في الجري النهار مفكراً
وكانت بتاريخ البطولة بعثة
ونازلت أقيال العداة مفاجئاً
وأصبحت «اليرموك» للعرب عالماً

ونحّك عن رأس القيادة رغبة
فلم تظلم وارتضيت بحكمها
وحسبك هذا من حياتك موقف

سوّب اعني «العداء»، لا عن ضراوة
ولكن لمرمى عززته تجارب
ولم تمنح الأيام للعطف فرصة
إذا أطلقوا عادوا أشدّ شراسة
ولو ظفروا ما سامحوك تكروماً

★ ★ ★

الا قائد ثانٍ لامة يعرب
تالت عليها الحادثات وزعزعت
يخادعها النذل الذي كان جدّه
الا قائد ثانٍ يدوي اعتلائنا
إلام نغض الطرف عن ريقه العلى
أما حان أن نجري على نحو خالدي

«صالحى يجلوا» مؤنة ميهل - معزلة -
وتقضي الليالي الكالحات مسهدا
تميزت في تنظيمها متفردا
وغادرتهم جيشاً شتيتاً مهذهدا
جديداً وعهداً بالآباء ممجداً

ستبقى على التفسير سراً ملبدا
وكنت قديراً أن تند وتحردا
يجمله الإيثار، حتى تخلدا

فما كنت إلا في ثباتك جلمدا
حملت عواديها وما ذهب سدى
ولم تترك الأحداث للرفق مسندا
وأكثر إيذاء وأعصى وأحقدا
ولا وفروا عنك العذاب المشددا

★ ★ ★

يحرّك فيها عزيمتها المتجمدا؟
بناءً على أس الكفاح توتدا
كما هو، من سامي الصفات مجردا
ويجعل دنيا العرب صفاً موحددا؟
ونلبث في سفح الكلال ترددا؟
أما حان أن نرضي النبي محمدا؟

مالك بن المرحل

أديب

المرينيين

بقلم: نفيسة بنصالب

* مما لا يتسرب إليه أدنى شك ، أن المغاربة شاركوا بقدر لا يستهان به من إنتاجهم في مضمار 'الأدب المغربي' . ونحن نسوء الحظ لا يزال هذا الإنتاج ضائعاً في بطون الكتب . فنحن نسمع بأسماء لأدباء مغاربة - وربما لا نسمع بها أبداً - ولكن قلما نظفر لهم بإنتاج ذي بال يصلح للحكم عليه ، فلا نكاد نحصل إلا على بضعة أبيات في الشعر ، وسطور في النثر لا تشفي غلة ، ولا تروي ظمأ ، أو لا نعثر عليه البتة .

فقد تعاونت يد الإهمال والظروف والعصبيّة التي عاشها كثير من الأدباء ، والشعراء المغاربة في ظل الحروب والفتنة التي عرفت عصورهم ، على تغطية وطمس أخبارهم . فظلوا مغمورين أخبارهم مجهولة ، وإنتاجاتهم مهملة .

والعصر المريني الأول له قصب السبق في كثير من النماذج التي عاشت مغمورة ، وطوتها بإنتاجاتها المبعثرة يد النسيان ، وظروف نهاية الموحدين وقيام المرينيين . ومن نماذج هذا العصر شخصية الأديب الكبير مالك بن المرحل *

القديمة .

واستمروا في تنفيذ هذه الفكرة وتحقيقها - وشأن الحوادث الكبرى ، تبدأ عادة بسيطة ثم لا تزال تنمو وتتشع رقعتها إلى أن تصل الهدف - وفعلاً استولوا على البلاد ولم يكن فعلهم هذا مبنياً على فوضى ، بل كان مبنياً على حركة منظمة لها نظام وقانون يتزعمها زعيم كسائر الزعماء هو «عبد الحق المريني» الذي ظل يواجه الموحدين إلى أن مات وخلفه أولاده . وعلى رأسهم «يعقوب بن عبد الحق» وهكذا تقلص ظل الموحدين واختفى من المغرب ، واستتب الأمر لبني مريين ، فلم يبق من ينازعهم في كل شيء .

وبما أن هذه الشخصية الفذة تعتبر أحد أعلام العصر المريني ، فالأجدد أن نلقي نظرة ولو وجيزة على هذا العصر ، وعلى حالة الأدب فيه .

فبعد العز والقوة ، ومثال العظمة ورفعة السلطان التي كانت سمة الدولة الموحدية مدة طويلة من الزمن ، خضعت أخيراً لسنة الكون ودستوره الذي يتلخص مبدؤه في ترقب النقص إذا تم التمام . فسرعان ما تداعت أركانها وتهاوت قواعدها ، فبدلت برج العز بحضيض الهوان ، وفشى المرض في جميع جسم الدولة ، وتعددت الاضطرابات حتى أصبحت الفرصة مواتية وسائحة ليزوغ دولة جديدة ، كان دعايتها يعملون في الخفاء ليجهزوا على الدولة

الحياة الأدبية في العصر المريني

ونجد الحركة العلمية قد اعتراها نوع من الفسور والانقطاع إبان فترة الانقلاب هذه إلا أنها ما لبثت أن استرجعت ما كان لها قبل من قوة وظهور، واستأنفت سيرها في ظل هذه الدولة التي ما فتأت تمد يد الإعانة لها بأجل الخدمات. فوجهوا عنايتهم بكل ما لديهم إلى تشييد المدارس في أنحاء المغرب، ونشر الثقافة حتى بلغت في الجملة المستوى الثلاثي بها والمنسرف لها.

أما الناحية الأدبية - وهي التي تعنينا - فإن العصر يعتبر العصر الذهبي للعلوم الأدبية في المغرب. والستاذ عبد الله كنون يجعل سبب هذا الرقي غير متوقف على طبقة دون غيرها، بل هو نتاج عمل الناس بمختلف طبقاتهم.

فقد اشترك في تكوينه جميع الطبقات من الملوك، فمن دونهم إلى الناس العاديين، أما الملوك، فقد علمت أن أكثر سلاطين بني مرين كانوا من أهل العلم والمعرفة والمشاركة في فنون الأدب، وبالطبع فإن وزراءهم وحجابه وقوادهم فضلاً عن كتابهم وقضايتهم كانوا كذلك. إذ يستحيل أن يقرب بساط الملوك إذا كانوا ملوكاً بمعنى الكلمة، غير أهل الكفاءات النادرة من أرباب المعارف المتنوعة... وهؤلاء ممن دون الملوك، ولكنهم فوق الناس العاديين، وأما الناس العاديين فقد أشرنا (فيما سبق) ^(١)، إلى ما أثرت فيهم نهضة علوم اللسان وما مكنت لهم من تذوق أسرار اللغة وتفهم أغراض الأدب.

والصورة التي تعكس لنا مدى ما وصل إليه الأدب في هذا العصر، ظهور نوع جديد من الشعر يسمى الشعر العامي، زيادة على تطور وتجدد في المناظرة، وإن كان ابن خلدون «لم يجعل هؤلاء العوام هم شعراء المغرب، وإنما أتى بهم دليلاً على ضعف المملكة الشعرية عند أهل الأمصار وخصوصاً الأعاجم منهم» ^(٢)، إلا أن عبد الله كنون يتحدث عنه باعتزاز ويجعله بنشأ من بنود النهضة الأدبية المغربية: «ولا يخفى أن في هذا العصر استفحل ذلك الشعر العامي الذي يتحدث عنه ابن خلدون في المقدمة، وهو من نظم عوام المغاربة، فيكون من الدلائل القاطعة على تمام أشعارهم، وبالتالي على رقي الوسط الأدبي عندهم...» ^(٣).

وبالإجمال فالحياة الأدبية في العصر المريني بلغت ذروة الكمال حيث «إن في هذا العصر بلغ الأدب المغربي كماله فنخلص من سائر التأثيرات الأجنبية عن النفس المغربية، وشق لنفسه طريقاً نحو الغاية المقصودة وهي سد حاجة تلك النفس الظامئة إلى حياة أدبية حرة تتمثل فيها عواطفها ومشاعرها وسجاياها ومزاياها مصورة بصورة طبق الأصل لا رياء فيها ولا تصنع ولا ادعاء ولا تقليد» ^(٤).

نشأة مالك بن المرحل

فهذا الوسط الأدبي الطامع بعناصر الحياة، كان هو مهد شاعر المغرب الكبير ابن المرحل الذي طبقت شهرته الأفاق آنذاك، وعمت أخباره جميع الأنظار، ولكنه للأسف طغى عليه النسيان والأهمال. ومدينة «مالقة» هي المدينة التي شهدت اطلالة أول يوم من حياة شاعر مغربي حظي بما لم يحظ به غيره، وذلك في السابع عشر من محرم فاتح عام ٦٠٤ هـ، إنه أبو الحكم

مالك بن عبد الرحمن بن علي بن عبد الرحمن بن فرج بن أزرقي ابن منير ابن سالم بن فرج بن المرحل، المصمدي نسباً، المخزومي ولقاء، السبتي بلبداً (ولكن أبا الحكم وأبا المجد والأولى أشهر) ^(١)، ونجدته قد سجل هو بنفسه تاريخ ولادته عندما أجاب ولد القاضي ابن عبد الملك، وقد سألته عن مولده:

يا سائلي عن مولدي كي أذكره

ولدت يوم سبعة وعشرة
من الحرم افتتاح أربع
من بعد ستمئة مفسرة

وقد استوطن سبتة طويلاً بعد أن رحل به والده إليها حيث تلقى تعليمه بها، وكانت إذ ذاك مركزاً من مراكز المغرب الثقافية ازدهرت بها العلوم والفنون، كما رحل إلى فاس وأشبيلية، وأخذ عن علماء هذه وتلك. أخذ بفاس عن الفقيه الزيناسني وغيره، ولقي بأشبيلية رجلاً أفذاذاً، وجالس بمالقة أبا بكر بن عبد الرحمن بن علي، وأبا عمر بن سالم، وأبا النعيم رضوان بن خالد، فنال ثقافة واسعة في علوم اللغة والنحو، مشاركاً في الفقه والفرائض مجيداً للقراءات السبع، حيث أخذ القراءات عن أبي جعفر أحمد بن علي بن الفحام. وكان ممن روى عنه أبو جعفر بن الزبير والقاضي أبو عبد الله بن عبد الملك وجاعة.

وقد تعاطى التوثيق في بلده سبتة، وولي القضاء مرات بجهات في غرناطة وغيرها. وكتب للأمير أبي مالك بن السلطان يعقوب المنصور المريني، وربما لوالده أيضاً، ثم للسلطان يوسف بن يعقوب، وكان حسن الكتابة وإن لم تصل روعة الشعر.

خلفيات الأوضاع القائمة في حياته

وقد عاش هذا الشاعر أوضاعاً كان لها عظيم الأثر على أطوار حياته، تلك الأوضاع لم تترك حياته تمر من غير أن تلصق بها بعض البصيصات، فابن المرحل عاش في فترة زمنية صعبة، فيها طغت الفتنة والقلق على ما سواها من الجوانب الأخرى في الأمة - وهي فترة نهاية الموحدين، وقيام دولة المرينيين، وما سادها من ثورات وحروب وانقسامات في رقعة الإمبراطورية الموحدة وغزيرتها وتشتيت شمل المسلمين بالأندلس، وانعدام الأمن وسيطرة الخوف وكثرة الهجرات.

هكذا كانت الوضعية السياسية. في حين نجد الوضعية الاجتماعية لا تقل عن هذه الحالة. فمن الواضح أن الاستقرار الاجتماعي يأتي مقروناً بالاستقرار السياسي. وإن انعدام هذا العنصر أدى إلى انعدام العنصر الثاني بانفصام عرى الوحدة التي تجمع بين أفراد الشعب الواحد نتيجة تعدد الانتزاعات الدينية والاختلافات التي سادت هذه المناطق. ففي الأندلس كان التهديد الدائم والتهيب المستمر من هجومات المسيحيين، وخشية الأهالي على أموالهم ودينهم، ومما يهددهم من عوامل تشتيت شملهم بالهجرة والاستشهاد، فطغى التفكير الفردي في وسائل النجاة من المصير المرعب مما أدى إلى سقوط الأخلاق وانحطاطها بالعمل مع العدو واتقاء شره، وخيانة الوطن نتيجة فقدان الثقة بالذات وانعدام الإحساس بالكفاءة الذاتية. وبالمغرب كان الحذر والحيطه



جادت بها قريحته ، وهو يعارك الثمانين :
يا أيها الشيخ الذي عمره
قد زاد عشرين عاماً بعد سبعينا
سكرت من أكواس خمر الصبا
فحدك الدهر ثمانينا

وما ضعف في قول الشعر ولا وى عن مقاومة خصومه ، ولا قصر عن شيء من أمره ، فقد كانت بينه وبين بعض معاصريه مساجلات ومناظرات نطلق عليها تجاوراً لفظ «المخاصمات» ، فهذه التي أثرت الأدب المغربي ، وزادت شهرته ، ومن بينها ما حدث بينه وبين الأديب ابن رشيق .
كان بين ابن رشيق الثعلبي ومالك بن المرحل خصام أدى إلى تهاجبهما ، فنظم ابن رشيق قصيدة جاء في مطلعها :
لكلاب سبقة في التباح مدارك
وأشدها عند التهارش مالك
شيخ تفلان في البطالة عمره
وأجل عكبه الكلام الأفك

واتخذ لها كنانة كأوعية الكتب وكتب عليها «زمام معجل إلى مالك بن المرحل» وعمد إلى الكلب وجعلها في عنقه وأوجعه ضرباً حتى لا يأوي إلى أحد ، وطرده بالزقاق ، فذهب الكلب يعوي وخلفه من الناس أمة ، وأخذ الكتاب وقرىء فحمل إلى ابن المرحل ، فلم يخف عليه أنه من عمل ابن شريق ، فقال في جوابه :

كلاب المزابل آذيني
بأبواهن على باب داري
وقد كنت أوجعها بالعصا
ولكن عوت من وراء الجدار

وفي هذا المضمار نجد لوناً آخر من ألوان المناظرة ، وهي تلك التي وقعت بينه وبين ابن الربيع النحوي (كان ماذا ؟) ، حيث وقعت هذه اللفظة في شعر مالك بن المرحل فأنكرها ابن أبي الربيع ، وقال : الصواب

شعار الفترة ، فطغت المصلحة في ظل الصراع وتعددت العناصر واختلطت من بربرية وعربية ومهاجرين أندلسيين : يهود ومسلمين ، مما أدى إلى تعدد العادات وانقسام وحدة الشخصية . فهل في هذه الأوضاع السياسية منها والاجتماعية ما يساعد ويشجع الأدباء والمفكرين والعلماء على الظهور والإنتاج الفكري ؟ وهل ثمة مجال للعناية بأهله وشيوخه ؟ مؤكداً أن الحركة العلمية والثقافية تزدهر بتوفر الاستقرار والأمن على النفس والاهتمام بالأدباء والعلماء والعناية بهم حتى يقوموا بدورهم الحضاري في الأمة ، وهذا ما يفسر لنا الصمت الذي صاحب هذه الفترة ، وقلت الأسماء المثقفة .

هكذا كانت الأوضاع السياسية والاجتماعية والفكرية في عصر مالك قبل استقرار الأوضاع في المغرب نهائياً في ظل المرينيين ، وهذا ما حجبه عنا في هذه السنين كغيره من أدباء عصره دون أن يعرف عنه شيء ، «وقد ساعد على ذلك شيء في ابن المرحل وأخلاقه هو بعده عن الشهرة ، ونفوره من مساقط النور ودخوله غمار السياسة»^(٧) ، فقد نشأ خامل الذكر خفي المنزل إلى أن واثته الفرصة عن طريق أدبه وشعره حين استقرت الأوضاع إذ ذاك ، فانهض أدبه وشعره وعرضه عن الخمول الظهور . فكان في عصره شاعر المغرب غير مدافع ، وأطيع شعرائه أسلوباً وأرشفهم لفظاً وأبلغهم معنى وحق له ذلك ، فهو ماهر في فنون الأدب بصير بمواقع الكلام ، استعان على هذا كله بالمقاصد اللسانية لغة وبياناً ونحواً وعروضاً وقافية ، وحفظاً للجيد من الشعر ، واطلاعاً بمعرفة معانيه وتراكيبه ، فإنه كان في ذلك نافذ الذهن شديد الإدراك قوي العارضة سريع البديهة ، ومما زاده بصرأ بأسرار العربية أنه تلا القرآن الكريم بالسبع كما تقدم . وبهذا حق له أن يملك زمام الأدب .

أدبه ومؤلفاته

ابن المرحل لم يكن نبوغه مقتصرأ على ناحية أدبية دون أخرى ، فإلى جانب كونه شاعراً من الدرجة الأولى ، يعد عالماً مشاركاً في علوم شتى . وقد استغل قدرته على التنظيم في نظم كثير من العلوم التي لا تهمنا بقدر ما تطلعنا على مرحلة الشيخوخة في التأليف ، تلك المرحلة التي انتهت إلى نظم العلوم . وعلى الرغم من تقدم سنه ، فلم يحل ذلك بينه وبين روح الفكاهة والمرح ، بل ربما زاده بسطة في العلم ، وقد سجلت له كتب الأدب خواطر

(ماذا كان ؟) ، فقال مالك ردأ عليه :

عاب قوم كان ماذا
ليت شعري لم هذا ؟
وإذا عابوه جهلاً
دون علم كان ماذا ؟

وكثر النزاع بينها وألف كل منها في المسألة منتصراً لرأيه ، وكان الذي ألفه مالك كتاباً سماه «الرمي بالخصي والضرب بالعصا» وجزأه ثلاثة أجزاء ، ولم نقف على شيء مما كتب ابن أبي الربيع . يقول عبد الله كنون عند الكلام عن هذه المناظرة في كتابه النبوغ :^(٨)

« وكان ابن المرحل ذا أصالة شعرية دفعت به إلى مركز الصدارة وأحلتها منزلة عالية ، ولفتت إليه أنظار سلاطين المربين ، وأبصار الأدباء . وهذه الأصالة كانت تكن في شعره الحربي وشعره الزهدي ، أكثر مما تلمحها في أي لون آخر من ألوان شعره ، ويظهر أن ثورة مكبوتة كانت تعتمل في نفس الشاعر ، وتصطرع بأرائه في الحياة والناس والموت ، وتقلب الدهر ، وأخيراً هدأت هذه الثورة في اليأس والاعتزال والانصراف عن الدنيا إلى التفكير في الآخرة والحث على الزهد والابتعاد عن المواقف والنصح بالصبر والأنسنة وأعجب ما نلقاه في زهدياته أنه يواجه الحياة بروح واقعية ليست فيها هذه المبالغات والتهويلات التي نلمسها في أمداحه ووصفه وفخره ، فليس لديه إغراق في خيال أو ضلال عن رؤية ما يجري في النفس البشرية وفي مجتمعه ودنياه .

وواقعية ابن المرحل هي التي يسرت عليه نظم هذه الزهديات العجيبة أو اللزوميات التي كان يسير في نظمها على ترتيب حروف المعجم في كل حرف عشرة أبيات أو عشرون أحياناً ، ولذلك أسماها «العشریات الزهدية» وكان يلزم نفسه بافتتاح أبياتها بحرف الروي (أي إذا بدأ بالياء



مثلاً أنهى قافية البيت بالياء ، كما نرى في قصيدته : (بأي دواء ؟) . وهذه الواقعية هي التي منحت هذه السهولة في البيان والوضوح في التعبير . ويمكننا من هذه الناحية أن نقرنه بأبي العتاهية ، ويمكننا أن نقرنه أيضاً به في زهدياته الخالية من هذه الجزالة والفضامة التي تصادفنا في فخره ومدحه ، وإن كان هذا الأخير لم يلتزم منهج الصدق في زهده ، بل كان يتقلب بين الزهد وحب الدنيا . لذلك لم يكن زهده صدقاً لنفسه ، وإنما رغبة في الظهور على الناس بفن جديد لا غير . بينما كان زهد مالك تعبيراً عن ذاتيته وهدي لنفسه الزاهدة ، ورسماً لجانب مهم من الحياة في العهد المربني الذي لم تغمر الناس فيه زخارف الدنيا .

ومالك بن المرحل فضلاً عن كونه شاعر العصر بل شاعر المغرب هو أيضاً من ألف في اللغة والأدب كتباً عدة منظومة ومثورة منها : نظم غريب القرآن لابن عزيز ، نظم اختصار اصلاح المنطق لابن العربي ، ونظم فصيح ثعلب مع شرحه ، ونظم الثلث الأول من أدب الكتابة لابن قتيبة بعد ترتيبه وترتيب الأمثال لأبي عبيد ، وأرجوزة في العروض ، ثم الوسيلة الكبرى المرجونفعا في الدنيا والآخرة . وديوان الجولات ، وله مؤلفات خصصها للمعارضة كالتبيين والتبصير في نظم التيسير الذي عارض به الشاطبية في علم القراءات . وكتاب الرمي بالخصي والضرب بالعصا الذي رد به على ابن أبي الربيع النحوي .

مكانته بين أدباء عصره

من خلال تأملنا في أدبه واللبات التي وضعها في باب الزهد والمناظرة ، وتأملنا في مؤلفاته المنشعبة الأغراض والمقاصد تقتنع إذ ذاك أن مالك بن المرحل «خير من يمثل الأدب المغربي بعد (ميمون الخطابي)»^(٩) ، في منتصف القرن السابع إلى نهايته^(١٠) ، فهو سيد شعراء العصر المربني الذي نهض فيه المغرب نهضة كبرى في شتى فروع العلم والمعرفة حتى أنه شرف العصر الذي عاش فيه . يقول الأستاذ عبد الله كنون : «ويكفي أن في هذا العصر نبغ ذلك الشاعر الذي يحق أن يقال عنه إنه شاعر المغرب الأكبر ، ونعني به مالك بن المرحل الذي طبقت شهرته العالم العربي ، على رغم ما مني به أدباء المغرب من خول الذكر ، والذي لم يسع ابن خلدون إلا أن يعترف بشاعريته على ما علم من تحفظه الشديد . ولكن يا أسنى لضياح شعر هذا النابغة الفذ وغيره من شعراء هذا العهد الذي يعتقد أنه لو وصلت إلينا جميع آثارهم لما بقي من يخفض رأساً عند ذكر أدب المغرب ..»^(١١) ، فهو شاعر قوي الأسلوب وافر المادة ، مبدع ومجدد ، صاحب روعة وجمال .

فهذا الحكم نصدره عليه وإن لم نتوصل حتى يجزه يسير من شعره . وعلى العموم فشعره أو قصائده المتداولة تنقسم إلى قسمين : قسم كله امداح نبوية رائعة ، وقسم هو إلى السياسة أقرب . ويتجلى في قصائد كثيرة من بينها قصيدته التي أجاب بها (المستنجدين)^(١٢) يعقوب المنصور المربني حين ضيق عليهم الإسبان الخناق :

شهد الإله وأنت يا أرض اشهدي

أنا أجبن صرخة المستنجد

لما دعا الداعي وردد معلناً

قنا لنصرته ولم نتردد

نموذج من شعره

وكنموذج على نفسه القوي وبده الطول في الشعر ، نأخذ قصيدة من قصائده في الزهديات والتي تحمل عنوان «بأي داء» والتي التزم افتتاحها بما ختمت به لتلقي عليها بعض الأضواء :

بأي دواء أم بأي طبيب
يذاوي عذار من بياض مشيب
بياض كما لاحت كواكب سحرة
تريك ضلوعاً مؤذناً بغروب
بشيراً نذيراً لاح كالفجر صادقاً
على كاذب حلو اللسان خلرب
بني إبك لي إن البكا يبعث البكا
وليس جوابي منك غير وجيب
بحاراً ركبناها بغير سفائن
غروراً فإن نهلك فغير عجيب
برتني يوماً آيه في براءة^(١٣)
فإن ضحكك سني فضحكك مريب
بكى صاحبي حتى إذا مال في الثرى
وسالت مآقبه كمثل غروب
بداراً إلى هذي الدموع فرمجا
غسلت ذنوباً حمة بذنوب

فالقصيدة هذه كلها حكم ووصايا ، ونستشف هذا من خلال الموضوع المطروق من طرف الشاعر ، والذي هو بياض المشيب . فبيداً متسائل عن كيفية مداواة الشيب الذي أخذ يشتغل في عذاريه ، والذي لاح مثل كواكب السحر في آخر الليل ، وأن هذا المشيب مؤذن بغروب حياة الإنسان كما أن هذه الكواكب مؤذنة بانتهاء الليل ومبشرة بقدوم الفجر . ثم يستند بآينه ليعاونه على البكاء ، والبكاء يبعث البكاء ، ثم أفضى به نظره إلى الموت والتوسد في الثرى والدعوة إلى الاعتصام بالدموع لعلها تكفر عن هذه الذنوب التي تنقل كاهل الإنسان .

وابن المرحل بهذا صاحب طريقة وإن كان هناك سابقون له ، فإنه قد وضع لبنة في هذا الفن ، وغداً صاحب مدرسة تأثر بها - من غير شك - من أتى بعده من شعراء المغرب ، أمثال : ابن السوناي ، واليوسي ، وغيرهما كثير ، حتى يمكن أن نعتبره بذلك صاحب مذهب في الدعوة للزهد والتنفير من الدنيا والعمل للأخرة ، كما كشفت لنا عن هذه المقدرة القصيدة .

وفاة مالك بن المرحل

وهكذا توالى الأيام وتابعت عجلات الزمن سيرها الاعتيادي في حياة هذا الشاعر مدة ٩٥ سنة إلى أن كان يوم ١٧ رجب من سنة ٦٩٩ هـ ، حيث وقفت المنيعة حجر عثرة أمام عجلات حياته ، واختارته لتضع بذلك حداً لنشاطه ، ودفن بمدينة فاس خارج باب عجيصة . جاء في السلوة : (أن

ضريحه من جملة ما قطع عن هذا الخارج بالسور)^(١٤) . وقد كتبت على قبره في مربعة أبيات كان قد أوصى بها في أخريات أيامه . والأبيات هي :

زر غريباً بمغرب نازحاً ما له ولي
تركوه موسداً بين صخر وجندل
ولتقل عند قبره بلسان التذلل
رحم الله عبده مالك بن المرحل

هكذا قضى هذا الأديب حياته كما قدر له أن يقضها ، وأنجب شعراً بديعاً ظل وسيظل مسجلاً على صفحة التاريخ فخراً لعصره ، هذا الأثر الخالد الذي أوقفنا على صورة من الحياة الأدبية التي بلغت أوجها في ذلك العهد . وكما بدى الشيء بنجم . فطويت هذه الصفحة الزاخرة من حياة هذا الرجل ، وبقيت تحمل مواقف تشهد بعظمته وعظمته عصره .

تلك صفحة عن حياة ابن المرحل ، وهناك آخرون يمثلونه أو يفوقونه أسدل عليهم الزمن ستاراً من النسيان ولم يلتفت لهم أحد ، ليزيح عنهم هذا الستار المظلم ، وينفض عن إنتاجهم السلبية العالقة به من جراء العزلة والإهمال ، وتلقى هذه التبعية على أبناء قومهم الذين لم يولوهم أدق اهتمام ، وتركوهم يضيئون . وفي ذلك ضياع لتراث قومي عظيم هو كل ما نفتخر به ونشيد بذكره في الجامعات . وعسى أن يلتفت كتابنا وأدباؤنا إلى هذه الناحية من عظمة المغرب فيولوها الاهتمام اللائق بها ، لقد آن أوان الانفتاح لتهوية الفكر . وإلى جانب ما قامت الدعوة إليه من الإقبال على الفكر العالمي في صورته هناك دعوة تليدة إلى بعث التراث وتجديده . وليس أضر على الشخصية من الانسلاخ والانحياز إلى اليسار - إن صح التعبير - أو التفوق والمحدودية ، والرجوع إلى الجين المطلق ، ولذلك ينبغي أن نفتح أعيننا على كل الجهات ، ونركز أفعالنا على كل المنابع والتيارات ، ونترك لأنفسنا حق الإبداع وإيجاد اتجاهات موافقة ، لعلنا بفعلنا هذا ننفض غبار الزمان والظروف عن أولئك الأفاذاً ونضعهم من جديد أمام أعين الدنيا لنرفع ما مزقت يد الأقدار الخفية .

المراجع

- ١ - النوع المغربي - ج الأول - ص ١٩٦ . حيث تطرق لهذا النوع من الأدب ، وهو العلمي وحديث الطائفة ، الذي وقع بين مالك بن المرحل وأبو اسحاق التلمساني . ويدل على انتشار وتغلغل الأدب بين سائر الطبقات حتى العلمية منها .
- ٢ - النوع المغربي لعبد الله كنون - ج الأول - ص ٢٢٢ - ط ٢ .
- ٣ - نفس المصدر ص ٢٢٢ .
- ٤ - نفس المصدر ص ٢٢٣ .
- ٥ - نفس المصدر ص ٢٢٤ .
- ٦ - الأعلام غير الدين الزركلي - ج : الثامن - ص ٨٦ - ط ٣ .
- ٧ - مجلة دعوة الحق - العدد الأول - السنة ١٦ (يونيو / حزيران ٧٣ م - جمادى الأولى ١٩٩٣ هـ) .
- ٨ - النوع المغربي لعبد الله كنون - ج الثاني - ص ٥٥ .
- ٩ - ميمون بن علي بن عبد الحائق الخطاطي المعروف بابن خبازة توفي بالرباط سنة ١٦٣٧ هـ ، وكان عظيماً في ميدان الأدب .
- ١٠ - الأدب المغربي لابن تاروت وصديق عفيفي ، ص ٢٠٦ .
- ١١ - النوع المغربي - ص ٢٢٤ - ٢٢٥ .
- ١٢ - بنو الأحمر من ملوك الطوائف بالأندلس .
- ١٣ - يشير إلى سورة التوبة ، والآية هي قوله تعالى : ﴿ فليضحكوا قليلاً ، وليبكوا كثيراً ﴾ .
- ١٤ - نقلاً عن كتاب ذكريات مشاهير المغرب لعبد الله كنون .

تحتفل الأوساط الأدبية في كل العالم خلال عام ١٩٧٨ م وبدايات عام ١٩٧٩ م بذكرى مرور مائة وخمسين عاماً على مولد الكاتب المسرحي النرويجي هنريك إبسن . وبين احتفالات نوادي العالم في مختلف العواصم ، ومراكز اليونيسكو ، تبرز احتفالات وطن الكاتب ، حيث أعدت الترويج برنامجاً ضخماً للعروض المسرحية والسينائية والندوات والمحاضرات ، يقام في مختلف المدن النرويجية وخاصة تلك التي قضى فيها الكاتب بعضاً من سنوات عمره ، وحيث تحولت البيوت التي كان يقطنها إلى متاحف أو بيوت ثقافية يتردد عليها الزائرون ، كما في «سكين» و«جريمستاد» و«أوسلو» و«بيرجن» .

وبعد تقديم بعض مسرحياته في إخراج جديد . كما تنشر مطبوعات جديدة ، عن إبسن مثل «هنريك إبسن» (١٨٢٨ - ١٩٧٨ م) ، وقائمة الأفلام المأخوذة عن أعمال إبسن . وأعد فيلم تسجيلي باسم «من كان هنريك إبسن» يكمل في خريف ١٩٧٨ م ، كما تصدر طوابع بريد بمناسبة هذا اليوم.

مسرحية

وقد جذبت مسرحيات إبسن بما أثارته من قضايا مخرجي السينما ، وقد قدمت مسرحية «بيت الدمية» في أميركا سنة ١٩٢٢ م من إخراج شارلز بريانت - وأعيدت عام ١٩٧٣ م في فيلم انجليزي من إخراج باتريك جارلاند وبطولة كلير بلوم وانتوني هويكنز ، وفي فيلم انجليزي - فرنسي مشترك إخراج جوزيف لوزي وبطولة جين فوندا . وقدمت «البطة البرية» في ألمانيا في فيلم سنة ١٩٢٥ م وأعيد إخراجها عام ١٩٧٧ م . وقدمت هيدا جابلر في فيلم ألماني سنة ١٩٢٤ م تمثيل استاينليس إحدى نجوم السينما في عهدها الصامت . وأعيد إخراجها في إنجلترا سنة ١٩٧٥ م ، وقس على هذا العديد من أعمال هنريك إبسن .

أبو الدراما الحديثة

وقد كتبت دراسات عديدة عن أثر إبسن في المسرح العالمي ، وقد اخترنا أن نقدم دراسة للناقدة شيلا ادواردز بعنوان «أبو الدراما الحديثة» مصحوبة بمجموعة من الصور عن مسرحياته والأفلام المأخوذة عنها وعن حياته والبلاد التي عاش فيها ، وزويه والفنانيين المعاصرين له .

في عام ١٨٩٨ م احتفل أحد عظماء النرويج - في كل العصور - الكاتب المسرحي هنريك إبسن بعيد ميلاده السبعين ، كانت مناسبة عامة حظيت بقدر كبير من الاهتمام على المستوى القومي والعالمي ، فقد تلقى الكاتب رسائل وهدايا من مختلف أنحاء العالم ، وبدأ أن كل إنسان يريد أن يشارك في تكريم هذا الرجل الوقور ذي اللحية البيضاء والزي الوقور . فقد كان إبسن - بحق - كاتباً عالمياً مرموقاً صاحب روائع هزت المسرح الأوروبي مثل «البطة البرية» و«بيت الدمية» و«هدا جابلر» و«الأشباح» . وقد منحته أكثر من دولة أجنبية بهذه المناسبة وسام شرف . ولعل إبسن هو الكاتب الذي كون ثروة تفوق ثروة أي كاتب معاصر له ، رغم معاناته الفقر في صباه وشبابه .

وفي العام التالي افتتح المسرح القومي الجديد في أوسلو وأقيم احتفال آخر كبير على شرفه ، وأمام مبنى المسرح كان يقف تمثال كبير لإبسن تحته المثلث ستيفان سنيدينج ، وفي داخل المسرح كان الجمهور يتصايح مرحاً ويحيا

إبسن

بعد ١٥٠ عاماً

بقلم: فوزي سليمان



★ إبسن
أبو الدراما
الحديثة
للنقاد
إريك
ديريسيكولد ★



* إيسن في أواخر أيامه .. الفنان بين جراف *

فإذا به يرفض بشدة ، ولم يهتم به الناشر ، ثم طبع العمل بعد هذه المساعي الفاشلة ، على نفقة صديق له كان يؤمن بموهبة إيسن ، وفي ٩ إبريل (نيسان) سنة ١٨٨٩ م ظهرت أولى مسرحياته في ثلاثمائة نسخة بغلاف رمادي يفتقد الأناقة .

كان هذا يوماً عظيماً لإيسن الذي ملأت مشاعر الاثارة جوانحه ، ولكن عمله الأول لم يقابل بأي صدى مشجع ، ولم يبع منه إلا ثلاثون نسخة فقط ، وكان عليه أن يبيع الباقي كركام من الورق ، مما أشعره بالاحباط ، فقد كان يأمل أن يحقق من هذا العمل بداية أدبية عظيمة ، وقال فيما بعد : « إن مسرحيته الأولى قد كفلت له توفير احتياجاته الأساسية لبضعة أيام ، كما أنه لم يحقق نجاحاً كطالب إذ رسب في الامتحان فقد شغلته كتابة الشعر عن المذاكرة الجادة . وكان عليه أن يعاني الفقر ، وإن كانت أيام الدراسة سعيدة نسبياً ، فقد قضاه في صحبة زملاء يستطيع أن يفاهم معهم وقد حقق البعض منهم شهرة في عالم الأدب ، وكما شارك - بمحاسن - في بعض الأعمال الصحفية فقد حرر في صحيفة الجامعة لمدة تسعة أشهر ، واستمر يكتب الشعر والنثر وينشر في الصحف المحلية ، وكم كان فخوراً وسعيداً حينما جلس ذات ليلة - قلقاً - في ركن مظلم مسرح صغير يرقب أول عرض لمسرحيته الثانية التي لم تستمر إلا عدة ليال ثم توقفت ! .

ولكن الحظ أسعفه حينما عين كمراقب دراما بالمرح القومي الجديد بمدينة

هنريك إيسن .

ولعل أعظم تكريم لإيسن جاء من كاتب معاصر في إنجلترا هو جورج برنارد شو الذي كتب يقول : « إن أثر إيسن في إنجلترا يعادل أثر ثلاث ثورات ، وست حملات صليبية ، وغزوتين أجنبيتين ، وزلزال .. إن الغزو النورماندي يعتبر شيئاً قليل القيمة إذا قيس بالغزو النرويجي » ! .

شباب .. وفقر

لم يكن في حياة إيسن المبكرة ما يشير إلى أن مستقبله سيكون مزدهراً وكان أكبر خمسة إخوة ، وقد ولد في بلدة سكين SKIEN بجنوب النرويج في أسرة ذات أصول دنماركية واسكتلندية وألمانية ، وكان والده الناجر رجلاً محترماً محافظاً ، ولكن تجارته أفلست وهنريك في الثامنة من عمره ، واضطرت الأسرة أن تنتقل من منزلها في المدينة إلى منزل آخر في الريف يبعد عدة أميال عن سكين ، وأن تعيش حياة أقرب إلى الفقر ، مما ترك في نفس هنريك شعوراً بالهوان لم ينسه أبداً ، وغدا طفلاً منعزلاً متمرداً ، يقتات الأحلام .. وقد ظل طوال حياته رجلاً خجولاً منطوياً على نفسه ، ليس له إلا قلعة من الأصدقاء .

ولم يكن كما قد يتصور البعض دودة كتب - فالكتاب ، كما قال هو نفسه فيما بعد - يمكن أن يعمي عيون الناس عن الحياة الواقعية حولهم ، وكان في المدرسة متبهاً بالبلادة ، كان ولداً لا يتميز بذكاء خاص كما أشار معلمه ، إنما كانت موهبته فقط في الرسم ، فقد كان يمضي ساعات طويلة يرسم مشاهد من الريف حوله ، ولو استطاع والده أن يكفل له مصروفات التعليم في الخارج لخرج منه فنان مرموق ، لكن هذا لم يحدث لحسن حظ المسرح .

وفي سنة ١٨٤٣ م وجد هنريك - وهو في الخامسة عشر من عمره - عملاً في صيدلية في جريمستاد وهي بلدة صغيرة تقع على فيورد أوسلو حيث تجتمعت بعض البيوت حول الميناء ، والآن .. يأتي الزوار من كل جهات العالم لمشاهدة بيت إيسن في هذه البلدة والمقعد الذي كان الصبي يحفر اسمه عليه . وفي هذه البلدة الهادئة المنعزلة أخذ هنريك يقرأ بنهم ويحلم بدوره ككاتب . وخلف زجاجات الأدوية والعقاقير كان يسترى القلم والورق ويأخذ يكتب بحماس حين يشعر أنه لا أحد يلاحظه ، وفي المساء كان يدرس الكلاسيكيات اللاتينية على ضوء الشموع مما هدد بصره بالهلاك ، ولكنه كان يتطلع إلى « الرسالة الكبرى » التي تنتظره .

وكان أهالي جريمستاد المحافظون ينظرون إليه في استغراب فقد بدا لهم شاباً بوهيمياً ، يبدو دائماً بسترته البالية متجهماً ، يثر سخطهم بأرائه « العصرية » في الزواج والأخلاق والمجتمع ، ويزعجهم برسومه الساخرة عن أثرياء البلدة ، حتى الأطفال لم يكونوا يودونه إذ كان يبخل عليهم بملوى الصيدلية ، وكان شعور الكراهية بينه وبينهم متبادلاً .

وحينما بلغ إيسن الثانية والعشرين قرر أن يتوجه نحو العاصمة كريستانيا - كما كانت تدعى أوسلو في ذلك الوقت - بعد أن ملأ اقامته في جريمستاد وأدخراً شيئاً من المال ، وكتب أول أعماله ، وقد اعترى أن يلتحق بالجامعة ، وأن يتكسب بعض المال من كتابة المقالات والأشعار للصحف ، ولكنه كان - قبل كل شيء - يريد أن ينشر عمله الأول ، وكان دراما من ثلاثة فصول باسم « كاتالينا » وقدمها - بحدوه الأمل - إلى مسرح كريستانيا

Stjerne Bjørnson!

*Sadlagd i mit officielle svar
maa jeg tilskrive dig nogle Linjer og
takke dig for det søde Brev, som jeg
endnu ikke har besvaret. Hverken
du og havde rigtig nok. Jeg er saadant
Vendings at mit kære Expedition for*

★ نموذج خطي .. لترغيع إسن ★



★ إسن في شيخوخته .. للفنان أروان حولبراسون ١٩٠١ م ★

ببرجن ، وقد أثار اهتمام مدير المسرح « أولي بول » الذي كان يطمح في أن يؤسس مسرحاً نرويجياً حقيقياً متحرراً من المؤثرات الدنمركية ، وكان يرى في إسن - رغم صغر سنه وقلة خبرته - الرجل الذي يستطيع أن يحقق هذه الرسالة ، وقد أسعد هذا إسن رغم تواضع الأجر ، وكان بول يريد منه أن يكتب للمسرح مسرحية كل عام ووعدته أن يدفع له ثمن ما يكتب ، وكانت هذه فكرة تثير زهو إسن ككاتب ، أن يدفع له لكي يكتب ، كما كانت أمامه فرصة كبيرة في أن يكتسب خبرة من خلال عمله بالمسرح ، بل وأن يرتحل للخارج حيث كان المسرح مستعداً أن يساعده في السفر للخارج للتعلم في دراسة الدراما .

وبآمال كبيرة ذهب إسن إلى برجن التي غدت موطنه لمدة ست سنوات ، هناك درس قواعد صرفته كرجل مسرح حقيقي بشارك في الانتاج والاخراج وأحياناً في تصميم المناظر والأزياء . وقد ساعده حبه القديم للرسم واللون على اتقانه تصميم هذه المناظر والأزياء . وفي برجن تزوج سوزانا تورسين ابنة أحد الموظفين بالمدينة ، وهي حفيدة روائي معروف .

ومع هذا فلم تكن سنوات برجن كاملة السعادة ، فإن توجيه الممثلين لم يكن بالمهمة السهلة لرجل خجول وانطوائي مثله ، ولم يستطع أن يحوز على رضاه أهل برجن ، تلك المدينة المعروفة باتجاهها المحافظ ، وكان إسن يشعر بالاحباط إذ بلغ الثلاثين من عمره ولم يكتب عملاً يراه هاماً ، وكان قد كتب أربع مسرحيات كان يعتبرها مسرحيات رومانسية وطنية ولا تعكس الحياة الحقيقية .

وفي أغسطس ١٨٦٥ م ، جاءه عرض مشجع من المسرح القومي بأوسلو ليعمل كمدير فني بالمسرح وأن يحصل على سبعة ونصف في المائة من الأرباح ، وقد سعد إسن بهذا العرض ، ولكنه سرعان من صدم وكانت سنواته الست في كريستانيا (أوسلو) من أشد تجارب حياته احباطاً ، حتى اعتبرها كارثة - من بدايتها حتى نهايتها - وكان يشكو من قلة المال وعدم درية الممثلين ومن ضعف مستوى المسرحيات ، حتى هبطت روحه المعنوية ، وكان الناس يلاحظونه في المقاهي بملابس رثة ولحية غير مهذبة ، حزناً مثبط الهمة ، وكان يحاول في سخط أن يرد على اتهامات رؤسائه له بالتقصير في أداء

Thyge Bjørnsen!

Thud er det igjennem for det
vedeskiel, som jeg havde ønsket. Der er
nu og stille sig imellem os? Det er som
om den personlige - Djaeval kom og skjed.

★ احلى رسائل إس . . من مراسلاته الخاصة ★

الاجتماعية السائدة والتقاليد البالية في بلاده .

كانت النرويج في ذلك الوقت بلداً محافظاً ، ويعيش داخل اقليميته ، في حين كان إسبن يعيش في أكثر أطواره تحرراً وانفتاحاً على العالم والإنسانية الرحبة أثناء اقامته في ألمانيا وإيطاليا ، وكان لا يخفي سروره وهو يعبر عن نقده لبلده في كتاباته التي يرسلها إلى وطنه ومواطنوه ، وكانت مشاعر مواطنيه نحوه تفيض بالكره والحب والتقدير في آن واحد ! نحو مواطنهم العبقري المغترب !

ونشرت أولى أعمال إسبن العظيمة وهي مسرحية «براند» سنة ١٨٦٦م ، التي هاجم فيها بشدة انحطاط مستوى المواطن النرويجي العادي وانتقد فيها المؤسسة الكنسية مما أثار جدلاً كبيراً في النرويج ، ولكنه في النهاية ضمن الحصول على معاش كشاعر . وفي العام التالي تكرر النجاح بمسرحيته «بيرجنت» وهي تناقش موقف النرويجي الحاكم والمتردد . وكان رد الفعل مرة أخرى مزيجاً من الغضب والحاس ، وغدت المسرحية بصورها الشعرية الراقصة لوديان وغابات وريف النرويج مصدر احتفال في النرويج واعتبرت من روائع أدب القرن التاسع عشر .

وبعد هذا انتقل إسبن إلى الكوميديا ، فكتب مسرحية «رابطة الشباب» التي يسخر فيها بمكر من السياسيين النرويجيين . . وقد قوبلت المسرحية بصيحات الاحتجاج في النرويج سنة ١٨٦٩م ، ولكنها حققت رواجاً وبيع منها عدد كبير . لقد رسخ إسبن ككاتب . وهو يستمتع بكل لحظة بشعور الزهو والنجاح .

إنه يكسب مالا ويحسن استغلال هذا المال . غدا رجل أعمال ينظم بدقة توقيت ظهور مسرحيته الجديدة ليضمن مبيعات كبيرة لها مقدماً . وقد غير هذا النجاح كثيراً من مظاهر حياته ، بعد أن صار ثرياً ، أصبح أكثر أناقة بسترته المخملية اللامعة وقفازيه الأنيقين . ولعل ما غناه من سنوات الفقر جعله يبالغ في الاهتمام بمظهره الخارجي ، بل إن طريفته في الكتابة صارت أكثر قسوة وجراً . كان يعيش في سعادة خيالية كما في الحكايات ، كما كان يقول ، ولكنه ظل مستغرقاً في عمله ، يكتب كثيراً ، ويجرب أساليب عديدة ، دائماً جريئة ومثيرة للجدل .

واجبه ، ويشور لما يوجهونه له من نقد حاد ، لكن أسوأ ما مر به كان ضياع ثقته في موهبته وقواه الابداعية . . وظل لمدة خمس سنوات لا يكتب مسرحية . وبعد خمس سنوات وقع المحذور ، أفلس المسرح ووجه أشد اللوم إلى إسبن بطريقة غير عادلة

فقد إسبن وظيفته ، غدا بلا عمل ، مفلساً يتحمل إعالة زوجته وابنه ، وبدا محبطاً غاية الاحباط ، إن كل ما يفعله يسوء بالفشل ، فقد رفضت مسرحيته «ملهاة الحب» التي أكملها سنة ١٨٦٣م ، باعتبارها في نظرهم لا أخلاقية . وفي يأسه أخذ يكتب التماسات إلى الحكومة يستجديها منحة تساعد على السفر ، فقد شعر أن خلاصه في السفر للخارج ، ولكنه خذل بشدة ، وغضب إسبن واعتبر رفض اعانته اهانة . . غضب من بلاده ، وعدم مباليتها بالسنوات التي قضاها في خدمة المسرح . . ولم يكن رائداً لحركة انشاء مسرح قومي . إنه كان صاحب دور عظيم بلا شك . كان إسبن بالنسبة للنرويج كما كان ييتمس YEATS بالنسبة لآيرلندا . . فكيف يترك هكذا بلا أي عون .

إلى النفي

ثار إسبن على عدم تقدير وطنه له . . وفي إبريل (نيسان) ١٨٦٤م ، من غير أن يثير دهشة أحد ، ترك النرويج وكان عمره ستاً وثلاثين سنة ، وجاءته منحة الحكومة المنشودة بعد نجاح عرض مسرحيته «المطالبون بالعرش» سنة ١٨٦٤م . هدأت نفس إسبن ولكن مضت ست وعشرين سنة قبل أن يعود إسبن للاستقرار في النرويج . وقد قضى هذه السنوات مع زوجته وابنه في ألمانيا وإيطاليا ، ولم يهتم كثيراً بالمشاركة في الشؤون العامة ، كان يراقب السياسة عن بعد . لعل أصدق وصف له في هذا المقام هو ما كتبه أحد النقاد : «كان إسبن قلما أكثر منه رجلاً» .

وفي سنوات المنفى عاد الصفاء إلى ذهن إسبن . يقول إسبن : «حيثما أكون بعيداً عن قراني أكون أكثر انصافاً وعدالة» أي أكثر حكماً على الناس . كانت هذه سنوات تألفه وحيوته ، ولكنه ظل يعمل في نفسه غضبه القديم على بلاده التي لم تقدر مواهبه . وظل حتى نهاية حياته ينتقد الأفكار

ووصلت قدرته في إثارة الناس إلى ذروتها في السبعينات - من القرن التاسع عشر - حيناً أخذ يكتب مسرحيات عصرية نثرية تتناول المشاكل الاجتماعية وهي المسرحيات التي تخلد ذكره حتى اليوم . كان يريد أن يكشف للناس كيف يبدوون حقيقة بلا رومانسية . . في الواقع . وقد ناضل لاثارة قضايا هامة ، وكان المجتمع النرويجي ينكر مناقشة مشاكل الزواج أو الجنس أو الأمراض السرية .

لقد عريت النرويج وأوروبا ، فضحت وأعجبت في نفس الوقت ، حيناً قرأت وشاهدت مسرحيات مثل « أعمدة المجتمع » سنة ١٨٧٧ م عن رجل أعمال يضحى بالحلب من أجل المال ، و « بيت الدمية » سنة ١٨٧٩ م التي تناقش قضية النفاق في الزواج وتحرق المرأة ، و « الأشباح » سنة ١٨٨١ م وهي دراما قوية عن أثر الأمراض السرية ، و « عدو الشعب » سنة ١٨٨٢ م التي تتهاجم غباوة الأغلبية وجودها ، ثم مسرحيته الرقيقة الشاعرية « البطلة البرية » سنة ١٨٨٤ م ، ثم مسرحيته المأساوية « آل روزمير » سنة ١٨٨٤ م عن المثالية غير الإيجابية ، ثم « امرأة البحر » سنة ١٨٨٨ م عن افتتان امرأة متزوجة برجل آخر . . القائمة طويلة . . وكلها أحدثت أثراً كبيراً وقد كتبت كل هذه المسرحيات بدقة ، وكانت دائماً تشير مناقشات حادة في كل مكان تعرض فيه ، وتنازعت حياته حملات المديح والهجاء . لم يثر كاتب ما أثاره إيسن من نقاش وجدل !

قد يكون من الصعب أن نفهم الآن لماذا أثارت مسرحيات إيسن كل ما أثارته من رد فعل سواء معها أو ضدها في ذلك الوقت ، إن مسرحيته « الأشباح » مثلاً حيناً تقدم اليوم - وهي تقدم كثيراً - لا تقابل بالصفير أو يترك المشاهدون المسرح احتجاجاً . ولكن حيناً عرضت هذه المسرحية في الثمانينات في أميركا كتبت مجلة « الحقيقة » بعد أول عرض تقول : « إن ٩٧٪ ممن يذهبون لمشاهدة الأشباح هم ملوثو الفكر » ، ووصفتها صحيفة إنجليزية بأنها نفاية أو زبالة ، وفظيعة ، واتهمت إيسن بافساد الشباب وأنه شاذ ومجنون .

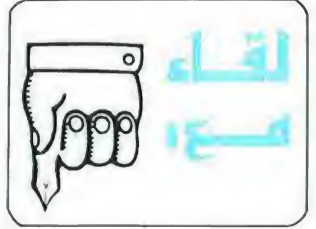
وقد واجه إيسن كما واجهت مسرحياته العاصفة ، وقد ترجمت المسرحيات إلى مختلف اللغات الأوروبية وإلى اليابانية . وجذبت إليها الجماهير في كل مكان تعرض فيه ، وغدت « الأشباح » هي الاختيار المفضل لافتتاح المواسم المسرحية في أوروبا مثل مسرح Frei Buhne في برلين ١٨٨٩ م ، والمسرح الحر Theatre Libre في باريس ١٨٨٧ م ، والمسرح المستقل Independent Theater في لندن ١٨٩١ م ، وكان إيسن يزداد حيوية حيناً يتناهى إليه ما نشره مسرحياته من جدل .

وحينما بلغ إيسن الثانية والستين من عمره عاد إلى وطنه النرويج ليستقر فيه . عاد رجلاً مختلفاً كل الاختلاف عن ذلك الشاب الذي تركها فقيراً معدماً ، وكاتباً مكافحاً غاضباً . وكان من الصعب على الرجال المسنين الذين كانوا يعرفونه في تلك الأيام البعيدة أن يصدقوا عيونهم وهم يرونه . . من أشهر رجال أوروبا قاطبة . . وشخصية رئيسية في أدب القرن التاسع عشر ، أو أبو الدراما الحديثة كما كان يطلق عليه .

إنه الآن رجل ثري وفخور بثروته التي جناها من قلمه . وقد انتقل إلى شقة فخمة في شارع قريب من حدائق القصر ، ونقش على بابها اسمه **دكتور هنريك إيسن** بحروف من الذهب . تصرف قد يدل على الغرور !

وكان عجباً أن إيسن الذي بنى شهرته وثروته من السخرية من التقاليد ، صار في سنواته الأخيرة رجلاً تقليدياً محافظاً . كان يحلوه أن يسير كل يوم عبر شارع « كارل جون » إلى مقهى « جراند كافيه » وهو يرتدي معطفاً أنيقاً ، وربطة عنق زاهية ، وقبعة حريرية ، ويستقر على مائدته المحجوزة له ، وهو ينحني ليحيي المعجبين ، ثم يرتشف القهوة ويقرأ الصحف أو يراقب مسيرة الحياة في شارع « أوسلو » الرئيسي من خلال المرآة المواجهة . . لعل هذه هي الصورة التي يعرفها العالم عن إيسن ، وقد ظل نشطاً حتى في سنواته الأخيرة ، واخرج مسرحية « سيد البناتين » سنة ١٨٩٢ م ، ثم « جون جابريل بوركمان » ١٨٩٦ م ، وأخيراً « حيناً نبعث نحن الموتى » سنة ١٨٩٩ م . ومع مطلع هذا القرن توقف نشاط إيسن حيناً عانى من أزمة صحية لم يشف منها . ولمدة أربع سنوات لم يكن يعي ما يدور حوله . وتوفي في ٢٣ مايو (أيار) سنة ١٩٠٦ م وعمره ثمانية وسبعون عاماً . وكانت جنازته احتفالاً رسمياً مهيباً وأعظم ما شاهدته النرويج من احتفالات ، حضرها الملك ورجال البرلمان . . كتقدير لرجل فعل الكثير من أجل شهرة بلاده . واستراح جثثانه في مقبرة العظماء بأوسلو .

ما زال إيسن يفرض وجوده إلى اليوم من خلال أعماله التي تقدم في كل أنحاء العالم . . في المسارح وعلى شاشات التلفزيون ، وفي دور السينما ، ويعاد طبعها لتقرأها الملايين .



شاعر هويته الحزن!

نفسك هل اللقمة ثمينة إلى هذا الحد؟ ولكنك تصدم عندما لا تجد الأمر كذلك.. إن الإنسان ولد ليعيش ولم يعيش ليخلق، ومعنى هذا أن حياة الفرد سابقة لصيورته، إن وجوده أبقي وأعظم، وإن الحكمة من العيش تتمثل في تعدد مصادر هذا العيش، ولهذا تجد أنماطاً من البشر، بعضهم يعيش لذاته، وبعضهم يعيش للثلة، وبعضهم يعيش لغيره، وبعضهم يعيش للقمته، وذلك أردأ أنواع البشر وللأسف الشديد فكيف لا تريدني أن أتميز غيظاً.. وأنفجر من الداخل وأنا أنظر لهذا الإنسان وهو يمارس نوعاً مذكلاً من السقوط الحثير.

رحلة الإحساس القاتل بالعذاب

● ولكنك لم تقل.. هل
تتميز أنت بجزء الشاعر.. أو
خلق الإنسان أو بركة القنصل
المؤثرة من خلال ما تسرى
ونشئه؟

□□ لو تابعت بعض رباعياتي لأمكنك أن تلتقط الأجوبة على هذا السؤال.. والحقيقة أن معاناتي الأولى هي مزيج من الشعور الإنساني المعبث كما أحياء من مفارقات يومية، ومن ردود الفعل الحادة نتيجة سقوط الأكثرية من البشر، في كل مكان من هذا العالم، فرائس رغبات مؤقتة وأحلام مبالغ فيها.

● وماذا تقول رغباتك..
تصويراً للمشاهد المحزن كما
وصفت؟!

★ ليس هذا حواراً فكرياً بقدر ما هو معايشة حية للابعد الفكرية والنفسية والذاتية لإنسان أفرغت في جوانحه الحياة كثيراً من الصور والايحاءات والتناقضات حتى بدا وكأنه بركان من نقمة، لا يهدأ له أوار ولا يستكين له شعور ولا يستقر له إحساس ولا يرين شعور ★

قلت له ونحن نبدأ في نوع من الصدام المفتعل:

● هل تعتقد بأنك نط
غاضب من البشر على كل ما
يتم مشاعرك ويؤذي
أحاسيسك. أو أنك طبيعة
متفجرة قتل بالعمالة
ومحولة بخلق نور التعبير
على الذات لحياتك؟

□□ سحب نفساً طويلاً من بين حنايا ضلوعه حتى لكأنني بها تنحطم أمانتي، وتحترق بين يدي وراح يقول:

ليس الأمر كذلك، فأنا لم أولد في بيئة نائمة ولم أخالط البؤس ولا الشقاء في كل مراحل حياتي من زواياه المادية ولم أكن زائغ البصر أو راغباً في أشياء يمتلكها الغير.

لقد كنت باستمرار أتحسس ذاتي من موقع مرتفع، وربما كان هذا سبباً في أن أرى الحياة قبيحة في بعض الأحيان، وأجد البشر في صور محزنة، لا يملك الإنسان تجاهها إلا أن يزداد المأ وتغرقاً.. وترفعاً.

إن الحياة في عصر المادة تفسر هذا الانكفاء من الكثير من الأحياء. إنك تبحث عن السمو في بعض الأحيان فلا تجده وتسال



والواقع إنني ربما كنت غير هذا . إنني جراح لا تتوقف عن النزف
والذين يعرفون الشاعر محمد حسن فقهي لا يختلفون عن الذين
لا يعرفون الإنسان محمد حسن فقهي . إنني أعيش حياة متصلة
الآلام والجراحات . وقد تعجب إن أنا قلت لك بأنني أصبحت
أعيش الألم كأمتع لذاتي .. إنني أعشق لحظة المعاناة ، وأقبل
عليها كما يقبل «التافهون» على لحظات المتعة .

ولعلي لا أستطيع الحياة يوماً إن أنا فقدت روافد الحزن والمعاناة ، لقد
أصبحت هوية تطيع حياتي .

لقد عشت حياة غنية بالرفاه منذ نعومة أظفاري ولكنني كنت أشعر بالنقمة
والألم بتجاوزان في أعماقي .

وفقدت - على كبر - ابناً وابنة في سنوات الشباب المزدهر ، بل وفقدت
لذة الحياة وطعمها بعدها .

●● إذن .. فإن مدى
العمق في استثمار المسألة
لديك يمتد إلى مراحل مبكرة
في حياتك .. ألا تعرف
دوافعها؟

□□ لقد فتحت عيني وكأنني قادم من عالم المثاليات حتى إذا رأيت هزيمة
الإنسان أمام نفسه ورغباته وتطلعاته أصبت بالصدمة . وعدت إلى نفسي
وبدأت أعاني . لقد حاولت أن أعزل الحياة والناس منذ وقت مبكر ، لكنني لم
أستطع ذلك ، وكفيتني أن مشاعري الداخلية تعيش حالة خصومة دائمة لكل
ما يقع تحت بصري .. ربما لأنني - كما قلت لك - لم أجد الحياة صورة حقيقة
للمعاني الإنسانية التي تعلمناها .

البيئة .. ليست كل شيء

●● أستاذ محمد حسن
فقه في الروافد الثقافية ،
إلى أي مدى تؤثر في المسار
الذهني والشمودي لدى
الإنسان الشاعر؟

□□ حقيقة أن تجربتي مختلفة - في هذا الصدد - إذ إن الفطريات التربوية
والنفسية والحقائق الفسيولوجية جميعها تؤكد أن الإنسان ابن بيئته ، ولا شك
أن البيئة الفكرية تشكل طرفاً في تشكيل قناعاته ، وأن التنشئة الاجتماعية الأولى
تحدد سلوك الفرد وطريقة تعامله وتفرض عليه أن يتعايش مع الغير من خلال
أطر معينة بصورة «إرادية» .

تلك هي الحقائق العلمية السائدة ، وتلك هي قناعاتي الذاتية بالفعل ،

□□ في واحدة منها قلت :

أليس ضمير المرء منا غديره
وهل يرتجي المكروب إلا غديره
رضيت بكوخي وارتضيت لصاحبي
خورنقه الهاني به .. وسديره
أحس ديب الموت في كل مفصل
واسمع من كل حين نفيه
ظمئت زمناً بالسراب فلم أعد
غريراً ، وكم أظمى السراب غريره

□□ كما قلت ذات مرة صارخاً :

يا ضمير الإنسان في كل أرض
لا تدع فورة المواطن تشقي

كما قلت :

ورب امرئ قد عاش يطوي ضلوعه
على مثل حر الجمر حيناً من الدهر

●● لقد لاحظت أن الشيء
«الأمر» يحس بالهبة . هلا
تضع يدنا على ذلك؟

□□ الحياة لدي غائبة .. والأقوياء هم الذين يصمدون أمامها . لقد
قلت ذات مرة :

وملكتها ، فغدوت أزهد زاهد
فيها ، وما عادت تثير شجوناً
'ماتت' أحسبها بمنود زحيصته
عندي ، وكنت بها أجن جنونا
فإذا استجد الظن كان يقينها
وإذا اليقين عني استحال ظنوننا

لا حياة بدون حزن

●● حسناً : أيها الخمس
الشد والعمق . الأمك أو
أحلامك .. أيها العمق
جراحاتك الصدمة في
الحياة ، أم الصدمة في
الأحلام؟

□□ أنت تبحث عن ردود فعل جاهزة ، وكأنك تريد أن تقول إن المسألة
حالة مؤقتة . تريد أن تقول إن اللحظة ليست أمراً مستديماً .

مجلة الفصل - ص ١١٨



أن ترتفع إلى حيث هو .

إنني أقول هذا الكلام لأول مرة .. لأن حمزة شحاته قيمة وقيمة أعرف مكانتي لديه ، ويعرف هو مكانته عندي ، ولهذا فإننا وجهان لصورة الإنسان الحقيقية شئنا أم أبينا .

السرطان والفقي عالمان مفتوحان

●● حسين سرحان؟

□□ شاعر إنسان ، تعجني صوره النابضة .. وتستبد بي أحزانه كثيراً .. إن حسين سرحان إنسان قتله الحياة قبل الأوان فقتلت فيه حتى قدرته على التعبير الحي . إنني أبحث عنه فلا أجده إلا من خلال عطائه المتناثر فأعجب به واحترمه .

●● ومحمد حسن عواد ..

أيها تقوى فيه : شخصية

المفكر أم شخصية الشاعر؟

□□ على الرغم من أن القول بأن الشاعر شيء والمفكر شيء آخر غير دقيق في التمييز بين القدرة الشعرية الغالبة أو القدرة التأملية المسيطرة . إلا أن محمد حسن عواد . مرحلة أدت دوراً ، واضطلعت بمهمة . وذلك هو شأن المفكرين ، يصنعون الحدث أو تصنعهم المرحلة ولا يمكن أن يكتب البقاء والاستمرارية لهذا الدور .

لقد عرفت العواد زميلاً في مجال العمل الصحفي في جريدة «صوت الحجاز» وإن كان قد سبقنا في مجال الأدب والتدريس كثيراً .

وعرفته محاولة جيدة في صنع المناخ الثقافي ذات يوم ولكنني عندما أبحث عنه الآن لا أجد إلا ذلك الماضي اللامتد وتلك هي طبيعة الحياة .

إن القدرة الشعرية لدى العواد متأثرة بتصورات انفعالية يغلب عليها الإدراك ، ويفصلها عن الشحنات النفسية الانفعالية فتبدو القصيدة عنده في صورة مقتنة . والشعر انطلاقي .. والشعر جيشان مشاعر .. والشعر انفعال .. والشعر رواية تبدأ من الحس وتنتهي إلى اللامدى .

إن الشعر شيء مختلف عن القوالب القانونية المقتنة ، ولكن العواد يظل قدرة متميزة في هذا المجال .

يتسلى بالشعراء المحدثين

●● هل تقرا لأدونيس

وصلاح عبد الصبور وسميح

القاسم وأضرابهم؟

□□ أقرأ لهم للتسلية .. فقط .

●● هل يعني هذا أن

صحيح أن هناك قصائد ذات مضامين فلسفية تتناول شرائح إنسانية ، وأخلاقية ، ورؤى عميقة لهذا الوجود إلا أن الأخلاقيات تظل أبرز محاور قصائده .. يتساوى معه شعور الأستاذ الفقي بالملامة .. وربما يلتقيان في صورة من صور المعاناة الكبرى . فالشاعر يعتقد بأن الحياة رحلة منقطعة وهي لهذا لا تستأهل كلاً هذا «الانسحاق» و«اليسيليا» ، ويعبر عنه أياً من دهشته لما يرى .. إنه يقول :

ومن يلق الصبا رغداً وأمناً

فروضة يصبر عن شظية السبويه

وسلو .. يا .. المستطع .. تلعبت .. ففر .. أ ..

ولاستغنيت عن بذل المهوور

هجرت مبادلي وأرحت نفسي

فلن أشق بها أبد الدهور

فن يصبر على جور الغواني

فإني لست بالرجل الصبور

الموقع .. على خارطة شعر الجزيرة

●● لكنك لم تتحدث عن

موقعك من خارطة الشعر في

الجزيرة العربية إحساناً .

وسماعة . ومشاركة ؟

□□ ليس من السهل علي أن أقول .. إن هذا هو موقعي ، ولكنني أعتقد أن الدارسين لشعري أقدر على مثل هذا التصنيف .. ألم أقل لك إن تصنيف الأعمال الذهنية هو نوع من الامتحان . إنني أرفض هذه المقاييس لأنها لا تحترم في الإنسان آدميته فضلاً عن أنها تحول عطاءه الحسي إلى كتلة مادية قابلة للوزن ، وهو فوق أي وزن .

●● إذن .. ماذا يمكن أن

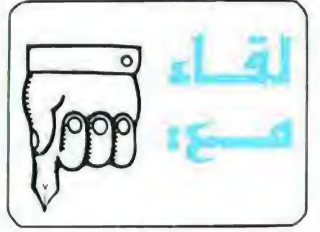
تقوله في حمزة شحاته .

وحسين سرحان . لقد قيل

بأنها فارسان لم يتفوق عليهما

أحد قى الجزيرة العربية ؟

□□ كم كنت أتمنى أن يكون بيتنا حمزة شحاته الآن لسمع هذا الكلام .. إنكم لا تعرفون أن «شحاته» عاش حتى مات لإنسانيته . والإنسانيون لا يقبلون مقاييس الأحياء .. إن حمزة شحاته قبة شعرية لا أعترف لغيرها بالقدرة على التحليق في عالم الحس والجمال . يتمتع برؤية جمالية وحسية وفلسفية مشرقة ورفيعة وعميقة . عندما يقول الشعر فأنتم تحس بأنه يخاطب أعماقك وجوارحك ويستفز ذاتك .. ويستحث قدرتك على



شعرهم خلق من المضمون
الفكري الجيد؟

□□ لا أريد أن أقدم هنا دراسة للمفهوم الشعري قديماً وحديثاً، ولكنني أريد أن أقول إن روح الشعر مفقودة في كل ما قرأت لهؤلاء واضرابهم.

□□ ألا تعتقد أن المضمون
الإنساني يمتد لمسافات بعيدة
هؤلاء في بنورتها؟

□□ قد لا يختلف معك في أن التعبير لدى هؤلاء عن تلك المضامين كان حياً. ولكنني أفتقد فيه العمق، والاتصال الفكري العميق. إنني أقرأ قوالب.. أستعرض ألفاظاً قوية.. ولكنني لا أجدها قادرة على تصوير المفهوم البشري المستند.

□□ عليك قراءة القصيدة
تختلف.. أنت تريد لوحة
جمالية.. وهم يمثلون مسألة
الإنسان، حركات الزمن
المطمعون في إرادته، وحقوقه
والتفكير.. إن المضمون لديهم
سياسي.. وما تتطلبه به
مضمون فكري؟

□□ أنا معك في هذا، ولكن ما الذي يمنع أن يكون المضمون الفكري العميق طريقاً إلى التعبير عن المضمون السياسي.. ذلك أن تصويره، كـمـر، القوة والتأثير والجمال يمكن أن تعبر عنه قصيدة لشاعر تمتد جذوره إلى أصول ثقافية وحضارية بعيدة المدى.

□□ هل أتهم من هذا أن
الاتصال الثقافي بين هؤلاء
وما في القصيدة العربية
سبب ما نسميه بالفجاءة
التي...

□□ ليس خواء.. ولكن سطحية تفرضها الأمية الثقافية في عالمنا العربي. والنزول إلى الدماء مشاركة في الابتذال لا أرضاء للأدب الأصيل. "لأننا نجدور بعضهم الثقافية عميقاً وأصيل". إنها الاستجابة لما يريد الشارع السياسي وليس الاستجابة لما تفرضه القضية المتصلة بجذورها الفكرية.

□□ تفقد أن المضمون
السياسي للقصيدة العربية
كان وراء اهتمام المضمون؟

□□ إن الأصالة لا تتأثر بطبيعة المضامين التي تفرزها الأحداث. إنني ما زلت مصراً على القول بأن المناخ الذي تولد فيه القصيدة أو عنه لا يجب أن يهزم البناء الثقافي ويرغم القصيدة على الابتذال.. وإلا فإن المضامين الحضارية تعتبر من أشد الروافد إثراء للقوة الشاعرة لدى الإنسان الأصيل.

شعر المزايدة

□□ هل يعني هذا..
الرفض للقصيدة السياسية
أو على الأقل.. اتهامها
بالمعجز عن بلورة القضايا
القومية بنتاج؟

□□ الحقيقة، أن الإيمان بالمضمون أولاً.. وليس المزايدة عليه جذيرة بأن تمنح الشاعر دقات قومية، وإلا فإن الشعر الإسلامي السياسي كان أعظم قدرة في تغيير الواقع المعاش، عندما كان يجمع بين الإيمان بالهدف، والصدق في التعبير، والقدرة على التصوير. إن الكثير مما نقرأ الآن.. فيه الكثير من المزايدة.

□□ هل يلحق هذا حتى
على الشعراء الفلسطينيين
أيضاً؟

□□ دون تحديد.. فأنا أريد أن أقول إن الاتصال الحي بين القدرة الشاعرة والإيمان بالقضية هو القوة الدافعة إلى العطاء الرفيع.. وقد افتقدت هذا حتى في شعر بعض شعراء الأرض المحتلة.. ويمكن أن تلاحظ هذا في صورة تذبذب شديد بين قصيدة وأخرى.

□□ هناك شعراء لم أسألك
عنها: نزار قباني وعمر أبو
ريشة؟ لقد تصدعت أن أجيب
بنتيجة في هذا السؤال؟

□□ لولا قولك بأنك قد تعمدت أن تجمع بينها لاهتمت بالخلط بين الأشياء...

□□ إن نزار قباني، شاعر صورة جمالية، وأحسبه الآن قد تبين طريقه الطبيعي وراح ينثر أحاسيسه عبر الصحافة العربية ويجيد في هذا كما لم يستطع أحد أن يجاريه.

□□ أما عمر أبو ريشة.. فإنه يحمل إليك رائحة الماضي، ممتزجة بوفرة الزمن الحاضر.. ويعطيك مضامين تجمع بين القوة والحداثة والعمق. إنه يعجبني كثيراً.. فهو بقية باقية من شعر الكرامة، والارتقاء



الفكرية المزدوجة

□□ لست بعيداً عنها . ولكنها بعث غير متوازن لمراحل تطورية ذهنية غير مستقرة .

كيف هذا؟

□□ كل التحولات التاريخية تتوالد في إثر التجارب الإنسانية العظيمة ولكنها لا تولد في ظل المحاولات العابرة . لقد كانت الوجودية في الفكر ذات يوم اتجاهها فلسفياً مؤثراً . . ولكنها تضاءلت وذهبت مع الريح . . ولم تعد نسمع عنها ولا عن طارحها « جان بول سارتر » لأنها بذرة غير متصلة بأرض الفكر الإنساني .
ونفس الحال يمكن أن نطلقه على مدارس اللامعقول ومن قبل مدرسة الرمز ومذاهب المتعددة .
إن أي تجديد « قشوري » يفتقد المضمون لا يستطيع أن يؤكد وجوده طويلاً .

ولا بأس أن نقبله كلون ولكنها لا نستطيع أن نعتقه كاتجاه .
إن الفكر الشيوعي قبلاً ، فكر غير متوازن ، لأنه يحمل في تضاعفه كل الدوان التناقض بين النظام الذي يؤمم الأغراض المادية كما يؤمم الفكر والإحساس ، وهذا فإن أرضية المجتمع الشرقي موات من العطاء . إلا ما انفصل منه عن هذه الفساعات في بعض أعمال « ليو تولستوي » و « ديستوفسكي » وأضرابها .
كما أن النظريات العلمية التي توالدت في إثر التفاعلات الحضارية ، مثل نظرية « النشوء والارتقاء » ما تزال تعاني من ضعف القدرة على التأثير تطبيقاً عملياً حياً .
إن هذا يعني أن المفكر الحي هو الذي يتابع هذه التيارات باستقلالية تامة ، يسقط حذرته تجاهها . ويقوى على قوة التأثير فيها . . وبغير هذا فإن السقوط يكثر . . والردة الذهنية تتوالى . وأنا أرفض أن أكون مع هؤلاء وأولئك .

باختصار شديد ، هذا هو شاعر الرباعية والملحمة ، محمد حسن فقهي الشاعر السعودي وهذه هي رؤيته وأحكامه ، بقي أن أقول إن لدى هذا الشاعر حتى الآن (١٥) مجلداً لم تطبع بعد ، ولنا أن نتصور ماذا يعنيه هذا الرصيد لإنسان هذه أفكاره .

بالذوق الشعري الرفيع ، رغم شعوره بوطأة الحياة وقسوتها وظلمها في بعض الأحيان .

هل يمكن اقتضائه

الطابع : شعر للمساءلة

الطريقة : ١٩

□□ ليس هذا كثيراً عليه .

هذه صورة أخرى . . للقدرة الشاعرة . . والذات المتميزة لهذا الإنسان ، فأنت لا تستطيع أن تسبر أغوارها إلا من حيث تتلاقى مع آرائها . . وعندها فقط تكتشف أنك أمام إنسان بسيط . . يضعف أمام تحسك للجوانب الحسية عنده . . ويهزم أمام تأملك لمعانيه الطارفة . . ولا يجد غضاضة في أن يقول لك إن ما أريد أن أقوله هو أنني لا أستطيع أن أتخلّى عن شعوري بالغربة عن ذاتي في كثير من الأحيان فإذا وجد بعضهم صورته في بعض أشعاري ، فإن هذا لا يعني أنني التقط صورة محددة . . لا يرغبها . . إنني أجمع شرائح حياتية متناثرة مليئة بالحب والانفعال والرضى في آن واحد .

قم الفكر الإنساني

قلت له : من قرأ ؟

□□ قد تستغرب إذا قلت لك إن قراءاتي بعيدة عن تناول ما يصدر من دواوين ، إنني أهتم أكثر بالدراسات التاريخية والفلسفية ؟ وبالشواخ من القصص العالمي .

ولماذا لا تقرأ الشعر ؟

□□ أين هو الشعر الذي يستحق أن يقرأ هذه الأيام ؟

وكيف تستطيع أن

تستيعق ذلك ؟

□□ قراءاتي السطحية تضع بين يدي صورة تقريبية لما تمتلئ به المكاتب ، فأقبل على أي عمل أعتقد أنه جيد ويستحق القراءة . ومع الأسف الشديد فأنا لم أجد هذا الجديد المتميز على مدى السنتين الأخيرتين .

ولكن تقرأ من

الغلاظة ؟

□□ لا داعي للتحديد . . فأنت تقرأ كل ما يقع تحت يدك ويتجاوب مع ذائق وإلا فأنا عندما تؤمم القدرة الذهنية باقتفاء آثار كتاب أو فلاسفة معينين فإننا ندور كالعبيد في فلهم . . ونفقد ذواتنا بالضرورة .

مسافة التيارات

والتي أنت من التيارات

والكتاب يشتمل على تقديم ومقدمة وأربعة أبواب وخاتمة وثبت بالمراجع المخطوطة والمطبوعة والدوريات .

البيئة الحجازية

● يتناول الباب الأول البيئة الحجازية من خلال عناصر ثلاثة تمثل وجه الحجاز الحديث كما يرى الباحث ، وهي :

١ - الحجاز ومجتمعه .

٢ - تطور الكيان وآثاره .

٣ - الحياة العقلية : وتشمل بدورها أربعة عناصر تمثل المنافذ الأساسية لدراسة بيئة الحجاز وهي : التعليم والثقافة والمكتبات والصحافة .

● بالنسبة للعنصر الأول تناول الباحث كلمة الحجاز في عدة مناح ، في الحديث النبوي الشريف ، والشعر القديم والمعاجم اللغوية والبحوث المعاصرة ، وفي مجال تحديد المقام والموقع . يقرر الباحث أن موضوع دراسته يشمل حاضرة الحجاز لا بإدائها ، أي الإنتاج الشعري لثلاث سكان الحجاز ، وهو الشعر القصص الذي يعد امتداداً طبعياً للشعر العربي في هذه المنطقة ، أما الشعر للملحن المنتشر بين قائل البدو الرحل ، فليس مجال دراسته ولا ندرى لم لم يسميه بالشعر البطني كما هو متعارف أو الشعر العامي أو الشعبي ، لأن هذه الألوان موجودة في الحاضرة أيضاً ، ولعل للباحث رأياً في تخالفي هذه التسميات .

وقد حدد الباحث التركيب الاجتماعي للحجاز والعوامل الدينية والسياسية التي طبعت سكانه بطابع معين ، والملامح الرئيسية لهذا المجتمع الذي تميز بالركون إلى الدعة ورغد العيش والميل إلى انغماس معينة في الأعمال نتيجة للأوضاع الاقتصادية التي تميزت بالانحسار والحسن في العهد العثماني ، وبالضيق والسوء في العهد الهاشمي ، ثم بداية التغيير في أوائل العهد السعودي .

ويخلص الباحث إلى أن الظروف الاقتصادية والاجتماعية والنشاط المحدود للعمل واتجاه المثقفين إلى ظل الوظيفة ، قد انعكس على الإنتاج الفكري بعمامة ، والأدب بخاصة ، والذي لم يواكب التطور الأدبي خارج الحجاز بالإضافة إلى عوامل أخرى ، تمثلت في انعدام الرعاية الأدبية من مؤسسات فكرية وعدم وجود دور للنشر باستثناء بعض الجهود الشخصية .

● أما العنصر الثاني ، وهو تطور الكيان ، فقد حدد الباحث حقيقة أولية وهي أن الجناية الفكرية على الحجاز كانت نتيجة عزلة طويلة أخرجت الحجاز عن ركب النهضة الحديثة ، التي شملت الوطن العربي منذ القرن التاسع عشر ، وإن كان التعليل لذلك هو عدم تعرض الحجاز للسيطرة الاستعمارية التي أيقظت الشاعر الوطنية وعجلت بالوعي السياسي في الخارج الذي تعرض للاستعمار الأوروبي ، ثم يستعرض الباحث العهود الثلاثة التي مرت بالحجاز ، مبتدئاً بالفترة الأخيرة من العهد العثماني بصورته الممزقة للوضع الحكومي وضعف قبضته على بلاد الحجاز ، والعوامل التي أحاطت بانفصال الحجاز عن الدولة العثمانية ، وتسلم الشريف حسين للحكم حيث يبدأ العهد الثاني الذي سماه العهد الهاشمي ، وقد تميز بسياسة أدت إلى إبعاد الشخصيات الوطنية التي كانت قد لجأت إلى الحجاز ، كما أدت إلى انفعال عداوات مع زعيم نجد وحاكم مصر ، ثم تتابع الأحداث حتى فتح الملك عبد العزيز للحجاز ، الذي أصبح جزءاً من الكيان الكبير للدولة السعودية العربية الموحدة .

أما عن انعكاس هذه الأحداث السياسية على الفكر والأدب ، فإننا نجد بداية الوعي والتفكير السياسي في العهد العثماني ، وقد واكب الشعر أحداث ذلك العهد وصور بعض مظاهره ، وظهر شعراء من أمثال أنور عشقي ، والشيخ إبراهيم الأسكوبي اللذين نقدا الدولة العثمانية وأبرزوا عيوبها وعيوب رجالها المنصرقين عن الحضارة الإسلامية ، المبهوتين بالحضارة الغربية ، على حين نجد شاعراً هو الشيخ محمد العمري يشيد بالدولة العثمانية .

أما العهد الهاشمي فع قصره - إذ لم يتجاوز السنوات التسع - فقد تطور فيه الأدب الحجازي بصورة واضحة لارتباط ذلك العهد بأهم مظاهر النهضة في الحجاز ، وعلى رأسها قضية تعريب دواوين الحكومة ، وجعل اللغة العربية اللغة الرسمية ، ثم وفود شخصيات عربية إلى مكة المكرمة ، لها وزنها الثقافي والفكري من أمثال محب الدين الخطيب الذي تولى تحرير الجريدة الرسمية « القبلة » ، والشيخ كامل القصاب الذي أشرف على مناهج الدراسة والتعليم ودرس آداب اللغة ، والتي كانت لها الفضل في فتح الأفق الجديدة أمام النشء ، ثم عامل ثالث وهو تطور الصحافة التي كانت « قبلة » بداية لها ، وتلتها صحيفة « بريد الحجاز » ، أما الازدهار الكبير للأدب فقد ارتبط بظهور « صوت الحجاز » بعد « أم القرى » في العهد السعودي ، وقد خطر لي عدم إعطائه الغار . فكرة مفصلة عن هذه الصحف إلا أنه يعتذر بأنه يرسده بعض المظاهر ولا يجلها وإن كان الرصد يعني أيضاً إعطاء نماذج لعناوين المواضيع المطروحة والقضايا المنشورة ، حتى نصل إلى الأفكار التي كانت تناقش والآراء التي كانت تطرح ، وصلة ذلك كله



مطالعات... في الكتب

الشعر الحديث في الحجاز

١٩١٦ - ١٩٤٨م

تأليف: عبد الرحيم أبو بكر
عرضة وتخصيص:

د. عباس محبوب

ولكن الأستاذ عبد الرحيم أبو بكر بذل غاية الجهد ليكون موضوعاً في بحثه فهو مقتصد كل الاقتصاد في إثبات الحسن والمساوي ، يشعرك في كل صفحة من صفحات كتابه أنه يتعامل مع نص لا مع شخص ، وأن استحضاره لقصيدة معينة لا يمنعه أن يهجر قصيدة أخرى للشاعر نفسه ، بل إن رؤيته لسمة من سمات الجودة في بيت من قصيدة لا يصدفه عن الالتفات إلى وجه من وجوه الضعف في بيت آخر من القصيدة ذاتها ، وربما دعاك ذلك إلى القول بأنه يميل إلى النقد الخزني كعادة نقادنا الأقدمين ، ولكنك سوف تلاحظ أنه يضع النقد الخزني في موضعه الذي يليق به ، ولا يبيني عليه أحكاماً عامة بالجودة أو الرداءة .

هذه الفقرة من تقديم أستاذنا الدكتور شكري عياد لكتاب « الشعر الحديث في الحجاز » للأستاذ عبد الرحيم أبو بكر ، هي النتيجة التي تفرج بها من قراءتك للكتاب ، والحقيقة أن الباحث قد التزم بمنهج واضح في دراسته بعمامة وللشعر بخاصة ، فهو يقدم الشاعر من خلال تكوينه الثقافي وخلفيته الاجتماعية ، ثم يعرض لنماذج من شعره غنارة تضع يدك على الخصائص الفنية المميزة له والدرجة الفنية للنصوص والقيمة التاريخية لها ومدى ارتباط الشعر بالبيئة التي عاش فيها الشاعر ومدى توفيقه فيما قال ، وما كان يريد أن يقول ، وما كان واجباً أن يقال ، ودراسته للشعر مع أنها تمثل جزءاً كبيراً في الكتاب إلا أنها قصيرة مركزة معطاء خالية من « مميزات » واتقوا بني بعيدة عن « أهملات » والتجيز والتبرير ، الأمر الذي يجعل القارئ مطمئناً إلى الأحكام التي يقرها اختلاصاً وصدقاً بصرف النظر عن جوانب الاتفاق والخلاف معه في الأحكام ،



★ عبد الرحيم أبو بكر، المؤلف ★



★ غلاف الكتاب ★

لدى الباحث أنها لا تكفي بتقديم التماذج بل تعتمد على التحليل والنقد للنصوص وردّها إلى أصولها ومؤثراتها التاريخية وخلفياتها البيئية وتذكر السات المميزة لها .

أما الشيخ عمر عبد السلام الداغستاني، فهو أشبه في كثير من جوانب حياته بسابقيه وقد اهتم بالترجمة لعاصريه ممن عاشوا في المدينة في كتابة «التحفة» الذي قصره على أربع فئات «الاشراف ثم العلماء ثم الخطباء» وأخيراً الأدباء» وينقد الباحث التماذج التي وردت في الكتاب من الشعر مبنياً درجتها الفنية وقيمتها التاريخية، كما يعرض لشعر هذا الشاعر من خلال نموذجين يثّلان الخصائص الفنية له .

والشاعر الثالث هو محمد أمين الزللي الخطيب وهو متأثر زمنياً عن سابقيه يتمتع معها في ظروف النشأة وتعدد المجالات التي نبغوا فيها إلا أن الزللي كان أقلهم شعراً وشعره في سبب الغزل والمدح ولم يعلل الباحث لفظة شعره الذي يظهر أنه كان كثيراً ضاع أغلبه لسبب كثرة أسفار الشاعر وعدم استقراره في مكان واحد وهو لا يختلف في خصائصه عن سابقيه وقد حلل الباحث شعره مبنياً جوانب ضعفه وما عرض من شعره يدل على تكلف في الصنعة وخضوع للقافية وتجاهل للتسلسل المنطقي في بناء الأبيات، لذا كان الباحث منصفاً لمادته حين وصفه بأنه «يتدفق إلى مستوى الأساليب اليومية» .

وتوصل الباحث إلى نتائج عن هذه الفترة تمثلت في :

- ١ - أن حياة الشعر والأدب في الحجاز، لم تمت في تلك الفترة كما يظن البعض .
- ٢ - أن القيمة التاريخية لتلك التماذج كبيرة خاصة في تاريخ حركة الأدب .
- ٣ - أنهم لم يكونوا أقل شأنًا من معاصريهم من الشعراء في البلاد العربية الأخرى بخاصة في مصر .
- ٤ - أن هؤلاء الشعراء يمثلون إلى حد ما أرهاصات النهضة الأدبية في الحجاز ودراسهم مع من جاءوا بعدهم أساسية في هذا الجانب . ويرى الأستاذ عبد القدوس الأنصاري أن هذه الأرهاصات ظهرت على يد شاعر واحد هو إبراهيم الأسكوبي إلا أن الباحث يخالفه في هذا الحصر ويرى أن هذه الأرهاصات تمثلت في ظهور الإحساس بالذات والوعي بدور الحجاز السياسي في تاريخ الأمة الإسلامية .

وفي الشعراء الذين سبقوا جيل النهضة والذين قدمهم الباحث وفي شعراء عاصروا الأسكوبي وسامحوا في بدء أرهاصات النهضة ومنهم عيد الجليلي يرادة المتوفي في أوائل هذا القرن، وقد عرض الباحث لآراء من سبقوه بالكتابة عنه ونجاوزهم بالوقوف عند مؤشرات سياسية وأدبية في حياة الشاعر تمثلت في :

- ١ - ابتعاده عن المقدمات التقليدية للفصائد وتناوله موضوعه مباشرة .
- ٢ - أشادته بمحدث سياسي كبير متصل بانتصارات العنانيين الخارجية .
- ٣ - معارضته لأبي تمام في رأيته في رثاء محمد بن حيد الطوسي ليس تقليداً بل محاولة لظهور البراعة والمقدرة على توليد معان جديدة من أفكار قديمة .
- ٤ - الاهتمام بالبديع الحالي من التكلف والنسجم مع موسيقى الأبيات وتسلسل الألفاظ .
- ٥ - التجديد في ديباجة الشعر والسمو بأسلوبه والانتقال بالشعر إلى المرحلة التي وصل بها البارودي في مصر بالشعر . ومنهم أيضاً الشاعر عبد الواحد الجوهري المتوفي عام

بفضية التطور .

● والعامل الرابع هو الشعور الوطني، الذي استيقظ وفكر في المصير ونشج عنه ظهور جماعة تحاول الاسهام في أمور البلاد .

● والعامل الخامس هو بروز ما سماه الباحث بالأدب الإقليمي، والذي كان نتاج تأثيرات وافدة من مصر والشام والمهجر، ذلك الأدب الذي كان ومضة في العهد الهاشمي، ثم توهج في العهد السعودي .

● العنصر الثالث المتمثل في الحياة العقلية، فقد تناول فيه الباحث التعليم والثقافة ووسائلها في العهود الثلاثة، حيث انحط التعليم في العهد العثماني إلى درجة تدريس النحو العربي باللغة التركية، ومع ذلك وجدت الثقافة العربية الحماية في التعليم في الحرمين الشريفين، وفي جهود التعليم الأهلي، الذي بدأ في بيوت علماء الحرمين أيضاً، إلى جانب بعض المدارس الأهلية التي أنشئت عن طريق التبرعات والإعانات الخيرية، مثل المدرسة الصولية في مكة المكرمة، ومدرسة العلوم الشرعية في المدينة المنورة، ثم مدارس الفلاح في جدة، حيث تخرج نخبة من المفكرين والأدباء من هذه المؤسسات العلمية الرائدة، أما في العهد الهاشمي، فع أن المدارس لم تزد بما يذكر، إلا أن التعليم - كما نقل الباحث عن الأستاذ عبد القدوس الأنصاري - قد انتقل من التركيبة إلى العربية، وقد تحكمت عوامل سياسية واقتصادية في بطنه حركة التعليم، ثم تناول التعليم في العهد السعودي حتى فترة نهاية دراسته ١٩٤٨م، كما تناول البحوث العلمية ودور الأندية والهاشال الأدبية في الأربعينات .

ويلاحظ أن التعليم قد حظي باهتمام الباحث أكثر من الصحافة على حين أن الجمعيات الأدبية في الأندية والتي تمثل انعكاس كل ما تقدم على الحياة الفكرية والأدبية، لم تحظ بما كان متوقفاً إذ لم يكتب عن ذلك سوى ستة عشر سطراً، كما تناول الباحث الحديث عن المكتبات في المدينة المنورة ومكة المكرمة، وتحدث عن الطباعة والصحافة ودورها في إحياء الحركة الفكرية والأدبية .

الشعر في العهد العثماني التركي

يبدأ الباحث في الباب الثاني بتقرير ضعف الشعر الحجازي قبيل النهضة وخفوت أنفاسه لولا بعض الجهود الصامدة، ويعلل ذلك بأن «البيئة كانت محرومة من العوامل القوية المساعدة على استئثار النبوض والتقدم وإذاعة روحها بين جيل هذا العهد بقوة» ، ولذلك انحصر النشاط الأدبي في النصوص الشعرية التي تمثل الصلة بين جيل القدماء والمعاصرين والتي بذلت بعض الجهود المتفرقة لتفديدها والترجمة لشعرائها وإن ظل أغلب ذلك الشعر مخطوطاً لم يقدم للقراء، ثم يترجم الباحث لشعراء هذا العهد بادئاً بالسيد جعفر البيهسي من شعراء القرن الثامن عشر وأشهر شعراء عصره، وهو من بيت علم وشرف في المدينة وكتب عنه الكثير وله كتاب في الثقافة العامة مؤلف بطريقة الأقدمين في جمع الشعر والترجمة والتاريخ والجغرافيا . الخ . ودبوانه مخطوط وأهم ما يميز شعره :

- ١ - الحرص على المقدمات التقليدية في الفصائد .
- ٢ - الاهتمام بالهشانت البلاغية من اقتباس وتضمين وجناس ومقابلة . الخ .
- ٣ - الانحصار على ما عرف من موضوعات الشعر القديمة كالمديح وغيره، وميزة هذه الدراسة



★ د. إبراهيم ناجي ★



★ الدكتور عبد القدوس الأحمري ★



★ د. محمد حسين هيكيل ★

وقد تضمنت هذه المجموعة شعر عشرين شاعراً في مختلف الأغراض والفنون ، وكتب مقدمته
الدكتور محمد حسين هيكيل .

(٣) مرحلة النشر في الصحافة الجديدة مثال « أم القرى » و « صوت الحجاز » ولم تطل المسافة
الزمنية بين هذه المرحلة وسابقتها .

(٤) مرحلة الدواوين الشعرية المطبوعة ، مثل ديوان « أحلام الربيع » سنة ١٩٤٦ م ، لظاهر
الزخشري « وأهوى والشباب » ١٩٤٧ م ، لأحمد عبد الغفور عطار « والسطاع » سنة
١٩٤٧ م ، لأحمد محمد جمال ، و « البسات الملونة » سنة ١٩٤٧ م ، لحسن القرشي .

ظهرت بعد ذلك عدة دواوين وعظم رصيد الشعر في الحجاز الذي تفرع بطبعة الحال في
أنجاهين أو تيارين بارزين هما تيار التقليد والمحافظة ، وتيار المآثرين والمجددين .

تيار التقليد والمحافظة

أهم خصائص هذا التيار والتي توصل الباحث إليها تتمثل في :

- (١) تناول الموضوعات القديمة من ملح ورناء وغيرها بل تخصص البعض في واحد منها .
 - (٢) افتقاد الوحدة الموضوعية في القصائد أو الوحدة العضوية .
 - (٣) اجترار معاني الأقدمين وترجيح أصداثهم وتضمين قصائدهم بعض أبياتهم .
 - (٤) الالتزام بالشكل البنائي القديم للقصيدة واختيار البحور الطويلة .
 - (٥) معارضة التذاهج القديمة وبعض الحديثة .
 - (٦) صياغة المضامين الشعرية الحديثة في أثواب قديمة .
 - (٧) بعد الأفكار والمعاني عن روح العصر إلا قياً ندر .
- وشعراء هذا التيار هم : أحمد الغزالي ، فؤاد شاكر ، محمد صبحي ،
عبد الوهاب آشي ، حسين سراج ، أحمد محمد جمال ، طاهر زخشري ، حسين
القرشي وغيرهم .

لم يتأثر الباحث في تناوله لموضوعات الشعر التقليدي بالأحكام النقدية المتداولة عن هذه
الفنون ، ولكنه أخضع شعر الحجاز التقليدي لدراسة نقدية تحت منبر معين يتمثل في البحث عن
أساليهم وما أضافوه من جديد في الصور والمعاني ومكانتهم في هذا الفن ، وقد طبق هذه المقاييس
على الشعراء الذين سبق أن ذكرناهم ، وقد خلص الباحث في فن المدح إلى نتائج تتمثل في :

- ١ - اختصار المدح على أولي الأمر .
- ٢ - لم يتجاوز شعر المدح لظاهرة شعر ثلاثة شعراء فقط ، أما الرثاء ، فلم يفرج عما عرف
قديماً من الصفات المضيئة على الموتي واستعمال التضمين واستلهم التراث ، وقد يتخلل الرثاء
أحياناً جوح إلى التامل العقلائي في اصطناع الحكم والمواعظ . أما الغزل فإن الإجابة فيه كان
حليف الجيل الثاني من شعراء الحجاز المعاصرين « الذين أولوا شعر الوجدان والعاطفة عناية تكاد
تقف بهم في صفوف نظرائهم من شعراء العرب المعاصرين » وبخاصة شعراء « مدرسة أبولو »
ومن هؤلاء « الغزالي » و « حسين سراج » من الجيل الأول ، وحسن القرشي وفؤاد شاكر وحسين
عرب من شعراء الجيل الثاني في الحجاز .

وتميز الفخر بالدعوة إلى التماسك وقوة اليأس في مواجهة الأحداث ، وهو فخر فيه اعتداد
بالنفس وقوة في الإرادة وهي بهذه المعاني لم تضاف جديداً .

أورد الباحث عنواناً صغيراً للمعارضات باعتبار أن هذه الزعة قد شكلت فناً شعرياً منفرداً
لدى المقلدين لا يختلف عن المدح والرثاء في رأي الباحث ، ومع ما أورد الأستاذ

١٨٩٣ م ، والذي قصر شعره على الغزل ، ولا يخفى أن هذا التخصص يمثل اتجاهًا صارياً في
جذور الشعر العربي على أرض الحجاز ، ويعرض الباحث لما كتب عن هذا الشاعر ناقداً ومقوماً
ويصف الشاعر بأن في شعره « صفة الظرف وخفة الظل والروح بسبب ميل الشاعر إلى هذه
الصفة » . ويعلل الباحث لاتجاه الشاعر وشعره بقوله :

« تحس أن هذا الشاعر مقبل على حياته بكل سعادة وشوق وحب للحياة وهو يحاول أن يصور
هذا الاتجاه في شعر مقبول بالنسبة لذلك العصر الذي كان فيه الشاعر أسير التشظيرات
والتحميمات ، وما إلى ذلك من أنواع الصناعة والمبت » .

أما الشيخ إبراهيم الأسكوي المتوفي سنة ١٩١٣ م ، فقد حظي بكثير من اهتمام معاصريه
ومن جاءوا بعده كما يقول الباحث فقد عرض لما كتب عنه ممنحه الذي اتبعه في مناقشة جميع
الأراء التي سبق إليها ومع ذلك يدل الباحث على أن الشعر الذي عرف للأسكوي لا يمثل كل
شعره بل جزء منه ، ومعنى هذا أن الأحكام التي يقرها الباحثون عن هذا الشاعر ليست شاملة أو
كاملة فضلاً عن أن تكون نهائية ، لأن ما لم ينشر من شعره ربما أعطى ملامح وسحات جديدة
خاصة وأن الباحث يقرر أن الشاعر الأسكوي كان على صلة ثقافية بالإنتاج الخارجي عن الحجاز ،
كما كان كثير الرحلات والصلات ، ولعلنا من خلال ما عرض الباحث نستطيع أن نقول إن
الشاعر الأسكوي كان يمثل زيادة الاتجاه الاصلاح في الشعر التقليدي في الحجاز ، مما جعله كثير
الاهتمام بقضايا عصره ومشكلات جيله في المجالات المختلفة .

وأخر من عرض لهم الباحث من شعراء هذا الجيل ، هو الشيخ محمد العمري المتوفي سنة
١٩٤٥ م ، وهو شاعر جد معاصر بالنسبة لمن سبقوه زمنياً ، إلا أنه فنياً قصر إنتاجه في أواخر
العهد العثماني الذي كان فيه من أصحاب الخطوة والقرى كما يقول الباحث ، وهو سبب إختياره له
مع حداثة مع شعراء جيل ما قبل النهضة وهو كشعراء جيله من العلماء غلب علم الفقه عليه إلا
أنه جرد شعره عن مؤثرات تخصصه ومصطلحاته الفقهية كما يقرر ذلك الأستاذ عبد القدوس
الأحمري فيما نقل الباحث عنه ، وقد شبه الأحمري « في جزالة الألفاظ وتدفق المعاني وعزوبة
البيان وبث الشكوى والأشجان والمساهمة في حوادث الأكوام » ، وهذه الكلمات هي التي أغرت
الباحث بدراسة شعر الشاعر الذي وجدته كما وصف به بل يعتبره أكثر شعراء عصره تحديداً في
المضمون ووضوحاً في الاتجاه السياسي وتميزاً بالوالب الشعرية فإذا كان للشاعر الأسكوي
فضل الريادة في الشعر السياسي وقضايا المصير فالشاعر العمري يمثل آخر
المعابر الشاعرة والقوية إلى عصر النهضة .

الشعر في عصر النهضة

في الباب الثالث تناول الشعر في عصر النهضة ، وتبدأ هذه الفترة بانتهاه الحرب العالمية
الأولى ، نتيجة للنشاط الأدبي الغلي لجيل جديد ذي تطلعات جديدة وأحلام كبيرة وطموحات
واضحة ، وظهرت معالم تلك النهضة خلال مسيرة الشعر في أربع معالم بارزة هي :

- (١) مرحلة مجموعة « أدب الحجاز » عام ١٩٢٦ م ، للشاعر محمد سرور الصبان الذي
أراد أن ينتقل بالشعر كما يقول الباحث من مرحلة التقليد والمحافظة إلى مرحلة الشخصية المسيرة
والإنتاج المستقل ، وكان هذا بداية ظهور تيار التجديد التي حل لواءها من بعده ، ويظهر اتجاه
الصبان للتجديد في قصائده الذاتية التأملية ، وقد خسر الشعر هذا الشاعر لتفكر به الوظيفة وإن
طل راعياً للحركة الأدبية ، وكان الشاعر « المواد » امتداداً لهذا الاتجاه في « خواطر مصرحة »
وتأملات في الأدب والحياة .

- (٢) مرحلة مجموعة « وحي الصحراء » في السنوات العشر التالية لما قبلها عام ١٩٣٧ م ،



★ نازك الملائكة ★



★ طاهر زعشري ★



★ محمد حسن عواد ★

« ثورة حب » .

٢ - تنوع القافية والتذييل بتفعيلة .

٣ - طريقة التوشيح الأندلسية التي تأثر بها عدد من الشعراء ، كأحمد جمال ، وإبراهيم فلاحي ، وعزيز ضياء ، وعمر عرب ، والقرشي ، وغيرهم .

٤ - الشعر الجديد الحر الذي نشأ في العراق ، بصرف النظر عن رواده المختلف فهم . وعن دور الحجاز في حركة الشعر الحر يرى الباحث أنه لولا إقليمية شعر الحجاز وانصراف النقاد العرب عن الاهتمام به لكانت قصيدة «خطوة الاتحاد» للشاعر محمد حسن عواد من أولى قصائد الشعر الحر في العالم العربي ، والسوانع أن الباحث لم يعطنا فكرة عن الفرق بين الشعر المرسل والشعر الجديد الحر وكلاهما كان «العواد» رائداً فيه حسب ما ذكر .

ثم يناقش الباحث مفهوم الشعر الحر عند نازك الملائكة وعز الدين إسماعيل ، بحيث يطبق هذه المفاهيم على قصيدة «العواد» التي تحمل من سمات الشعر الحر ، انحرافاً عن شكل البيت ذي الشطرين ، والحرية في تنوع التفعيلات وعدم الخضوع لنظام معين ، وحرية الحركة حتى داخل البحر الواحد ، ويخلص من ذلك إلى أن «العواد» يمكن أن يوضع في طلائع رواد التجديد والشعر الحر .

أما عزيز ضياء ، فلم يكن إلا متأثراً بالمهجرين في مزج النثر الشعري بأبيات من الشعر على حد قوله . ويحصر الباحث أهم ملامح التجديد في المضمون من :

●● اختلاف مفهوم الشعر ومهمة الشاعر عند المجددين .

●● تناول الموضوعات القديمة بحس جديد ونظرة جديدة كالمديح الذي سادت شخصية الشاعر تبدو فيه وتغيرت لغته الشعرية إلى المعاصرة والخلو من التشبيهات والصور والأخيلة القديمة وبدأ التأمل والتفكير في حقيقة الحياة والموت يغلب على شعر الرثاء . وتغير الشعر الوطني بالإقليمية وصندوق العاطفة الوطنية وظهر الاهتمام بالنواحي الاجتماعية ، ونقد المجتمع وتوجيه وعرض مشكلاته مما يشتر بطلائع الانحياز الواقعي في الشعر الحجازي كما يرى الباحث ، وكان من آثار التجديد والحركة الرومانسية ظهور الشعر الوجداني الذي اهتم به كثير من الشعراء في الجيل الثاني ، بصورون حرمانهم وأحلامهم وأنواع معاناتهم .

ويخلص الباحث في ختام بحثه إلى النتائج التي توصل إليها والتي تمثلت في :

١ - خفوت الملامح الشخصية للبيئة الحجازية في أدب تلك الفترة لأنها كانت فترة التكوين وبداية الوعي بالذات .

٢ - إن البيئة بخصوصياتها وخلقياتها الاجتماعية والفكرية والثقافية كانت عاملاً تأخر للحجاز عن اللحاق بالنبضة التي شملت البلاد العربية .

٣ - إن الشعر قد صمد لتلك الظروف العائقة عن النبضة والتطور مما جعل له قيمة كبيرة من الناحية التاريخية فضلاً عن الفنية .

٤ - إن أواخر العهد العثماني كان بدء إرهاصات النبضة الشعرية في الحجاز والاهتمام بالمضامين الجديدة ، والأفكار الحديثة والأحداث المعاصرة ، على يد شاعرين هما الأسكوبي والمعري .

٥ - إن ظهور انحياز التقليد والتجديد في بيئة الحجاز عقب الحرب العالمية الأولى كان أمراً طبيعياً إذ سارت حركة الشعر في اتجاهين متميزين لكل منهما دوره وصوته والحاجة إليه ليكونا في النهاية تراث الشعر الحديث في الحجاز .

عبد الرحيم من رأي في المعارضة الشعرية ، فإننا نستطيع أن نقول : إن هذه الظاهرة كما يعلم الباحث لم تكن كالظواهر الأخرى وقفاً على شعراء الحجاز بل كانت سمة أو مرحلة من مراحل تطور الشعر العربي الناهض في البلاد العربية كلها ، وقد مرت هذه الظاهرة بطورين :

● أولاً : طور التقليد ، وإعادة الصور والأفكار القديمة وقد لا تكون أكثر من اختزان الذاكرة للصور القديمة التي تعاد عند انفعالها بموقف أو موضوع ما .

● ثانياً : طور اظهار المنافسة ، ومحاولة سبق القدماء ومجاراتهم وتوليد صور جديدة من مخزونهما الشعري ، ومثل هذه المعارضات يجب ألا تختفي فيها شخصية الشاعر ومواهبه بحيث تكون واضحة مميزة معتمدة على إعادة الصياغة والتراكيب والصور والمعاني القديمة .

وكذلك أفرد الباحث للزعة الوطنية في الشعر عنواناً يجعلها فناً مستقلاً ، ولعل للباحث رأياً في هذا ، فهذه الزعة تجدها في شعر كل شاعر يحس بما حوله ، وقد تكون في قصيدة غزل أو مدح أو رثاء ، ولعل الباحث قد فطن إلى هذا فيبين أن الوطنية بمفهومها الإقليمي لم تكن معروفة بل كان الوطن العربي والإسلامي كله في نظرهم وطناً ، وهذه النظرة لم تكن في الحجاز فحسب ، بل في العالم العربي كله ، مما جعل شاعر السودان في هذه الفترة عبد الله عبد الرحمن يقول :

فليس سوى الإسلام من وطن لنا

ولا غير أهليه نعد صحابا

ومن هذه النظرة الشاملة لقضايا الأمة الإسلامية لدى الشعراء ، ظهر موضوع فلسطين كإدانة شعرية أخذت الوضوح والتفرد من خلال تقادم المشكلة وتطورها إلى اليوم .

الانحياز التجديدي

في الباب الرابع يتفق الباحث مع الدكتور أحمد هيكمل في تسمية هذا الانحياز بالانحياز الابتداعي ، وقد علل لظهور هذا التيار بعاملين :

● أولاً عوامل ذاتية ، حركتها بواعت حضارية ومفاهيم عصرية .

● ثانياً عوامل خارجية ، تمثلت في الثقافات الوافدة عربية كانت أو أجنبية ، ولم يكن التجديد وفقاً على مجال الشعر بل أدى إلى ظهور حركة نقدية نواكب حركة الشعر ، وثلثت في ظواهر كثيرة أشار الباحث إليها بالتفصيل .

ولا ينسى ذكر نيار دون الإشارة إلى الأستاذ محمد حسن عواد ، رائداً في هذا المجال بكتابه «خواطر مصرحة» ، و«تأملات في الأدب والحياة» ، ويصف الباحث دوره بشأنه دور مدرسة الديوان في مصر ، إذ يغلب على طقه تأثره بها إلى حد ما ، ويأتي محمد سرور الصبان لما سبق أن ذكرنا في ريادة هذا الانحياز ، ولم يكن العواد رائداً نظرياً للانحياز ، بل ترجم آراءه واقعاً في إنتاجه الشعري «أماس وأطلس» سنة ١٩٥٢م ، وفيما ظهر له بعد ذلك .

ولا شك أن حركة الشعر في الحجاز مثلها في البلدان الأخرى قد تأثرت بشعراء المهجر وأدباءه وبالحركة الأدبية في مصر ، خاصة الحركة الرومانسية ممثلة في علي محمود طه ، وإبراهيم ناجي ، ومدرسة أبولو ، ومدرسة الديوان ، على درجات متفاوتة من شاعر لآخر وهذا التأثير في نظر الباحث دليل الحيوية والمعاصرة ونتيجة العوامل البيئية المشتركة بين أبناء الأمة الواحدة . ويرى الباحث أن مظاهر التجديد قد تمثلت في :

١ - الشعر المرسل الذي يرى من رواده في الحجاز محمد حسن عواد في قصيدته



الفيلسوف الإنجليزي

- ★ الرسم ، متخذاً الطبيعة موضوعاً حياً له .
- ★ قضى سنوات قاسية بعد وفاة والده .. وبعد السمار الذي تركته الحرب التي نشبت عام (١٨٧٠م) ، وكان لهذا تأثير كبير عليه .
- ★ أصيب بسلطان المخزرة (١٨٩٩م) ، وتوفي في عزلة قاسية .. وكان في فترة مرضه لا يظهر اصلاً ولا يلتقي إلا ببعض الفنانين انقدامي . زملائه في رحلة الإبداع والانطلاق إلى الطبيعة مثل «زنوار» و«يسارو» و«مونية» .
- ★ من مواليد أكتوبر / تشرين الأول (١٨٣٩م) ، بياريس .
- ★ ولد من أبوين بريطانيين .
- ★ في الثامنة عشرة من عمره ، أرسله والده إلى لندن ليتابع دراسة «تجارية» حسب تخطيط والده .
- ★ في معمل الرسام الشهير «غليير» ، التقى بطالين .. هما «مونية» و«زنوار» اللذين أصبحا أشهر رسامي عصرهما .
- ★ ثم ترك المعمل ، والمجهد ، لممارسة فن

الفن

- مدخل إلى أسلوب الفنان
- ★ لقد وجد الفنان ، أن أسلوب الرسم داخل «الأستديو» والجدران ، يحجب عنه الضوء المتحرك في الطبيعة ، ويعمله عصوراً داخل دائرة الضوء الصناعية التي يشارك فيها الإنسان ، الطبيعة .
- فالنضوء ، ذلك الشيء الملموس الذي يعطي للأجسام الواحدة ، أشكالاً مختلفة كلما تحرك في أي اتجاه .. ومن هذا المنطلق ، كانت فكرة خروج الفنان إلى الطبيعة ، والانطلاق مع زميليه «مونية» و«زنوار» نحو ذلك الهدف ، في محاولة تسجيل الظلال في لحظتها ، حيث لا تستقر الطبيعة على حال فهي في تحرك دائم ، بالوانها وظلالها
- ★ اللوحة :
- في ظل الطبيعة ، حاول «سيريل» في لوحته هذه أن يعبر عن منظر الثلوج وهي تتحرك على أسطح المنازل وعلى قمم الأشجار ، حيث نراه قد سجل باللون أشجاره بعد أن استشقت عير الرياح الثلجية ، وتطلعت بأعناقها في سعادة ، في انتظار الضوء الذي سوف يأتي بعد قليل ، فقد أمطرت ، وسوف يتبدل الحال
- ★ الألوان :
- تميل إلى «الرماديات» الهادئة ، مع اخضرار خفيف ، حيث بدأت الغيوم في الرجل بعد صمت المطر .. والأفق قد تلون باللون الوردي الخفيف ، وكأنه عروس قد تزيت في يوم فرحها

تأني على «لوفانسين» (١٨٧٤م)



رحلة في عقل الطفل العربي



بمناسبة
عام
الطفل

بقلم: عبد البديع عبد الله



★ برامج الأطفال على الشاشة الصغيرة. تمثل دوراً في إلقاء شخصية الطفل ★

الكبار والصغار ، للتفاوت الشديد بين عقلية الكبار وعقلية الطفل . في هذه المرحلة يحاول كل طرف أن يفرض إرادته على الطرف الآخر حيناً باللين ، وحيناً بالعنف . فكما يستخدم الكبار العنف يستخدم الصغار العنف كذلك ، ولكل طريقته . الكبار يضربون والصغار يفضبون ويكونون ويتلفون الأشياء المحيطة بهم احتجاجاً على سلوك الكبار تجاههم . وأبسط مثال على ذلك كسر الكوب أو الزهرية ، وإن كانت في ظروف أخرى يمكن أن يكون لها مغزى آخر غير الاحتجاج والغضب ، هو الاكتشاف مثلاً .

مناهج لا تقترب من عقل الطفل

وللمساعدة على إقامة حوار مفيد بين الكبار والصغار ، هدفه أساساً الأخذ بيد الصغار ، ظهرت عدة مجالات لمعاونتهم على اجتياز طفولة سعيدة كإنشاء دور الحضانة والأمومة ، وتأليف كتب مبسطة وحكايات مصورة تتناسب مع أعمارهم . وتقدم بعض التماذج الفنية المفيدة والمحبة إليهم كأفلام الكرتون والرسوم المتحركة ذات الشخصيات المثيرة لخيالهم ، وإنشاء مسرح خاص بالأطفال هو مسرح العرائس . هذا بالإضافة إلى

لا شك أن الكتابة عن الطفل من أصعب مجالات الكتابة على الإطلاق ، فموضوعاتها متشعبة وشديدة التداخل ، كما أن فهم دوافع الطفل وسلوكه ، وما يدور في ذهنه ، وتفسير تصرفاته أمر شبه مستحيل . وتقوم محاولات تفهم سلوك الطفل ودوافعه على اجتهادات الباحثين سواء في مجال النشاط الاجتماعي أو علم النفس . وهي محاولات تقوم على إجراء أبحاث متنوعة لاستبيان دوافع السلوك عند الطفل ، والخروج منها بنظريات عامة ، وإن كانت غير مطلقة ، لأنها تضع في نصابها النهائية اعتباراً كبيراً للظروف المتنوعة والمتباينة التي ينشأ فيها الطفل من بيئة واجتماعية وحضارية وجنسية ، بل ومنها ما يتعلق بطبيعة الجو وتضاريس المكان .

وإذا كانت محاولة فهم سلوك الطفل ودوافعه ليست سهلة على الإطلاق ، فالتعامل مع الطفل لن يكون كذلك من الأمور الميسورة ، ما لم يجد المهتم بتفسير سلوك الطفل وسائل وأفكار خاصة يجتهد في استكشافها بنفس المعاناة التي يمر بها الطفل أثناء اكتشافه عالمه الخاص والعالم المحيط به .

ولعل المرحلة التي تبدأ من السنة الثالثة لميلاد الطفل إلى السنة السابعة منه ، تعد من أشق مراحل التعامل المتبادل بين

●● ماذا قدم الأدب للطفل.. ولماذا يتجنب الأدباء الكتابة للطفل؟

●●● البحث عن حلول لمشكلات الطفل العربي!



★ اللعب من الأشياء التي تنمي مدارك الأطفال ★

بالضيق ولذلك تنتج عنه تصرفات تبدو عدوانية أو غير سليمة ويبدأ الآباء محاولاتهم لتقويم الطفل باللين في البداية ثم يتطور الأمر إلى استخدام العنف الذي يؤدي إلى سوء التفاهم ونشوء العقد التي قد تمتد أثرها إلى ما بعد الطفولة بكثير.

ويلجأ الآباء أحياناً إلى الحل المتاح أمامهم بإخراج أطفالهم للعب مع رفاقهم في الشارع أو الحارة أو أخذهم إلى المتنزهات العامة إن وجدت . وخطورة هذا الحل أنه يترك الطفل معلقاً دائماً بين التوفيق والإخفاق سواء في اختيار رفاقه أو في الاستفادة منهم ذهنياً ونفسياً ، كما أنه يضعف من تأثير الوالدين عليه بقدر ما يكسب البيئة الخارجية الجديدة تأثيرها عليه .

مشكلة الثقافة عند الوالدين

ومن المعروف أن الطفل في هذه المرحلة من العمر يكون محباً للاستطلاع كثير الأسئلة والاستفسار ، كما أنه يطلب إجابات واضحة بحيث إنه يستطيع أن يعيد السؤال بطريقة أخرى إذا أدرك أن أحد والديه لم يجب على سؤاله إجابة مفهومة . كما أنه يكون قادراً على التسلسل المنطقي مع من يحاوره

ابتكار أنواع كثيرة من لعب الأطفال ذات الفائدة الكبيرة أحياناً ، وطبع الأسطوانات والتسجيلات الخاصة بهم .

مشكلات يعاني منها الطفل

ومع ذلك ، هناك الكثير من الأمور التي يعاني منها الطفل في البلاد العربية بشكل خاص وتحتاج من المهتمين بشؤونه إلى عناية خاصة . وربما تبدو بعض المسائل المطروحة عديمة القيمة أو غير ذات تأثير ، ولكن البحث أثبت في كثير من الحالات أهمية النظر إليها بشكل جاد . وأول مشكلة يواجهها الطفل في هذه المرحلة من عمره « من الثالثة إلى السابعة » هي ضيق البيت وعدم وجود غرفة خاصة بالطفل في الكثير من الحالات . ومن المعروف أن معظم البلاد العربية التي تتمتع بكثافة سكانية عالية (مصر ، سوريا ، الأردن . مثلاً) تتكون الأسرة فيها من ثلاثة أبناء في المتوسط يعيشون مع ذويهم في بيت يتكون من ثلاث غرف .

وضيق البيت يحد من نشاط الطفل ورغبته في الحركة والإحساس بالتملك كان نكون له غرفة خاصة ، كما أن له لعبة خاصة مثلاً . والطفل يشعر



مشكلة الأطفال الجانحين

إلى أن يصل إلى معرفة ما يريد معرفته . وكثيراً ما يصاب الآباء بالدهشة من غرابة الأسئلة التي يطرحها الطفل عليهم ، وأحياناً يرفقون في الإجابة وأحياناً يستخدمون لباقتهم للخروج من المأزق الذي وضعهم فيه صغيرهم . والغريب أن الطفل لا يكف عن مطاردتهم بالتساؤلات حتى يصل إلى مرحلة الإنهاك . والسبب أن الطفل يسأل عن كل شيء ويتحير إن والديه يعبر فإن كل شيء، وربما كان مخصصاً لأحدهما بعيداً عن موضوع السؤال فيحاول الهرب منه . هذا إذا كان الآباء مثقفين ، أما إذا كانوا محدودي الثقافة فإن الطفل كثيراً ما يعاني لتحصيل معرفته . فهو لا يسمع إجابة شافية ، وقد يقابل سؤاله بالزجر والنهر مما يكون له أسوأ الأثر على تكوينه النفسي فيما بعد ، وقد ينتهي به الحال إلى الإنطواء والانعزال والميل إلى الصمت والتردد في التعامل والخوف من الناس ، وكثير من الآباء يشعرون بالخروج إذا سأل الطفل مثلاً : كيف ولدت يا أبي أو يا أمي ؟ وعلى الرغم من أن الآباء يستخدمون الكياسة في الإجابة على مثل هذه التساؤلات ، يجد الطفل نفسه غير مقتنع بما قيل له فيعيد السؤال بشكل آخر : ومن ولدك يا أمي ؟ أو كيف أصبحت كبيرة هكذا ؟ وإذا وجد الطفل استجابة وتساهلاً من والديه أو أحدهما فإنه يتتبع التطور الطبيعي لسؤاله إلى أن يصل إلى السؤال عن سر الوجود . . . إذن كيف وجدت الدنيا . . فنقول إن الله أوجدها فيستمر الطفل في تساؤله . وتكون حيرة الطفل شديدة إن لم يجد استجابة من والديه ، وتكون كذلك بداية معاناته .

مشكلة الأطفال المعوقين

ولا تقتصر المشكلات التي يعاني منها الأطفال على ما يمكن أن يدخل تحت صفة « النمو الطبيعي لعقلية الطفل » ، فهناك مشكلات أخرى ترتبط بسوء مستوى الخدمات التي تقدم لنوعيات أخرى هي ما اصطلح على تسميته « الأطفال المعوقين » ، أو أولئك الذين حرّموا من القدرات الطبيعية للطفل كالتخلف العقلي أو الإصابة بأمراض مزمنة كشلل الأطفال أو العمى أو الصمم مثلاً . وعلى الرغم من أن الدول المتقدمة التي يعاني بعض أطفالها من مثل هذه المعوقات ، استطاعت أن تجد الحلول التعويضية التي تقدمها لهم بشكل مركز بعد تجميعهم في مراكز تأهيل في كل مدينة كبرى على الأقل . ويقوم المسؤولون عن تلك المراكز بإعداد برامج جادة تحت رعاية فريق هائل من الأطباء والباحثين وعلماء النفس ، ويكون الهدف النهائي لهذه البرامج تدريب الأطفال على البديل المناسب للجانب المفقود عندهم ، والمعالجة النفسية التي تنتهي إلى قبول الطفل لحالته الخاصة دون أن يتألمه أدنى إحساس بالنقص تجاه نفسه أو أقرانه . كما أن الطفل الذي انتهى من مرحلة التأهيل وأصبح قادراً على الخروج إلى المجتمع الكبير لا يكون بحاجة إلى مساعدة الآخرين أو تقبل نظرات الإشفاق والعطف ، فهو يستطيع أن يركب « الأوتوبس » ويقود سيارته الخاصة ويمارس بعض الألوان الرياضية المناسبة .

وفي بلادنا العربية هناك مراكز تأهيل ، وهناك اهتمام بسرعة رعاية الأطفال المعوقين ولكن هذا الاهتمام ما زال يسير في خطواته الأولى نظراً لقصور الإمكانيات المادية في بعض البلدان وقصور الخبرات المتخصصة في هذا المجال وفي بعضها الآخر ولا بد من أن تنال هذه المراكز رعاية خاصة لتتمكن من تأدية رسالتها الجليلة في جعل المجتمع مجتمعاً بلا عقد .

وتتمثل خطورة جنوح الأطفال في عنصرين اثنين :
 ● أولهما أن جنوح الطفل دليل على فساد البيئة التي يعيش فيها سواء كانت الأسرة أو المجتمع .
 ● وثانيهما أن جنوح الطفل يمثل فيما يمثل خسارة الوطن لقطعة من المستقبل يمثلها الطفل أو المجموعة الجانحة .
 ويعود السبب في جنوح الأطفال إلى عوامل كثيرة تختلف باختلاف الظروف الخاصة بكل مجتمع ، وإن كان علماء النفس يركزون الاهتمام بالعامل الاقتصادي ، الذي يعبر عنه عجز الآباء في بعض المجتمعات عن تلبية احتياجات أبنائهم أو الحد الأدنى منها ، فيجد الطفل الحل البديل وهو السرقة مثلاً ، أو العنف في تعامله مع أقرانه . ولكن العامل الاقتصادي الذي يهتم به الكثير من الباحثين في دوافع السلوك عند الطفل ، قد لا يكون على هذه الأهمية التي سبقت الإشارة إليها . ذلك أن جنوح الأطفال إنما يكون أساساً لعب كامن في البيت ، والبيت هو الدعامة الأولى الأساسية في تكوين شخصية الطفل وسلوكه ، فإذا نشأ الطفل في بيت بلا قيم ، بيت لا يستنكر الشر ويقبحه ، بيت لا يفرق بين الحق والباطل ، والخير والشر ، بيت لا تعرف الفضيلة مكانها بين أفرادها ، فكيف يكون طفلاً سوياً ؟ إنه بلا شك سيبدأ - وبدون وعي - الطريق إلى السقوط . وهنا لا بد من التذكير بأهمية غرس القيم الدينية في قلب الطفل منذ حداثة أظفاره ، فهي العاصم الذي يصونه من الزلل إذا خرج من مجتمعه الصغير أو الأسرة إلى المجتمع الكبير في المدرسة والشارع والنادي . كما يجب دعم الإصلاحات ومراكز العلاج النفسي ، مادياً وثقافياً ، باختيار نوعيات خاصة من الإصلاحيين المؤهلين لتأدية هذا الدور الخطير .

ماذا قدمنا للأطفال ؟



★ .. والكتب تفتح لهم مجالات من المعرفة والتعرف على العالم من حولهم ★

قصص الخيوان

وتمثل القصص التي تحكى على لسان الحيوانات القاسم المشترك الأعظم في مجموع القصص التي تقدم للأطفال باللغة العربية ، وهي تقدم نماذج من حياة الحيوان وطبيعة العلاقات بين أنواعها المختلفة ، ومحاولات التكيف بين بعضها والبعض الآخر ، وبينها وبين البيئة المشتركة التي تتعايش فيها ، وسلوك ضعاف الحيوانات للنجاة والسلامة من سادة الغابة وكبارها ، ومحاولات الحيوانات الكبيرة للقمص .. الخ .

هي حكايات تستهدف التعليم والتوجيه وإعطاء المثل على حب الجماعة أو التصرف في المواقف الحرجة ، فضلاً عن التثقيف وتوسيع مدارك الطفل بإطلاعهم على المخلوقات الأخرى التي تعيش معه على هذا الكوكب .

كليلة ودمنة

ولعل هذا الانحياز في التوجيه والاهتمام للأطفال لا يمثل اكتشافاً حديثاً ، فهو يضرب بجذوره في الماضي السحيق حتى يصل إلى القرن الهجري الثاني وبدايات القرن الهجري الثالث ، عندما قدم عبد الله بن المقفع كتابه الممتع «كليلة ودمنة» الذي ترجمه عن الفارسية ، ويقال إن أصل الكتاب هندي كتبه أحد حكماء الهند ، لا للأطفال ، ولكن للكبار من الولاة والحكام بالشكل الذي كان يمكن أن يكون مقبولا في عهده ، وهو القصص على لسان الحيوان .

وسواء كان الكتاب للكبار ، أو للكبار والصغار ، فإن كليلة ودمنة ، إنما حكى قصص الحيوان وفقاً للطبيعة التي تتميز بها الحيوان ، ولم يفرض على الحيوان طبيعة البشر ، وهي نقطة خلافية بين كليلة ودمنة وعظم ما يقدم الآن من حكايات على لسان الحيوان .

القرود وبائع الطرايش

ولتوضيح الفرق بين استلهاهم طبيعة الحيوان ، وفرض سلوك البشر على نماذج حيوانية نسوق مثلين :

هناك الكثير من الآباء ينظرون إلى أطفالهم على أنهم رجال صغار أو نساء صغيرات ، وربما تكون هذه النظرة أسوأ ما يسقط فيه الكبار لأنهم لن يستطيعوا بواسطتها أن يقيموا جسراً من التفاهم بينهم وبين صغارهم ، كما أنهم يزدون الشقة حفرأ ، فالطفل عالم مستقل والطفولة مرحلة مختلفة تماماً عن الشباب والرجولة ، وقد اكتشف الباحثون والأدباء وعلماء نفس الطفل هذه الحقائق وبدأت مرحلة التعامل الجديدة على أساسها ، فقدموا للطفل الكثير .. القصص المصورة والمجسمة والموسيقية ، الأفلام والرسوم المتحركة ، ومسرح العرائس ، والأساطوانات الخاصة بالأطفال ، وتتضمن الأغاني والقصص المسموعة والموسيقى ، الألعاب المتنوعة ، التي تبدأ بالألعاب اليدوية البسيطة وتنتهي بالألعاب الذهنية كالمكعبات والمعماري والميكانيكي وغيرها من الألعاب التي تستهدف تنمية قدرات الطفل وتوسيع مداركه . وهذه الأشياء تنتج بعد دراسات دقيقة يقوم بها المتخصصون لمعرفة جدواها من ناحية وتأثيرها الإيجابي أو السلبي من ناحية أخرى .

أدب الطفل

وإذا تتبعنا مسار الاهتمام بالطفل في بلادنا العربية نجد أنه يتمثل بالإضافة إلى الجوانب التي سبقت الإشارة إليها سواء لرعاية الأطفال المعوقين في مراكز التأهيل ، أو الأطفال الطبيعيين في دور الحضانه والأمومة أو الأطفال الجائعين في مراكز الرعاية والإصلاحات ، نجد أن الاهتمام بتأليف أدب خاص للأطفال كان من أهم ما تميز به الاهتمام بالطفل والطفولة . وقد كانت هناك محاولات رائدة في هذا المجال قدمها «كامل الكيلاني» ، ولكن هذه المحاولات التي تمثل البدايات المعقولة لأدب الأطفال لم تستمر بعد الكيلاني لأسباب كثيرة تحتاج حديثاً منفصلاً . كما أن العديد من دور النشر في معظم البلاد العربية قد ساهمت في إثراء الطفل بمجموعات كثيرة من الكتب ذات الإخراج الجيد ، ومع ذلك يحتاج الأمر إلى نظرة فاحصة تضع في الاعتبار ما هو موجود بالفعل من إنتاج ، وما يجب أن يكون موجوداً . ما نقدمه لأطفالنا ، وما يقدمه غيرنا لأطفالهم لنصل في النهاية إلى رؤية سليمة لموقفنا على خريطة الاهتمام والمهتمين بأمور الطفل في العالم ، ونستدرك سلبياتنا في هذا المجال ، وتطور إيجابياتنا فيه .





★ طفل في لحظة شروق ★

تسليّة الطفل وتوسيع مداركه بإعطائه فرصة أرحب للمعرفة . وإذا كان العالم الواقعي مهما اتسع محدود ، فعالم الخيال لا حدود له ، وهذا رأي معقول ومفيد لولا أن وسائله التي يقدم من خلالها إلى أطفالنا غير مفيدة إن لم تكن ضارة . ولكي نعرف الفرق بين ما يقدم لأطفالنا وما يقدم لأطفالنا غيرنا في اللغات الأوروبية نسوق بعض النماذج التي تحدد الفرق بين نظرتنا إلى الطفل ونظرتهم إليه ، وبين ما نقدمه لأطفالنا ، وما يقدمونه لأطفالهم . **أول هذه الفروق أن المسؤولين عن تثقيف الطفل هناك يقدمون له القصص الواقعية التعليمية . . كيف نأكل ، كيف تجلس على المائدة ، كيف تمسك الشوكة والسكين ، كيف تتعامل مع الحيوانات المنزلية كالقط والكلب ، كيف تتعامل مع الأثاث في بيتك . . . الخ ، هذه القصص التعليمية التي تعطي الطفل الإحساس الحضاري والإنماء للبيئة التي يعيش فيها .**

وثاني هذه الفروق أن ما يقدم له من قصص تخيلية يقوم أساساً على غرس فكرة المغامرة في نفس الطفل ابتداء من المغامرات البسيطة ، كرحلة في بحيرة يكتشف فيها الأسماك والحيوانات البحرية ، أو رحلة في نهر أو زيارة حديقة أو أثر هام . . إلى جانب المغامرات الكبيرة التي يكون هدفها غرس الشجاعة في الطفل كالترجل على الجليد أو الماء ، والرياضة الصعبة كالقفز على الحصان وتسلق الجبال ، أو الرحلات في الأماكن الوعرة كالسفر في الصحراء أو في أعالي البحار واكتشاف بلاد أخرى وشعوب مختلفة .

وهناك اتجاه آخر يرمي إلى توسيع مدارك الطفل بتعريفه بالعالم الذي يعيش فيه بكتابات مصورة ومبسطة . وأصحاب هذا الرأي يفضلون الحقائق العلمية على الخيال ويرون أن الواقع أروع من التخيل . وفي هذا الاتجاه نجد كتب ذات إخراج جميل عن عالم البحار والمخلوقات التي تعيش فيه وأنواعها في إطار مشوق جميل . أو الغابات في العالم ابتداء من إفريقيا إلى آسيا وأوروبا والأمريكتين ، وحيوانات القطب الشمالي . وما لا شك فيه أن اطلاع الطفل على هذه المعلومات الفياضة يؤدي دوره في تنمية معارفه ويعطيه القدرة على إدراك وجوده وموقعه من العالم بشكل ما ، بالإضافة إلى أنه يجعله يقف على أرضية صلبة أساسها «المعرفة» لا «الوهم» ، ونحن بحاجة إلى تضافر الجهود في سبيل تحقيق هذا الهدف النبيل وهو أن الطفولة الصحيحة هي أقصر الطرق لمستقبل سعيد . وإذا كانت المهمة صعبة وتحتاج إلى جيش من الباحثين والعلماء ، فإن الهيئات الإقليمية المتفرعة من منظمة «اليونسكو» أو «الجامعة العربية» ، يمكن أن تبني الاهتمام والتحويل لمثل هذه المشروعات الهامة الضخمة ، فنضمن بذلك أن عقول العلماء والباحثين العرب ، كل العرب ، تفيد أطفال العرب . . كل العرب .

● **أولهما :** يبين النقط الأول في الكتابة وهو تلك الحكاية الشهيرة عن بائع الطرابيش الذي ذهب ليستريح تحت شجرة الجوز فأغنى إغناء قصيرة استيقظ بعدها فلم يجد طرابيشه إذ كان بأعلى الشجرة مجموعة من القردة أعجبها الطربوش الذي يضعه البائع على رأسه فهبطت إلى طرابيشه وأخذ كل قرد طربوشاً وصعد فوق الشجرة . ولم يجد البائع حلاً سوى الاستعانة بخبرته في معرفة طبيعة القردة ، فخلع طربوشه وأومهم أنه يرميهم به ، فخلع بالتالي كل قرد طربوشه ورمى به بائع الطرابيش . هكذا استطاع الرجل أن يستعيد طرابيشه ويرحل .

وما يمكن أن نأخذه من هذه القصة كثير فهو يطلعنا على حقيقة سلوك القردة وميلهم إلى التقليد ، بحيث أن ما فعلته بالطرابيش يتمشى مع طبيعتها ، كما أن استرداد الطرابيش قد تم بطريقة مقنعة وطبيعية . هذا بالإضافة إلى ما تحمله القصة من تسليّة وتثقيف بشكل غير خطابي أو مباشر .

● **أما المثل الثاني** وهو الذي يمثل محاولات غير موفقة لفرض سلوك البشر على نماذج حيوانية فيمكن أن يدل عليه تلك القصة التي تصور مجتمعاً حيوانياً في مزرعة يتكون من كلب وبطة ودجاجة وقط . وقد أراد الأصدقاء الثلاثة أن يحتفلوا بعيد ميلاد صديقهم الرابع «الكلب» ، وبدأ كل حيوان يعرض وجهة نظره في طريقة الاحتفال ، واتفقوا أخيراً على اقتراح الدجاجة الذي يقضي بعمل قالب حلوى يضعون فيه الشموع ليطفئها الكلب في ليلة عيد ميلاده .

وعلى الرغم مما قد تحمله الحكاية من دلالة رمزية ترمي إلى تنمية روح التعاون ، وحب الجماعة والأصدقاء ، تبقى فكرة فرض سلوك البشر على الحيوان مسيطرة ، ذلك أن الحيوانات لا تحتفل بعيد ميلادها ، كما أن عمل الحلوى ليس من وظائف الحيوان . وهكذا نجد أننا قدنا للطفل معلومات خاطئة في مرحلة ينطبع فيها على ذهنه كل ما يقدم إليه من معلومات يصعب تغييرها أو عموها فيما بعد .

قصص الساحرات

وهناك نموذج آخر من القصص التي تقدم للأطفال باللغة العربية هي **قصص الساحرات** اللاتي يعشن بعيداً عن عالمنا ويمكنهن الحضور في أي وقت وعلى أية هيئة لا يذأ الأطفال الذين لا يسمعون كلام آبائهم . فتارة تنقص الساحرة هيئة طائر جميل ، وتارة تنقص هيئة عجوز حكيم ، وتارة تأخذ شكلاً غيفاً . ومن قدرات على فعل الكثير من الأمور مهما كان صعباً بأذن جهدهم . هذه القصص التي يمكن أن تدخل تحت ما يسمى «القصص الخرافية» تؤدي دوراً عكسياً تماماً ، وتضر بعقلية الطفل ضرراً بالغاً . فهي تقدم له معلومات خاطئة وغير ممكنة التحقيق ، كما أنها تجعل الطفل يعيش في عالم وهمي بعيد كل البعد عما يعد له في مستقبله ، وكذلك تبعث في الطفل الخوف الذي يؤدي إلى الجبن نتيجة ذوبان الأشياء والمخلوقات وضباب ملامحها المتميزة . فإذا رأى طائراً لن يستطيع أن يعرف إن كان حقيقياً أو مسحوراً ، وهذه تولد بالتالي الريبة والشك فما يراه من حوله . وقد ينمو هذا الإحساس الخطير في نفسه ، وقد يصاحبه في مستقبل حياته .

أهمية التخيل ومساوئه

ومن المعروف أن معظم الأنماط التي سبقت الإشارة إليها من حكايات على لسان الحيوان أو قصص السحرة والقصص الخرافية بشكل عام ، إنما ترمي إلى

من البلورة المسحورة إلى الشاشة الساحرة

ربما يكون طفل اليوم يعيش طفولة أزهى من طفل الأمس بفضل المعطيات الترفيهية الكثيرة التي سبقت الإشارة إلى بعضها ، ونضيف إليها الآن الشاشة الساحرة أو التلفزيون ، ولا شك أن الصورة المتحركة الملونة ، والإمكانات الفائقة التي تتيحها البرامج التلفزيونية المتنوعة تنقل للطفل كل ما يمكن نقله بالكاميرا التسجيلية والإبداعية وتشد انتباه الطفل ساعات طويلة .

بينما كان طفل الأمس يعيش في عصر «القرجوز» أو «الأراجوز» ، وخيال الظل ، وصندوق الدنيا والبلورة المسحورة ، وهي وسائل متواضعة إذا قيست بوسائل العصر من سينما وتلفزيون . كما أنها تعتمد على مجهودات شخصية لأفراد ذوي ثقافة محدودة . ولا شك أن البطل في عصر صندوق الدنيا والبلورة المسحورة ، وهو بطل الملاحم الشعبية مثل «أبو زيد الهلالي» و«عنترة» و«الزنانة خليفة» ، كان يعطي للطفل غملاً واحداً للبطولة هو البطولة العسكرية التي تقوم على قوة بطل الملحمة وقدراته الحارقة . أما البطولة في العصر الحديث فإنها تتنوع بتنوع الموضوعات والمجالات المختلفة للتصوير . ومع ذلك فإن وسائل الترفيه في العصور الحالية كانت تقدم للطفل في جرعات محدودة ، وعلى فترات متباعدة فتعطي للطفل الفرصة لاستيعاب ما رآه على عكس ما يقدم الآن فالبرامج متتابعة ومشوقة إلى درجة أن الطفل يظل مسلوب الإرادة طوال فترات الإرسال تقريباً فيما عدا ما يقدم من برامج قد لا تكون جذابة أو مشوقة إليه .

أثر التلفزيون على الطفل

وتمثل خطورة التلفزيون على الطفل في عدة نقاط ، ولكن أخطر ما يمثله التلفزيون هو أن الآباء كثيراً ما يشعرون بالراحة والرضا من بعد أطفالهم عن مشاكلهم وانشغالهم بمشاهدة برامج التلفزيون . وعلى الآباء أن يدركوا أن انصراف أطفالهم إلى رؤية البرامج باستمرار يؤدي إلى استلاب بقدرة اتهم . الأخذ بحرص شديد في إشباع سلميقي .

وللتلفزيون مساوئ أخرى إذا أسئ اختار البرامج الموجهة للأطفال ، ولا جدال في أن واضع خريطة البرامج التلفزيونية يكون دائماً في موقف حرج لأنه يسعى إلى إرضاء المشاهدين على اختلاف أعمارهم ومشاربهم . كما أن عدم الاهتمام بتحديد مواعيد مبكرة للنوم عند الأطفال يجعلهم يشاهدون برامج وأفلام قد لا تكون مناسبة لأعمارهم .

ولكننا نتحدث عن التلفزيون في إطار ما يقدمه للأطفال ، ومن المعروف أن الطفل يمتثل لما يراه على الشاشة الصغيرة ، وخاصة فيما يتعلق بأفلام الأبطال ، وكثيراً ما تحرق الأخطار بالأطفال لأنهم لم يعرفوا الحدود الدقيقة بين الخيال والواقع ، ولم يعرفوا مقدار الخيال فيما يقدم لهم ومقدار الواقع فيه ، ولناخذ مثلاً مما يقدمه التلفزيون ، أحدها للأطفال ، والآخر للكبار ، وإن كان أكثر من يشاهد من الأطفال كذلك . الأول هو مسلسلات «كنج كونج» والآخر «رجل الستة ملايين دولار» . والطفل يسأل كثيراً ويقارن ويطلب إجابات لما يراه . كيف يحمل «كنج كونج» الجسر ببديه ؟ كيف يرفع السفينة ؟ كيف يقفز «ستيف أوستن» هذه المسافات العالية ؟ أيها أقوى .. «كنج كونج» أم «ستيف أوستن» . أسئلة كثيرة يطرحها الطفل ويبحث عن إجاباتها ، وهذا من حقه . فإن وجد من يحسن الإجابة قنع وإن لم يجده راح

يبحث بنفسه عنها ، وقد يقوده البحث إلى تمثيل نمطه المحب فيقع في المحذور ويتعرض للخطر . وفي هذا الصدد يجب ألا يكتفي المسؤولون عن التلفزيون بتقديم الأفلام والبرامج ، وإنما يتعين عليهم أن يفهموا الأطفال أن ما يروه غير حقيقي ، إما في ندوات توجيهية أو بصياغة خاصة لبرامج الأطفال .

أفلام الرعب

وعلى الرغم من أن بعض الأبحاث التي قامت على الاستقراء قد أظهرت أن الكثير من البرامج لا ينفذ ولا يضر إلا أن الثابت عكس ذلك تماماً . فإذا كانت بعض البرامج لا تنفع الطفل وهذا محتمل فبعضها الآخر ضار وهذا أكيد ، ولناخذ على ذلك عدة شرائح من البرامج والأفلام الدرامية والرياضية وأفلام الإثارة التي تقوم على بعض المسائل المتعلقة بعلم النفس . الكثير من البرامج الرياضية مثل كما أنه يعطي الطفل خبرات جديدة ، ولكن برامج العنف كالمصارعة والملاكمة تضر الطفل لأنه سيحاول تقليدها ولأنه كذلك سيشعر بالجانب الوحشي في الإنسان وهو في مرحلة النمو الأولى التي يجد فيها الحنان والتدليل . وسيفكر وربما سأل عن أيها الحق . ما يراه في بيته أو ما يراه على شاشة التلفزيون ، وهي أمور تؤدي تفاعلاتها إلى نشوء متاعب كثيرة ربما تنتهي إلى حالات انفصام الشخصية .

وفي حقل الدراما هناك الكثير من الأفلام المفيدة للطفل ، وهي تلك التي تغرس في نفسه قيم الحق والخير ، وبعض هذه الأفلام التي تناقش موضوعات خاصة بالكبار وغالباً ما تكون مليئة بالمشاهد التي تتميز بالصراع العاطفي ، تحدث أنطباعاً عميقة ، وربما سيئة ، عن حياة الكبار ، وتدفع الطفل إلى حالات من النضج المبكر يؤدي إلى الخبرة وعدم الثقة بالكبار ، وأما الأفلام التي تقوم على الإثارة النفسية ، كمعالجة حالات الاضطراب النفسي الذي يؤدي بصاحبه إلى النزوع إلى العنف أو الجريمة ، فإنه يؤثر تأثيراً سيئاً على الطفل ، فضلاً عن أنه يحدث تأثيراً ضاراً على جهازه العصبي .

مسرح الأطفال

إن الاهتمام بالطفل أصبح اهتماماً عاماً تعترف به جميع الأوساط الثقافية ويدعو إليه الكثير من المثقفين ، ومع ذلك فإننا لم نجد أياً من أدبائنا الكبار . . على امتداد وطننا العربي الكبير من يهتم بالكتابة للأطفال ، مع أن كثيراً من كبار الأدباء العالمين قد قدم للأطفال العديد من القصص والحكايات ، وأظن أن ليو تولستوي مثال هؤلاء الأدباء ، وفيما عدا محاولات توفيق الحكيم المتأخرة جداً والمكتوبة للأطفال فوق الثامنة من العمر ، لا نجد شيئاً من هذه الألوان الأدبية .

إن الأطفال ليسوا في حاجة إلى أدب يكتبه لهم كبار الأدباء فحسب ، بل إنهم في حاجة إلى مسرح للطفل ، فالمسرح هو الحل الوحيد لإخراج الطفل من الانكسار ساعات طويلة أمام الفيديو بالتلفزيون . كما أن الطفل بحاجة إلى من يعطيه الاهتمام فيشركه في أداء بعض الأعمال البسيطة التي يمكن أن تساعد على أن يكون إيجابياً وفعالاً . ولا شك أن الاهتمام بالطفل لا يعني دائماً دفع الكثير من المال في سبيل إنشاء مراكز رعاية فاخرة ، ولكنه يعني أولاً وقبل كل شيء بذل الجهد الذهني الكبير لفهم سلوك الطفل وعقليته وتقديم أفضل الخدمات وأنسبها عقلية وترفيهية وتنشيطية وتربوية ورياضية . فالطفل هو المستقبل الذي نصنعه بأيدينا في اللحظة الراهنة .



شركة الطباعة العربية السعودية ذات مسؤولية محدودة

SAUDI ARABIAN PRINTING COMPANY LTD

تلكس ٢٠٢١١٧
Post Office Box 6463

هاتف ٦١١٤١
Riyadh The Kingdom of Saudi Arabia

الرياض المملكة العربية السعودية
Telephone 61141

صندوق بريد ٦٤٦٣
Telex 202117 Sprint SJ

Printing is our business

and we pride ourselves in being good at it! Be the job large or small, we can produce it with the highest possible degree of quality and speed as we have the range of modern equipment and machinery to do so.

الطباعة هي عملنا

ونفتخر بأننا نتقنها. وسواء كانت الكمية التي نطبعها صغيرة أم كبيرة، فإننا - بما لدينا من خبرة في هذا المجال - نستطيع أن نتجها بأعلى درجة ممكنة من الجودة بفضل تجهيزاتنا الحديثة والمؤهلة لمثل هذه الأعمال.



بريطانيا: دولة مختلفة عن غيرها من الدول

تحتضن بريطانيا بكثير من المزايا الرائعة من الناحية السياحية كدولة يتقاطر اليها السياح لقضاء أجازاتهم . ولا يستطيع المرء ان يصفها بأنها دولة مترامية الأطراف حيث ان التنقل داخلها من منطقة لآخرى لا يستغرق وقتاً كبيراً . انها بلاد تزخر بالمناظر الطبيعية الخلابة بحيث انك تستطيع ان تنتقل مئات الأميال ولا ترى نفس القطع المعمري أو نفس المنظر الطبيعي بل ترى العديد من تلك الأنماط والمناظر النباتية والحيوية .

ولا شك ان لندن تعتبر موضع اهتمام الزوار العرب وغيرهم أكثر من غيرها . غير ان اقبال السياح على المناطق الأخرى داخل بريطانيا بدأ يزداد في الآونة الأخيرة حيث يريدون اكتشاف منطقة انجلياندز (انقصاب) في اسكتلندا أو جبال ويلز ووديانها أو المدن الانجليزية العريقة والتاريخية أو الغابات والمستنقعات الأهلية أو القصور والقلاع والمنازل التاريخية أو القرى الخادفة والسواحل ذات المناظر المشابهة .

ان لندن ليست سوى جزء من بريطانيا . ويمكن للزائرين ان يجدوا ما يروح عن أنفسهم وان يستمتعوا بالمناظر الرائعة والتجارب الشيقة على بعد عدة أميال من العاصمة البريطانية .

وسرعان ما يجد الزائر ان التنقل داخل بريطانيا غاية في الساطة . صحيح ان حركة المرور في لندن تعاني أحياناً من الازدحام الشديد ، ولكن شبكة الطرق المخصصة للسيارات تساعدك دون شك على الوصول إلى المنطقة التي تريد زيارتها أو اكتشافها اذا استأجرت سيارة سواء لقيادتها بنفسك أو مع سائقها . وتعتبر مسألة الاستئجار مسألة بسيطة وسهلة . ان السكك الحديدية في بريطانيا تتميز بالكفاءة وتستطيع ان تصل الى الجهة التي تريد زيارتها براحة وسهولة نتيجة الخدمات الممتازة المعروفة باسم انتر - سيتي (خدمات التنقل بين المدن البريطانية) .

أصعب الى ذلك انك تستطيع ان تتخذ الترتيبات الملائمة بحيث تستطيع السيارة التي تستأجرها عند المغفرة .

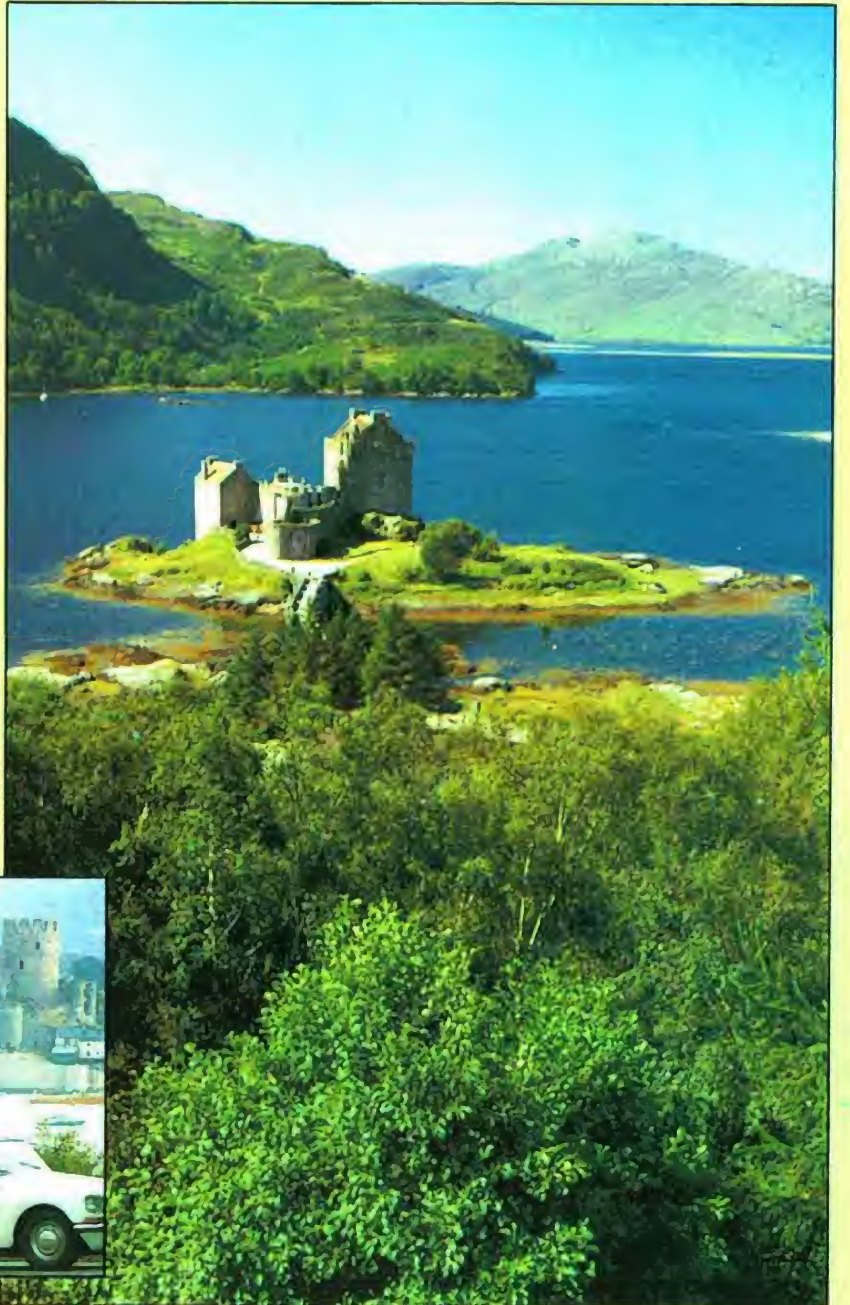
وفي الغدائ تستطيع ان تتناول طعام الغطور أو العشاء أو العشاء اثناء رحلتك الى ادنبره (٦٣٠ كيلومتراً في خمس ساعات تقريباً) أو الى كارديف (٢٣٠ كيلومتراً في ساعتين وخمس دقائق) أو الى مدينة بورك التاريخية (٣٠٠ كيلومتراً في ساعتين وعشر دقائق) . كما توجد أيضاً خدمات جوية منتظمة بين لندن والمدن الكبرى داخل المملكة المتحدة .



قرية في كورنوال لصيد الاسماك



فندق ريفرسايد



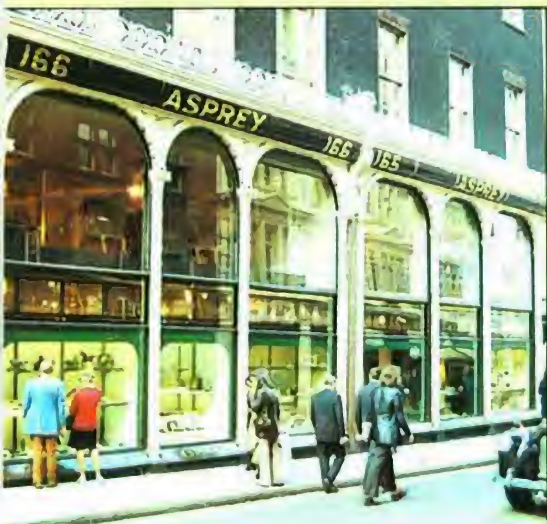
كونوي كاسل في شمالي ويلز

إيليان دونان كاسل على الساحل الغربي لاسكتلندا ومناظره الجميلة





مهرجان داربي في اسبوم بالقرب من لندن



توجد في بريطانيا فرص التسوق الممتازة بما في ذلك الفضيات والتحف الفنية

ويجب الا يكون التسوق مقصوراً على لندن دون غيرها من المدن . ان كثير من كريات المحلات التجارية اللندنية يوجد لها فروع في المدن الكبيرة الاخرى وذلك الى جانب المحلات التجارية الصغيرة الاخرى التي يتقاطر اليها الزوار لشراء الهدايا التذكارية او الملابس او التحف الالوية .

ان اسكتلندة تشتهر بحق مناسطها الطبيعية الخلابة وجسائها وبجيراتنا (ويطلق عليها كلمة «لوش» في تلك الاصناف) وكذلك الاتجار والفصول التاريخية الى جانب ما يشتهر به الاسكتلنديون من العادات والتقاليد والزي الوطني والمزمار والخولف وصيد السمك . كما ان اسكتلندة تلائم بصفتها خاصة الزوار او المتسوقين السدين يبحثون عن الملابس الاسكتلندية المطرزة وغيرها من المنتجات مثل قمم الطرطان (وهو قمم من الصوف مقم بخطوط مختلفة الانوار على زوايا قائمة) والابية والمصهرات . وهناك المحلات التجارية المتخصصة والتي تعرض افضل المنتجات مثل ملابس الشهرة والكشمير وغير ذلك من المنتجات الشهيرة من نوع «شيتلاند» و«فيري آيل» سواء في القرى الصغيرة او في مدينة ادنبره الجميلة . اما الشوارع الخائفة في ادنبره ومراكز التسوق في «سيرت» او انغريس او «اردين» فهي ملتقى المتسوقين الذين يسعون الى شراء التحف الالوية .

وفي ويلز - الامارة الجميلة والشهيرة - يستطيع السياح شراء المنتجات او السلع التقليدية حيث تزدهر الحرف العريقة مثل السجج والابية وغيرها ، وتوجد كثير من المصانع التي ترحب بالزوار . وتشتهر ويلز بمناسطها الطبيعية الجميلة مثل الجبال الشاهقة والوديان الخضراء الساحرة وان كانت تختلف عن اسكتلندة . واذا كانت اسيرتك ترافقت فان اطفالك سيستمتعون دون شك بالتجارب المثيرة مثل ركوب القطار البخارية التي كست تستخدم في الماضي للاعراض المتعلقة بقل الادوار والحطب والمعدن الخام من التلال الى الساحل وتغترف المناطق الريفية في ويلز .

وفي انجلترا ايضا توجد الى جانب لندن كثير من المدن التي تحظى باهتمام الزوار . توجد على سبيل المثال وسدسور التي تشتهر بقصرها الخائل والتي تبعد غربا بحوالي ٣٥ كيلومتراً ويمكن زيارتها في حدود يوم واحد . ويمكن ادراج هذه الزيارة ضمن رحلة اكبر على طول وادي التيمز الذي يتميز بالحضرة والسحر والجمال ، حيث يمكنك ان تكتشف في نفس القرى النائية والاصيلة (حيث يوجد مزيد من المحلات التي تشتري منها التحف الالوية وحيث توجد بعض المطاعم الممتازة) . كما يمكنك التوقف في اكسفورد - وهي لا تعتبر مجرد مدينة جامعية - في طريقك الى مدينة سات والى تلال كوتسولد هيلز . وحول هذه التلال توجد بعض القرى الرائعة في بريطانيا والمناطق الريفية والمطاعم الممتازة وعدة من المحلات التجارية الصغيرة والباهرة .



وأذا انجحت شمالاً تجد المدن التاريخية مثل تشيستر ويسورك ويرجع تاريخ كل منها الى العصور الوسطى وتوجد بها مراكز تسوق عظيمة - هذا فضلاً عن مظاهر الفن المعماري الرائع والمناطق السياحية التي تشتهر بها المدينتان .

وحينما وجدت في بريطانيا فانك تجد عن كثب كثيراً من المظاهر الحضارية المتنوعة والأحداث الرياضية التي كنت غالباً ما تسمع عنها مثل سباق الخيل ، ويوجد في بريطانيا أكثر من ٥٠٠ سباق سنوي ، وهناك موسم يمتد على مدار السنة وهو موسم الصيد السنوي الذي يبدأ من يوليو حتى الربيع التالي وينتقلت جزئياً مع موسم آخر من أواخر مارس حتى نوفمبر .

ويعرف سباق الخيل في بريطانيا بـ « رياضة الملوك » وتتواصل الملكة إليزابيث الثانية هذه التقاليد الملكية العريقة بمعنى أنها تمتلك الخيول ولديها خبرة ومعرفة واسعة عن مضمار الخيل وشؤونها . وبينما تعقد معظم المهرجانات الرياضية على بعد عدة أميال من لندن - على سبيل المثال دارسي ورومال أسكوت - إلا أن معظم السباق يجري على مضامير بين المناظر الطبيعية الجميلة . وبالقرب منها توجد الفنادق الريفية الممتازة . وكثير من هذه الفنادق كانت في السابق منازل ريفية من النوع الراقي ويرجع تاريخها الى عدة قرون من الزمان وتتميز عن غيرها من الفنادق الدولية الكبرى بالخدمة الشخصية الودية كما أنها تقدم طعاماً فاخراً .

وكما هناك الفنادق المريحة في مختلف بريطانيا هناك أيضاً كثير من المنازل والقصور التاريخية المفتوحة للجمهور . وبالقرب من كل مدينة من المدن الكبرى يوجد عدد من هذه القصور وبعضها لا يزال محتفظاً به رغم قلمه وكونه مهجوراً لا يسكنه أحد ، بينما توجد قصور فخمة ما زالت تحتفظها نفس الأسرة التي أقامت بها منذ مئات السنين . وتوجد الى جانب ذلك قصور إقطاعية كان يملكها أسلافه « فلفايلون في غمبالو » .

وبعض البيوت التاريخية تمتلكها هيئة ناشنال تراست (الائتلاف القومي للمحافظة على التراث) أو تمتلكها الدولة ، بينما يوجد عدد آخر من البيوت المملوكة من قبل الأفراد . وهي تنطوي جميعها على أهمية خاصة لأن وجودها يتيح المجال للزوار والسياح لقضاء يوم جميل لزيارتها من قبل جميع أفراد الأسرة . أضف الى ذلك ما تتميز به من المناظر المعاصرة الرائعة والحدائق المنسقة والمتنزهات الفسيحة كما أنها تشمل الأثاث الفاخر واللوحات الفنية النادرة والحزف الصيني وما الى ذلك .

وينطوي بعضها على عدد من المزايا الجانبية مثل قصر « لوجنيل هاوس » بالقرب من « بات » و « وويرن أبي » على بعد ٧٥ كيلومتراً شمال لندن حيث يمكنك التجول بسيارتك داخل حدائق السفاري - وفي « سولبو » على بعد ٨٦ ميلاً الى الجنوب الغربي من لندن في نيوفورست (الغابة الجديدة) يقوم



لأنهم (مدينة تاريخية) يسهل الوصول إليها من لندن



شاهد الحيوانات في منتزه لوجنيل وايلدلايف



ملكة وويرن للحيوانات



تدريس اللغة الإنجليزية



يمكنك التسوق في ونلسون خارج لندن



تجربرات اللغة التي تساعد على تعلم اللغة الإنجليزية





استعراض العلم في لندن



مزارد علي للتحف الفنية



معروض الزوارق الدولي



تبديل الحرس في قصر بكنجهام كل يوم

التحف القومى للسيارات حيث يعرض تاريخ السيارات وقيادتها كم
يوجد خط حدي (ي خط حديدي مقود «موتوريل») يتشد عالياً
فوق العروضات الشيقة في المتحف

ومن لأسباب التي من أجلها يقبل العرب على زيارة اسكتلثة
انهم يريدون ان يتعمقوا الانجليزية حيث ان هناك عددا كبيرا من
المدارس الخاصة بتعليم اللغة الانجليزية ومن الافضل بقلية الحال
ان يتعلم المرء اللغة في البلاد التي يتحدث فيها هذه اللغة . هناك
عدد من المدارس المشارة في اسكوتلث وكامبرج وبرايثون وبورثوث .
وهي ترحب بالطلبة من كثير من الدول . ولتتميز هذه المدن
تطعيمها السياحية ومناظرها الطبيعية الجميلة .

وسواء كنت قادما الى بريطانيا لتتعلم اللغة او لتسوية بعض
الاعمال التجارية او للاعراض السياحية الصرفة فذلك ستجد كثيرا
من الاحداث بصرف النظر عن لفترة و الوقت الذي تقي فيه الى
هذه البلاد على سبيل مثال الاحداث الرياضية التي يتم الاعلان
عنها مقدما (موسم كرة القدم من اواخر اغسطس الى مايو)
والفهرجات الثقافية والعادات والتقاليد الطريفة والعروض من
مختلف الانواع وكذلك احداث الشتاء الكبرى في لندن مثل معرض
الزوارق الدولي (يناير) ومعرض البيت الثاني (مارس) .

واذا كنت تسوي اكتشاف بريطانيا فيمكنك ان تنوجه الى مركز
الاستعلامات في المدينة التي تقوم بزيارتها حيث سيعطيك المسؤولون في
هذا المركز بالاحداث الجارية والطريقة التي يمكنك بها ان تنوجه الى
الاماكن ذات الاهمية الخاصة . ان من يفضلون زيارة هذه البلاد
الشيقة واختلفة عن غيرها من الدول الاخرى لقضاء اجازاتهم فيها
لا يمكن ان يشعروا بأي ملل على الاطلاق .

ولتتوصل عن المزيد من المعلومات يرجى الكتابة الى

قسم الشرق الاوسط
هيئة السياحة البريطانية

Middle East Department
British Tourist Authority
239 Old Marylebone Road
London, NW1 5QT
ENGLAND

وبالنسبة للمنشورات التالية

يرجى وضع علامة أمام

اسم المنشور الذي يريده القارئ :

بريطانيا دليل سياحي ☐

بريطانيا- اعدا لمتعلما لواجبتيه ☐

بريطانيا- ارسلا من ندانا ☐

كيف تحصل على السكن في بريطانيا ☐

العلاج الطبي في بريطانيا ☐

ADD



المفتاح الذهبي

كان الجو شديد الحرارة . الشمس في كبد السماء تسبح في محيطها الأزرق . بدت حرارتها كما لو كانت مصممة على أن تحرق كل شيء تحت السماء . اختفت الطيور تبحث عن أماكن ظليلة . حتى ذلك المنزل الوحيد وقف يحتمي تحت أكوام القش والأعشاب في غير خجل . كان يقع بعيداً منعزلاً عن منازل المزرعة المجاورة ، والتي كانت تبدو متقاربة متساندة ، يحتمي كل منها بظل الآخر .

كانت أشجار السرو تحيط المنزل الصغير ، تهتز بعض أوراقها عند هبوب نسمة خفيفة . وفي شرفة المنزل كانت تقف امرأة في منتصف العقد الثالث من عمرها . أخذت تتطلع إلى المنظر أمامها بنظرات أليفة . الأرض تمتد أمام بصرها إلى ما لا نهاية . قد شق الممرات مساحة كبيرة منها . الخطوط سوداء متساوية متوازية ، توارت فيها بذور القمح . وتغيّلت المرأة الأرض وقد غطتها سيقان شجيرات القمح الذهبية . وتجاوزت أمامها السنابل متعاقبة كأنها موجات بحر أصفر تضربها الرياح . وتمنت محصولاً وفيراً يعوض ما تحمل زوجها مع المزارعين من تعب وجهد . تنهدت المرأة وبدأت على وجهها شيء من عدم الرضا . خطت إلى الخلف . دخلت حجرة الطعام . زوجها يجلس إلى مائدة الطعام يتناول غذاءه . « بدرو بوهاي » إنه فلاح موفق ناجح . رفع عينيه عن الأطباق . ابتسم لزوجته التي كانت تقف بالباب . أشعة الشمس تنعكس على شعر رأسها الأسود الفاحم . كان منساباً على كتفها خالياً من أي معالم التزين ، حتى ولا قصة فوق الحاجب . اقتربت من المائدة وسألته :

— أين القمصان التي غسلتها بالأمس ؟

● اعتقد أنها في الصيوان .

— في بعضها ثقبوب تحتاج إلى إصلاح .

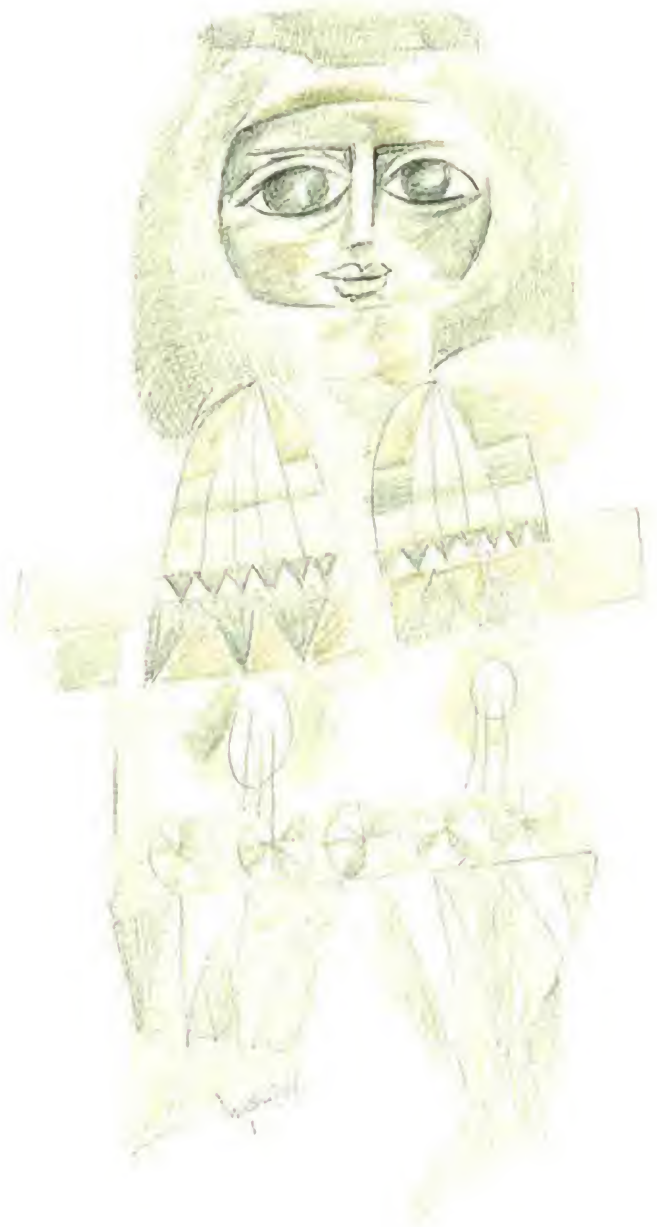
ثم أضافت وقد لاحظت أن طبق الأرز لم يعد به غير القليل .

— هل تريد مزيداً من الأرز ؟

وفي سرعة أجاب الزوج :

● كلا . فأننا أريد العودة سريعاً . يجب أن ننهي من حرث الحقل

الجنوبي اليوم . لأن غداً الجمعة .



ووقف (بدرو) ساجباً المقعد إلى الخلف ، بدأت الزوجة تجمع الأطباق فوق المائدة . دس الزوج يده في جيب معطفه الكاكي . أخرج منه قطعة من الخيط السميك معقودة على مفتاح كبير وبجواره مفتاح آخر صغير . حل عقدة الخيط بأصابع عجلة متلهفة . أعاد المفتاح الصغير إلى جيب المعطف في حرص .. كانت عينا الزوجة ترقب حركاته وهي تمد إليه يدها في صمت تتناول مفتاح الصيوان .

غادر الاثنان حجرة الطعام معاً إلى الشرفة . لف - بدرو - ذراعه الأيسر حول كتفها ونظر في وجهها :

— أنت متعبة ، ممتعة اللون .

ثم سألتها في حنان ..

— ماذا كنت تعملين من الصباح حتى الآن ؟

● لا شيء أكثر من المعتاد ، ولكن حرارة الشمس تصيبني بالصداع .

ونفس النغمة الخائنة قال :

— أرجو أن تأخذي لنفسك قسطاً من الراحة ، وحاولي النوم حتى أعود من الحقل .

ثم التفت عيونهما في نظرة عميقة سريعة ، وقال - بدرو - وهو يخلع معطفه :

— الحرارة اليوم شديدة .. الأفضل أن أترك معطفي هنا .

ويدون تفكير خلع المعطف وناوله إياها . أنت درجات السلم الخشبي تحت وزنه الثقيل وهو يغادر الشرفة . وصل إلى بوابة السور . مد يده وفتحها . التفت إلى الخلف وقال :

— سوف أمر على - بتا ماريا - في منزلها وأدعوها لزيارتنا . ربما لا أعود قبل الغروب .

هزت الزوجة رأسها موافقة ، وتتبعته نظراتها على الطريق . حركات رأسه بين كتفيه الحبيبة وخطواته الواسعة الوثيدة . أحست في حلقها ألماً . نظرت إلى المعطف الذي ناولها إياه . انبعثت منه رائحة سيجاره المفضل الذي اعتاد أن يدخنه في طريق عودته من الحقل . وعندما بدأت في طي المعطف ، سمعت صوت شيء صغير معدني يسقط على الأرض . نظرت حيث الصوت . المفتاح الصغير . انحنت عليه . التفتته بأصابع متلهفة ، حملت إليه في كفها كأنها تراه لأول مرة . زادت حدة الألم في حلقها . احتسبت الكلمات بين شفتيها . وفي لحظات بدت كأنها في الخمسين من عمرها .. خطت ببطء إلى حجرة النوم . ألقت المعطف على ظهر أحد المقاعد ، فتحت إحدى النوافذ . امتلأت الحجرة بالضوء وأشعة الشمس . على حصيرة كانت تغطي أرض الحجرة توجد بعض الملابس المغسولة . ألقت بجسمها جالسة بجوار الملابس بدأت في طيها بسرعة وعصبية ، كأنها تحاول طرد أفكار جالت بذهنها . عيناها تجويان أرجاء الغرفة في حركة مستمرة . استقرت نظراتها أخيراً على صندوق صغير في ركن مظلم تحت السرير ملفوفاً في حصيرة كشفت عن بعض أجزائه ، لم يلفت نظرها قبل الآن . جذبت عينيها بعيداً عنه ، صورته في ذهنها .

رأت بين الملابس قصصاً أبيض . التفتته . القميص به ثقب . تناولت الإبرة والخيط وفي عصبية أخذت تحيك الثقب . صورة الصندوق الصغير في ذهنها .. المفتاح الصغير في جيب ثوبها .. شكت الإبرة إصبعها . اندفعت قطرة من الدم من إصبعها . امتصها القميص الأبيض . نظرت إلى بقعة الدم وإلى القميص . إنها تحيك في مكان سليم من القميص . سألت نفسها وهي تجذب الخيط من القميص في سرعة وعصبية .

— ماذا دهاني ؟ لماذا اهتم إلى هذه الدرجة ؟ وماذا يهم إذا كان هو قد رأى أن يحتفظ بملابس زوجته السابقة ؟ أليست قد ماتت ؟ إنها ميتة . نعم إنها ميتة الآن .

وأخذت تردد الجملة الأخيرة مراراً ومرات محاولة اقناع نفسها بعدم الاهتمام . أرادت أن تولج الخيط في الإبرة ثانية . لم تقدر ، اغرورقت عيناها بالدموع . حجبت الدموع عنها الرؤية . صاحت :

— يا إلهي امنحني القدرة حتى أستطيع نسيان تعبيرات وجهه وهو بعيد المفتاح الصغير إلى جيب المعطف .

هدأت نفسها قليلاً . جففت دموعها بطرف كم ثوبها . وقفت في نشاط ملحوظ . أحست حرارة الجو تكاد تخنقها ، وطنين الصمت من حولها لم يعد محتملاً .. سألت نفسها ..

— لماذا لم تخضر - بتا ماريا - حتى الآن ؟ هل نسي - بدرو - في عجلته أن يمر عليها ؟

وتخيلته وسط الحقل محملاً في طول وعرض الأرض المحروثة .. ليس في ذهنه أي شيء غير العمل . حماسه في العمل يجعله لا يرى ولا يسمع أي شيء غير ما تريده الأرض . أخذت تدرع حشرات المنزل ذهاباً وإياباً بحثاً عن شيء قد ينسبها ما يدور في رأسها من أفكار . تمتت وصول - بتا ماريا - بأسرع ما يمكن ، قد يكون في حديثها معها ما ينسبها الأفكار المؤلمة التي تدور في رأسها . ولكن قفزت إلى ذهنها صورة تعبيرات وجه زوجها وهو يعيد المفتاح الصغير إلى جيب المعطف . اعتصرها الألم ، سألت نفسها في رهبة وخوف ..

— هل أفتح الصندوق ؟ ليس هذا من حقي . إنها أشياء تخصه ، ولكن لماذا يحتفظ بها حتى الآن ؟ لماذا ؟ وماذا بداخله ؟ ماذا كانت تلبس ؟ وكيف كانت تبدو ؟ لا ، لا ليس من حقي أن أفتحه .



وأخيراً فقدت كل ما لديها من مقاومة ، ووجدت نفسها تنحني أمام السرير ، تسحب الصندوق الصغير . تنهدت في عمق . وضعت المفتاح في القفل . أزعجها صوت المفتاح الصدى داخل القفل .



عاد الزوج هذا المساء مسرعاً إلى المنزل . سيجاره المعتاد يترافق بين شفتيه مزهواً بنفسه وبعماله الذين أتموا العمل في الحقل الجنوبي . تقابل مع - بتا ماريا - عند البوابة . . قالت له :

— زوجتك في السرير مصابة بالحمى .

أسرع إليها .

● سأذهب إلى المدينة لأحضر الدكتور .

أحست زوجته برودة يده على جبهتها . فتحت عينها في فتور . قالت في صوت خافت :

— لا تذهب . سأكون على ما يرام غداً إن شاء الله .

لاحظ في عينها قلقاً وخوفاً . . الطريق إلى المدينة طويل معتم ومهجور في مثل هذه الساعة من الوقت . إنها خائفة . .

— لا تخافي . . سأعود في أقرب وقت .

حمل إليها السكون سهيل الجواد ووقع حوافره وهو يعدو على الطريق .

اقتربت منها - بتا ماريا -

— هوني عليك . . سيعود حالا ومعه الدكتور . . لا

تجزعي يا حبيبتي .



بعد ساعة عاد - بدرو - قلقاً مهموماً .

— لم أجد الدكتور في منزله ، لكن زوجته وعدت بأن ترسله إلينا بمجرد وصوله .

أرادت - بتا ماريا - أن تقضي الليل بجوار الزوجة المريضة ، ولكن - بدرو - هو الذي سهر بجوارها يلاحظها ويعتني بها . فقد انتابه القلق والخوف عليها .

— حقاً إنها كانت متعبة في الصباح ، لكنه لا يؤدي إلى هذه الحمى المفاجئة . يا إلهي أرجو أن لا تكون حمى خطيرة .



مر الليل طويلاً على الزوجة . . فقد عاشت في ألم وقلق . كانت تنقلب في سريرها من جنب إلى جنب . لكنها في آخر الليل استطاعت أن تحظى بفترة نوم قلقة . حاول الزوج بعدها أن يخطف بعض الغمضات . وعندما استيقظ كانت أشعة الشمس تنساب إلى داخل الحجرة خلال النافذة نصف المفتوحة . انعكس ضوء الشمس على وجه الزوجة النائمة ، كانت أنفاسها تتردد عميقة . وجهها خال من كل التعبيرات لأشياء غير الوداعة والاستسلام . سرت في نفسه موجة حنان غامر . نهض في هدوء محاولاً عدم إحداث أي صوت . تلفت يميناً ويساراً . لم تقع عيناه على - بتا ماريا - لم يهجم ، فقد تذكر أن اليوم هو الجمعة ، وأن العمل في

الحقل الجنوبي قد انتهى .

افتقد الرائحة الشهية التي كانت تنبعث من المطبخ صباح كل يوم . بدا له المطبخ نظيفاً منظماً ولكنه غير مبهج . لماذا لا يقوم بعمل ما ؟ لا مانع من جمع بعض الأخشاب . حمل فأسه واتجه إلى الفناء الخلفي . كان الصباح صافياً . النسيم يهب رقيقاً عليلًا . فتح - بدرو - صدره وسحب نفساً عميقاً شم فيه رائحة أشجار حقول الأرز في الأرض التي يجها . عثر على كومة كتل من الخشب عند شجرة المانجو الصغيرة . بدأ في تقطيعها . تحرك الفأس في يده إلى أعلى وأسفل . تناثرت قطع الخشب حوله . توقف لحظة يزيل قطرات عرق على جبهته ، جففها بظهر كفه اليسرى . نحت عيناه نفايات من المدخنة . صاح في دهشة .

— يا إلهي لقد قامت أمس بتنظيف هذا الفناء . إنه عمل شاق قامت به ، بالإضافة إلى حرارة الجو الذي سبب لها هذا الصداع والحمى المفاجئة .

أثارت الرياح بعض الأتربة وأوراق الشجر الجافة مع قطع من قماش أبيض . لمحا - بدرو - إنها نصف محروقة . يا إلهي ، شخص ما كان يحرق الملابس . ألقي الفأس بجواره على الأرض . اقترب من قطعة القماش المحروقة . فحسها عن قرب . بدت في عينيه تعبيرات شك وحيرة تبعها تعبيرات من التعجب والأفكار . وأخيراً تصارعت في وجهه تعبيرات الغضب والألم والخوف . جرى عائداً إلى المنزل ، وفي ثلاث خطوات كان في الحجرة . رأى معطفه معلقاً على ظهر المقعد . أنفاس زوجته تتردد في انتظام . إنها ما زالت نائمة . انحنى تحت السرير . جذب الصندوق الصغير في رفق وهو يقول في نفسه :

— لا شك أنني على خطأ . . فهي لا ترتكب مثل هذا العمل . هي لا تقبل أن تعمل هذه الفعلة . إنها لا ترضى لنفسها أن تعمل هذا الشيء السخيف . وفتح الصندوق . . كان فارغاً . .



عند الظهر وصل الدكتور . أحس بما تعانیه . سألها بعض الأسئلة العادية . أجابت إجابات مبهمة . كان يقف - بدرو - قريباً منها يستمع إلى الحوار . كانت على وجهه تعبيرات غامضة ، قال له الدكتور عند البوابة :

— ليس بها شيء خطير . ولكن يبدو أنها قلقلة بنصوص شيء ما ، واعتقد أنها في حاجة إلى الراحة التامة يوماً كاملاً .



انطلق الدكتور على ظهر جواده . . جلس - بدرو - في الشرفة ساهماً مفكراً يحاول أن لا يملكه الغضب تجاه زوجته ، يتمنى أن يكون ما حدث شيء يضاف إلى الذكريات ، يمكن أن يتذكره الإنسان بدون أن يثير في النفس شيئاً من المرارة أو الألم . لا شك أنها سوف تندم على ما حدث منها اليوم أو غداً . وربما تحاول أن تقتنعي بأنها ما فعلت هذا إلا بدافع حبها لي . وسوف أستمع إليها وأسامحها في النهاية ، لأنها صغيرة وأنا أحبها ، وأرجو أن لا ينال هذا الحادث شيئاً من حبنا . . .



التحدي

— أي نوع من العمل .. حلاق .. نجار .. بناء؟ ..

● ساعي .. ساعي ..
كان العرق قد بدأ يغلو جبهتي .. كنت أنتظر منهم سؤالاً في الحساب أو
المحاسبة .. سؤالاً عن مجموعي .. عن سبب نفوذي .. لكنهم لم يهتموا بأكثر
من التفصي عن أبي .. وانتهت لجنة الامتحان من مهمتها وخرجت .

قال مرسى جاد لأبي :

— لا يهم .. المثل يقول إن فاتك الميري ..

خاف أبي أن يفوتني الميري .. وهكذا جئت إلى هنا .. إلى قسم النسخ
في تلك الإدارة التي تحتل بدروم قديم رطب .. في أول لقاء مع المدير الذي
صعدنا إليه سأل :

— من منكم يحسن الضرب على الآلة؟

قال مرسى :

● صابر كان الأول في مدرستنا .. أحسن من يضرب على حروف
الآلة .

فنظر إلي الرجل في دهاء .. كأنه قط يوشك على افتراس فأر وحيد بلا
حماية .. وصدر الأمر فاستلمت الزميلة العتيقة .. كانت قديمة ووحيدة وكان
علي أن أواسيها وأشاركها وحدتها .. كانت معفرة وكان علي أن أزيل عنها
الغبار .. لكنني تعايشت معها وارتضيت بها رفيقة سنوات الشباب .. حتى
جاء اليوم العجيب الذي طلبني فيه المدير .. كان يجلس في وقار وقد وضع
السيجار في ركن فمه .. لم يكن السيجار مشتعلاً - كان يهتز - توشك على
السقوط لكنها لا تسقط .. تهتز وأسنانه تلمع ثم تختفي وتتأبني رغبة في إبعاد
السيجار لأرى بريق أسنانه .. قال في وقار :

— في .. في .. يا صابر .. تبقى إيه؟

● أظن حرف جر ..

« أنا إنسان آلي .. ماكينة .. وحروف الآلة عيال وواطي .. والشريط
ملون أحمر وأسود .. أنا صابر أفندي جاد الرب صاحب المكنة .. الوحيد
الذي صرخ في وجه المدير : « لست آلة .. أنا إنسان .. » من يومها والأمر
بيننا يختلف .. والكلمات التي قيلت لي في مكتب المدير ما عادت نقال ..
كانت البداية عندما قال مرسى جاد :

— ندخل مدرسة المكن .. تتعلم الضرب على حروف
الآلات .. نتحول إلى أفندية محترمين في مكاتب البنوك ..

ولأن أبي كان يثق في مرسى جاد فقد تقدم بأوراقه إلى مدرسة التجارة
المتوسطة وكأنه يتخلص من عبء جائم على صدره .. وتتابع السنوات ..
وحصلت على دبلوم التجارة .. قال مرسى لأبي :

— نتقدم للبنك بطلبات وظائف ..

وتقدمنا ..

لكن يوم الاختبار جاء بما لا تشتهي السفن .. كانت لجنة الامتحان
المكونة من أربعة كروش منفوخة تتوارى خلف أربع نظارات شمسية قائمة
تفحص ثيابي .. أحدهم ركز اهتمامه من خلف العدسات إلى حذائي القديم
الكالغ .. الآخر صوب شعاع عدساته إلى بنطلوني البني الأجرب القديم ..
أما الآخر فقد نظر إلى سترتي .. لم تكن سترتي .. كانت سترة معارة .. كانت
واسعة وكنت غارقاً بداخلها .. أما الرجل الآخر فقد سألني في أنفة وكبرياء :

— اسمك؟

● صابر جاد الرب ..

— سنك؟

— ثمانية عشر عاماً ..

— أبوك؟

● ماذا؟

— أبوك .. مهنته؟ ..

● عامل ..

ورأيها .. آلة جديدة .. تبسم في براءة وتلمع أسنانها كما تلمع أسنان
السيد المدير .. قال :

— أنت غضبان ؟

● أبدأ ..

— ما رأيك في هذه الآلة الجديدة .. آخر طراز ..

● نعم ..

— دع آلتك القديمة للموظف الجديد ..

● حسناً ..

— وسوف أمر بنقل هذه الآلة إلى مكتبك ..

كنت مازلت عاجزاً عن مجاراته في الحوار .. كان الموقف القديم مازال
ماثلاً أمامي بكل تفاصيله وسخفه .. أضاف المدير ..

— لو سمحت .. هذه المذكرة سرية .. مطلوبة بسرعة ..

مد يده بملف يحوي مجموعة أوراق .. أخذتها منه .. قمت ، أمرني بأن
أستريح .. أقسم أن أطلب شيئاً على حسابه الخاص .. زال الجدار بيني
وبينه .. بدأت أحبه ..

● ● ●

كانت حروفها تتحرك في رشاقة وخفة وتنطبع على السورقة كلمات
صحيحة .. كانت أوراق الملف كثيرة ولكنها كانت تتولى .. والوقت يمضي
دون أن أشعر بالرغبة في الزوغان من الإدارة كما كنت أفعل في الأيام
الماضية .. من يومها وإحساس يؤكد لي أنني لم أعد مجرد آلة .. أو ترس ..
بل إنني نسيت تلك الأيام التي عايشتها فيها إحساساً غيباً .. بأنني إنسان
آلي .. مكنة ..

— تمام يا صابر .. في حرف جر .. تجر فيل .. تجر ثور
مثلك .. لكنك رفعت المجرور ..

لم أفكر في الإجابة .. أحسست بالحرج .. أنا رفعت المجرور وهذا خطأ
لا يصح من كاتب آلة مجتهد مثلي ..

اندفع المدير .. يحكي في صخب .. والسيجار يهتز في ركن له ..

— أنت يا أفندي تنقل .. ترسم .. أنت مكنة .. آلة .. أنت
ترس تدور حسب رغبة العمل ..

أفقت لنفسي .. أنا رفعت المجرور لكنني لم أتصور أنني مجرد ترس أو
آلة .. يدوس عليها المدير فتعمل .. انتابني رغبة في إسقاط السيجار من
طرف فمه .. ضرب هو المكتبة براحته .. وصرخ :

— أنت حيوان .. حيوان ..

صرخت أنا الآخر :

● أنا إنسان .. ولست آلة .. لست آلة ..

امتدت يدي إلى السيجار .. لمستته فسقط على الأرض وثار الرجل .. مد
يده إلى الجرس .. ودخل السعاة والموظفون وأحاطوني .. كنت ما زلت أهذي
مدافعاً عن كياني الجريح معلناً أنني إنسان ولست آلة .. إنهم خدعوني في
الاختبار الشخصي في البنك .. إن مرسي جاد منافق .. إنني لست فيلاً ولا
ثوراً ..

● ● ●

مرت أيام .. وطلبي المدير .. قلت لنفسي .. سوف يوقع علي
العقاب .. ربما ينقلني إلى إدارة أخرى .. ربما يخصم بضعة أيام من
مرتبي .. دخلت .. قابلني بابتسامة فعجبت للأمر .. طلب مني الجلوس
فجلست .. قلت لنفسي « فليعاقبني وأنا جالس بدلاً من أن أتلقى أخبار النقل
واقفاً .. »

أشار إلى أحد أركان المكتب ...

العم

سفاحاً .. لا كانت ولا كان هذا اليوم يا أبي .. الغيظ يكاد ياكلني ... أكاد
أصرخ رعباً وفزعاً من هول ما ينتظروننا .

ويقول شقيقها أحمد :

— مهلاً يا سادة ليست ذبيحة ! إنها إنسان ... اخني إنسان .. ربما يكون
ذلك وهماً .. أو مرضاً إن بيبي لا يدخله إنسان غربي هل أكون أنا السبب ؟
أنا شقيقها أضعها داخل عيون لي غيرها منذ وفاة والدها ووفاء والدتها
وأنا عليها حارس أمين .. لا ليس ما بها جرم .. إنه مرض .. نعم من يجرؤ
وهي داخل أربعة جدران ... حتى الشمس ذاتها لا ترى أبداً داخل جدران منزلنا
نحن نحافظ على تقاليدنا .. تقاليد الصعيد العريقة ... من العار أن يقع بصر
إنسان ، أي إنسان ، حتى ولو كان معنوياً على واحدة من النساء ... لا يستطيع
أي إنسان أن يفعل ذلك .. إنها تقاليدنا .

ويقول العم العجوز في وهن :

— لا بد من الطبيب ، إلى المدينة ...

وتتحرك العربة ويدخلها الرجال السمر الأشداء والفتاة يحملها عارها أسيرة لا
تستطيع مواجهة إنسان ... أي إنسان والجميع مطرقون برؤوسهم .. والغیظ يكاد
يعصف بعقولهم : من الجاني ؟ من المجرم ؟ .. من يا بنت ؟
ولكن البنت لا تجيب بل إنها حتى لا تبكي ... إنها مذهولة تتحس بطنها
في حيرة ودعشة ، وتتساءل فيما بينها وبين نفسها وكل ذرة من كيائها تشاركها
أحزانها .. نعم .. من فعل هذا .. كيف حدث ذلك ؟ صحيح .. لماذا
حدث ، من الجاني ؟

ليس لي صلة بأحد .. أي أحد . حتى الرجال لا أتصور صلة بهم تتسبب في
مثل ما حدث لي ... ارحمني يا إلهي ... الرحمة ... ماذا يكون هذا الجنين
الزريع في أحشائي ... أنا ميتة ، ليتني أستطيع أن أتكلم ، أن أقول أي
شيء ؟ ... ولكني لا أستطيع ... الجريمة واضحة ، حملي واضح ... لقد
فضحتني .. (أم السعد) داية القرية ، ربت على كفتي وقالت ساخرة :
— ما شاء الله .. قولي الحقيقة حتى نستر عرضك ... حتى لا نذبحي أنت
والمسكين ؟

لا يد من قتلها ! القتل هو الجزاء ؟ لا مفر من مواراتها التراب ، لقد
أخطأت بل أجمرت في حقنا وحق نفسها ... لا يد من القتل ماذا سنقول
للناس ؟ لو أهملنا هذا الأمر ؟ سوف يشمت الشامتون وسوف يسخر
الساخرون سوف يلقي الأطفال بالحجارة في وجوهنا ... سيجترنا
الشباب ، ويرثي لخالنا الشيخ ، لسنا جبناء ... لا يد من قتلها ... هذه البنت
قد أجمرت حملت سفاحاً ... بل هي في شهرها التاسع ... أنظروا إلى
بطنها الجنين يتحرك ... الجنين المكتمل النمو ... من فعلها ؟ من الذي
قتلها ؟ ... إنها لا تجيب لا تنطق تخشى أن تعرف أمره وتدمره
تدميراً ولكن سوف تدفع الثمن ... سوف يكون دمها هو الثمن ... هذه
أول مرة في أسرتنا تحدث مثل هذه المسألة .

بنت لم تزوج وحامل ؟! يا إلهي كيف تجرؤ على مواجهة الناس ؟ لم أعد
أستطيع أن أسير في الطريق ورأسي مرتفع إلى السماء كما كنت أفعل في الماضي
القريب ؟ إنني أسير مطاطيء الرأس مهبط الجناح ... لقد أذلتني هذه
البنت ... والغريب والعجيب أنها لا تنطق ، لا تدافع عن نفسها
مستسلمة في صمت ترك النساء المسنات يرتن على بطنها وتحسها ، بل ويكشفن
عليها ، ثم لا تحاول الدفاع عن نفسها إنني أكاد أجن ! القتل هو العلاج الوحيد .
ولكن الصوت المتواضع للعم العجوز ، جاء واهناً ضعيفاً وهو يقول في حياء :
— لا تسرعوا إن بعض الظن إثم اذهبوا بها إلى
طبيب ؟ ولا تستجيبوا لكلام النساء ... الأمر أخطر من ذلك بكثير ،
إنه يتعلق بروح إنسانية ، بل بروحين إذا كان الأمر كما
تظنون ؟ ... كيف تواجهون الله تعالى إذا ظلمتم هذه البنية ...
وظلمتم أنفسكم ؟

وصرخ زوج شقيقها وابن عمها قائلاً في غضب :

— ماذا تقول أيها الشيخ ؟ ... لولا احترامي لمقامك وكبر سنك لحدث ما
لا يبعد عقباه ... تجعلني أفوه بالفاظ جارحة ... تجعلني أفقد أعصابي ، هل
بعد هذا شك ، أنظر إليها أيها الشيخ ... هل نسيت ، لقد ضعف بصرك ...
وضعت ذاكرتك ... إنه عارنا ... يا أبي إنه عارنا .. كيف نواجه
الناس ؟ - أسرتنا المعروفة بالشدة والقسوة ، والتقاليد تحمل واحدة من بناتها



ويستقبلهم الدكتور بوجهه الهاش وابتناسه الخلابة وشعره الأبيض وسريت في حنان على كتف ويحس بأبعاد المأساة ، فالفتاة ميتة لا محالة . . إن كل هؤلاء الرجال الذين يملأون المستشفى ، ويسدون الطريق ، كلهم مستعدون للقتل . . كلهم سيشارك في التنفيذ . . . والبنت المسكينة لا تتكلم ، وسألتها فتجاوبه دموعها . . . ويتحرك قلبه . . . إنه طبيب كبير ولا يمكن أن يحكم بالظواهر ، صادفته في حياته العملية أشياء كثيرة .

— هيا يا ابنتي إلى حجرة الكشف . . . إلى حجرة العمليات . . . سوف نرى . . . أشك في الأمر . . . الله معنا .

ثم يغلق الباب . . .

وبمر الوقت بطيئاً ثقيلاً ويظن البعض أن الفتاة قد هربت أو أنها قد ماتت ، ولكن عندما يفتح الباب ويشاهد الجميع الطبيب الكبير والابتناسة المظلمة تفتش وجهه الطيب بصمتون ، ولكن الطبيب يرد على السؤال الذي لم ينطقوا به ويسمعونه وهو يقول ضاحكاً :

— أيها القتلة تعالوا . . . أنظروا . . . ليس طفلاً . . . ولا جنيناً إنه ورم ليفي كبير . . . أنظروا ، ها هي فتاتكم العذراء . . . أشهد الله أنني لم أر في حياتي فتاة أطهر منها ، إنها فتاة طاهرة ، وحملها الكاذب ليس إلا ورمماً ليفياً كاد يقضي عليها . . . لو انتظرتهم أسابيع . . . عدة أيام كنتم قد شاهدتم بطنها وهي تنفجر . . . الورم اللين يكبر بسرعة هائلة وهو ينمو وهو مترع في الرحم . . . المسكينة كانت تتعذب . . . ولكنها بريئة طاهرة لم تكن لتستطيع الدفاع عن نفسها . . . كانت هي تحت البنج تصرخ وتتساءل وتتهم حتى نفسها . . . أشهد الله على براءتها وطهارتها ، لقد أنقذكم الله من عذابه . . . أريد أن أشد على بد الإنسان الذي أشار عليكم بهذه الخطوة بعد أن سمعتم أمر الإعدام من فم الطبيبة الكسول .

ولكن كلامه لم يكن له وقع كبير في نفوسهم . . . كان كل همهم أن يروا الورم اللين . . . وسرعة أحضره لهم . . . كان كتلة ضخمة تفوح منها رائحة الفورمالين ، وموضوعة في قارورة ، زجاجية كبيرة ، وكان شكله بشعاً وأضر زوج - الشقيقة الكبرى على أن يأخذه معه إلى القرية ليعلم براءتها أمام الجميع . . . وتغرك الموكب إلى القرية . . . عاد إلى القرية ليزف إليها النسا وليرى الجميع الجنين الكاذب .

وعندما عادت الفتاة إلى القرية . . . لم يعرفها كثير من النساء . . . كانت قد أصبحت وردة مفتحة بعد أن عادت إليها العافية وهي التي كانت قباب قوسين أو أدنى من القبر .

ولكن أي حقيقة أعرفها . . . ليتني أستطيع . . . ليتني مت قبل هذا . . . يا إلهي إنه لأمر فظيع . . . ماذا فعلت . . . بأهلي ؟ إنهم مطرقون برؤوسهم غارفون في عارهم ، الدموع متحجرة في مآقيهم ، الرؤوس التي كانت ترتفع في كبرياء تسدل اليوم في مذلة نحو الأرض . . . الرجال الشوامخ أصبحوا صغاراً . . . بسبيي . . . أنا السبب ؟!

الوحيد الذي أعطاني الأمل عمي الضير لأنه لا يرى ! . . . لأنه لم ير إلهي وعاري . . . وأخي أحمد إنه لا يريد أن يقدني . . . إنه أخي وأبي وأمي ولكنه لا يستطيع أن يفعل شيئاً ، بل فعل . . . لقد استجابوا له . . . من أجل أن يطمئنا من أجل أن يتأكدوا . . . ليتني مت قبل هذا .

والآن الطبيبة تتفحصها في خشونة . . . تنظر إليها النظرة نفسها . . . نظرة (أم السعد) القابلة بالضغط ، هؤلاء النساء ما خطبن ؟ ينساوين . . . الطبيبة مثل الجاهلة الأمية . . . كلهن لا يرجحن ، تكتفي بالنظر باللمس تتحسس بأصابعها الرخصة الطرية البطن المنتفخة ، وتقول للرجال ساخرة :

— لماذا جئتم بها ؟ إنها حامل في شهرها التاسع . . . حامل يا جماعة . ويصرخ أحمد . . . سيدتي الطبيبة تأكدي اكشفي جيداً . . . ولكنها تلقمه حجراً وهي تقول في عصبية : ماذا أقول ؟ . . . إن حملها ظاهر . . . ظاهر واضح كالشمس . . . إنها حامل وفي شهرها التاسع .

وترتفع فوهات . . . فوهات البنادق في عصبية ويتناقل الرجال الخبر ويقع على رؤوسهم وقع الصاعقة بعضهم يضرب رأسه في الحائط ، وآخر يأكُل تراب - الأرض غيظاً وقهراً . . . وهو يصرخ ويقول :

— أه ليتني أعرفه . . . كنت شريت من دمعه ودم أسرته كلها . . . ولكن الجريمة لا تنطق ، أخرسها العار والإثم ، والحرص على حماية الجاني . . . ماذا ننظر يا رجال ؟

ويعودون إلى الطريق ويرتفع صوت أحمد من جديد قائلاً :

— ليس أمامنا إلا الدكتور إبراهيم . . . إنه طبيب كبير . . . وهو رجل له خبرته وماضيه !

ويستجيبون له في غيظ وبهمهم ابن عمه وزوج شقيقته الأخرى ، وهو يلسوك الكلمات بين شديقه في حقد وعصبية :

— سنذهب يا أحمد ، ولكنها فرصتها الأخيرة ، سنذهب أيها الرقيق القلب سنذهب يا رجال . . .



الغابة

كل مجموعة منكم تريد أخذ الصندوق لنفسها .. ولهذا أخرجتم سيوفكم ... واستعدت كل مجموعة للقتال ...

لم يرد عليها أحد .. فاستمرت في حديثها :

- « لكن اليس من الغباء أن تتقاتلوا على شيء لا تعرفون ماذا في داخله ... ؟ »

أصابتهم كلامها بدقنة أدهلتهم ... وجعلتهم يبدون "كأطفال" أمامها .

فقال زعيم الفريق الأسود : « هذا حق ... فلنفتح الصندوق ... »

صرخ في وجهه زعيم الفريق الآخر : « قف مكانك أنا الذي سأفتح الصندوق ... لو تحركت لقتلتك ... »

تحدثت المرأة العجوز : « لا أنت ولا هو ... أنا التي سأفتح الصندوق ، لأنني صاحبة الاقتراح »

همهم الجميع بالموافقة .

اقتربت المرأة من الصندوق الكبير وجذبت الغطاء .. وبسطه شديد رفعته ... ثم ألقت بالغطاء .. وانفتح الصندوق ، صرخ الفريقان من هول الدهشة ، لقد كان الصندوق فارغاً .

ضحكت المرأة بصوت عال : « أمن أجل هذا تنقاتلون ؟ ... »

وتبادل الفريقان نظرات ذات معنى .. وسكتا ... واسترخت الأيدي بالسيوف . وبدأ أن الجميع أصابهم الحجل من الموقف الذي اتخذوه من أجل صندوق خال ... وبعد برهة قال زعيم الفريق الأزرق : « ربما أنه شيء لا قيمة له ... فأنا وزميلي سنأخذُه ربما وجدنا له فائدة ... »

فصرخ زعيم الفريق الأسود : « ليس لأنه خال ... فأنا قد تنازلت عنه لك ... » فقال زعيم الفريق الأزرق : « ربما لا نجد أنت فيه منفعة ... وربما أستطيع أن أوظفه في شيء ... »

فقال رداً عليه : « أنا بالقطع سأجد له شيئاً .. أتركه إنه لنا ... »

و ضرب بسيفه قاصداً رأس زعيم الفريق الأزرق الذي تفادى صرخته ... وتقابلت السيوف وبدأ القتال .

وصرخت العجوز .. وخرجت مسرعة من الغابة لتلحق بالحیوانات التي هربت قبلها ، وتركهم في قلب الغابة السوداء .

ضربت الطيور بأجنحتها وانطلقت خارج الغابة ... ضربت الخيول بموافرها وانطلقت خارج الغابة ولحقت بها الغزلان والقردة والحمير .

لقد أصاب الخوف والهلع كل سكان الغابة ... حتى الثمل تغل عن حذرته الشديد وترك طعامه الذي شق من أجله وترك الغابة .

الساء سوداء

"انغابه سوداء"

وقلوب جميع الفارين من الغابة خائفة ... الصمت يلف الجميع ... وعيون الكل ترتقب عن بعد حدوث شيء جلل يميز له أركان الغابة السوداء .

في قلب الغابة السوداء ... وقف أربعة رجال أقوياء في يد كل واحد منهم سيف عريض حاد ... وأمامهم صندوق كبير من الخشب ... عليه نقوش غريبة .

وكان الرجال الأربعة ينقسمون إلى فريقين ... فريق يلبس ملابس سوداء وفريق يلبس ملابس زرقاء فاتحة ... ويقف كل فريق بمنح الفريق الآخر بالسيف من الاقتراب من الصندوق .

ملاحم الفريقين صارمة قاسية .. والأيدي مستعدة للقتال . قال زعيم الفريق الأسود : « من الأفضل أن تراجعنا ، لقد رأينا الصندوق قبلكما »

فرد زعيم الفريق الأزرق ملوحاً بسيفه : « ولكننا وصلنا إليه قبلكما وهذا يعطينا الحق فيه ... »

فقال زعيم الفريق الأسود : « إن الرؤية تسبق الفعل ... فالصندوق من حقنا نحن ... »

ضحك زعيم الفريق الأزرق وقال : « الرؤية سلبية ... لا حركة فيها ... أتركنا لنا الصندوق »

أراد زعيم الفريق الأزرق التقدم نحو الصندوق فوجد سيف زعيم الفريق الأسود يصرخ في وجهه .. فتراجع ورد عليه بضربة من سيفه مرت على بعد شعرة من رأسه .

سكت الجميع وتبادل الأربعة نظرات نارية ... وهنا خرجت لهم امرأة عجوز تلبس ملابس بيضاء ملامحها هادئة ومرمجة ... نظرت إلى الفريق الأسود وإلى الفريق الأزرق دون أن يقول لها أحد شيئاً . فهمت كل شيء .. اقتربت .. فحذرهما الفريقان بعدم الاقتراب .. نظرت إليهم . وعرفت أنهم يقصدون ما يقولون .. فقالت : « إنني فهمت أن

الكمبيوتر والتعليم

★ كان لظهور « الكمبيوتر » أثره الكبير في حياة الإنسان المعاصر بما قدم من خدمات في مجالات عديدة .. فقد كان لظهوره أثر كبير في صناعة متغيرات مختلفة .. وقد استطاع الإنسان الاستفادة من هذه الخدمات لتوفير الجهد والطاقة البشرية .. استفاد منه في تسيير سفن الفضاء .. وإدارة المصانع الضخمة .. كما استفاد منه في إحصائياته الدقيقة ، ودخل الكمبيوتر كثيراً من المرافق فرفع من مستوى خدماتها بشكل ضاعف من إنتاجيتها ★

إعداد: محمد سليمان القويافي

والآداب من ناحية ، وأهمية المنطقة العربية اقتصادياً ، واستراتيجياً من ناحية أخرى .

وهذا حوار مع الدكتور قيصر فرح (العربي الأصل .. الأمريكي الولادة والجنسية) أحد المهتمين بتدريس اللغة العربية لغير الناطقين بها وأبنائهم بواسطة الكمبيوتر .

ويأتي اهتمام الدكتور قيصر فرح بهذه القضية إلى جانب اهتمامه بتدريس التاريخ العربي ، والعلاقات التاريخية بين الشرق والغرب في جامعة « مينسوتا » بالولايات المتحدة الأمريكية .

ويظهر أزمة قلة المعلمين في التدريس خاصة في الدول النامية .. ولتطور المناهج التعليمية ودقة وصعوبة تدريسها نظراً لزيادة عدد الطلاب ، كل هذه العوامل ، وغيرها من العوامل الأخرى المتولدة عن تطور التعليم على اختلاف مراحله وجد الإنسان في « الكمبيوتر » وسيلته التي يبحث عنها للتغلب على الأزمات التي تعترض التعليم ومناهجه .. خصوصاً تعليم اللغات ، وقد بدأت التجربة كالعادة في استخدام الكمبيوتر لتعليم اللغات الأوروبية .. ثم استخدم فيما بعد في تدريس اللغات الشرقية ومنها اللغة العربية التي ازدادت أهميتها بعد اعتراف المحافل الدولية بها كلغة رسمية انطلاقاً من قدرتها وإمكاناتها في التجارب مع تطور العلوم والفنون

البداية

حدثنا الدكتور قيصر فرح عن بداية الاهتمام بتعليم اللغة العربية بواسطة الكمبيوتر قائلاً :

« إن ذلك كان استجابة لطلب من لجنة التخطيط لمناهج التعليم بكلية الآداب في جامعة ميسوتا .. وكانوا قبل ذلك قد حضروا برنامجاً لتدريس اللغة الألمانية بواسطة الكمبيوتر مع شروعاتهم بتحضير برامج كاملة باللغتين الإيطالية واليونانية إلى جانب برنامج لتدريس الأيرانية . وقد لفت البرنامج الأيراني الأنظار إلى إمكانية عمل برامج عربية واستبداعها في خزانات الكمبيوتر على اعتبار أن اللغة الأيرانية تقارب اللغة العربية وتكتب بنفس حروفها .

وفي البداية قمنا بالتجارب التي نجحت وأظهرت لنا إمكانية تحضير واستدعاء برامج عربية في خزانات الكمبيوتر . عندها بدأ المشروع منذ ما يقارب العامين » .

الحجم والتنوع

وعن حجم وتنوع المواد العربية التي غذي بها الكمبيوتر قال الدكتور :
« في الوقت الحاضر أودعنا ألف كلمة من الكلمات الفصحى الدارجة مع موجز لعدد من قواعد النحو والصرف بالإضافة إلى تمارين مفصلة على الكلمات واستخدامها والقواعد التي تضبط هذا الاستخدام مع وضع المفردات ، إما مفردة أو مركبة في جمل تامة .. ليتسنى للطلاب محاولة تركيب الكلمات المفردة في جمل من صنعه هو بعد أن يكون قد حفظ واستوعب عدداً من المفردات والقواعد التي تساعده على تركيب الجمل بنفسه إذا أراد » .

وعن أهمية الكمبيوتر في حقن التدريس مقارنة بالمدارس الإنسان قال :
« الفارق بين الكمبيوتر والإنسان في التعليم هو أن الكمبيوتر يساعدنا على التغلب على العوامل والدوافع النفسية التي أدرك المربون والمعلمون نتيجة للخبرة الطويلة في التعليم أنها سبب في خشية الطالب من مناقشة أستاذه إما خوفاً أو خجلاً أو خلاف ذلك وعدم استفساره عما لم يفهمه أو عما اختلط في ذهنه من معلومات .

كما أن تجربة التلميذ واختباره لمعلوماته أمام المدرس غالباً ما تكون تجربة قاصرة فهو يخشى من النقاش لئلا يقع في الخطأ فيكون موضع سخرية أو ملاحظة من زملائه وأحياناً من أستاذه .. لذا نجد كثيراً من التلاميذ يثقلون المعلومات فقط دون أن يحاولوا صقلها وتصحيح ما أخطأوا في فهمه منها .

كل العوامل هذه تخنني إذا واجه الطالب الكمبيوتر فهو يكون في أحسن حاله لشعوره بالأمان النفسي ، لأن الكمبيوتر يصحح خطأ التلميذ دون أن يحس بالخرج ويعطيه مجالا أوسع للتأكد من معلوماته .. بالإضافة إلى أنه بعيد الدروس للطلاب في أي وقت يحتاجها .. ويستطيع الطالب أيضاً أن يجري لنفسه اختباراً يظهر له مستواه بالمقارنة بمستوى غيره من زملائه دون أن يحس حرجاً » .

عملية التعليم .. كيف تم ؟

يقول الدكتور قيصر فرح :

« إذا أراد الطالب الأمريكي مثلاً ، أن يدرس اللغة العربية بواسطة الكمبيوتر فإن في استطاعته تعلمها عن طريق متابعته للتركيب العربي الموجود باللغة العربية وبجانبه ما يقابله باللغة الإنجليزية .

وعملية التعليم تم بالتدرج بطبيعة الحال وهذا يتم عن طريق الجمع بين ما هو موجود في الكمبيوتر بالإضافة إلى تنبع الطالب للكتاب المقرر أيضاً لأن المشروع ينطوي على تسجيلات صوتية وكتاب أساسي للطلاب ودليل المرشد .. وفي هذا الدليل تحديد للمعلومات المسجلة في الكمبيوتر . وهكذا



د . قيصر فرح .. في سطور

- من مواليد مدينة «بورتلاند» - أريجون - الولايات المتحدة الأمريكية عام ١٩٢٩م ، ويعود أصله العربي إلى جده اللبناني .
- دكتوراه - جامعة برنستون في نيوجرسي .
- من أعماله في التأليف والترجمة :
 - ★ الرسالة الخالدة لعبد الرحمن عزام - ترجمة إلى الإنجليزية (طبعان) .
 - ★ التذليل في التاريخ الإسلامي - طبعته الجمعية الشرقية الأمريكية .
 - ★ الإسلام عقيدة وعادات - تأليف - باللغة الإنجليزية (أربع طبعات) - مقرر في الجامعات الأمريكية .
 - ★ المستفاد من ذيل بغداد لابن النجار - تحت الطبع في الهند .
 - ★ أساسيات اللغة العربية - تحت الطبع .
 - ★ عدة مقالات نشرت في مجلات متخصصة تناولت قضايا تاريخية ، وأدبية ، وسياسية في العلاقات بين العرب والغرب منذ القرن التاسع عشر .
- يتركز اهتمامه في الوقت الحاضر على استخدام الكمبيوتر في تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها ، وبرمجة المشاريع الخاصة بالتنمية على مختلف القطاعات بواسطة الكمبيوتر باللغة العربية بدلاً من اللغة الإنجليزية .

الاستيداعية الضخمة ، فهو كالمكتبة .. ولكن المعلومات تأتي بضغط زر صغير .. كما أن احتمال الخطأ ضئيل جداً .

تجهيز البرامج المختلفة

هل لدى القائمين على المشروع برامج جاهزة لارسالها إلى من يطلبها في الجامعات العربية وغيرها ؟
يقول الدكتور فرح :

« في الوقت الحاضر البرنامج العربي يركز على احكام اللغة العربية من ناحية تدريس اللغة كما سبق ذكره . ولكن لدى القائمين على المشروع استعداد لتسجيل أي برنامج يطلب . ولكن يحتاج المستخدم لهذا البرنامج بعد تسجيله إلى جهاز مماثل للجهاز الذي تم التسجيل عليه لأنه جهاز طور وكيف لهذا الغرض .

وعلى سبيل المثال إذا أرادت جهة ما استعمال الكمبيوتر في محاربة الأمية ، ففي استطاعة المشروع أن يحضر سلايدات أو غيرها تعكس الشاشة سينمائياً وخطياً ، وصوتياً . بالإضافة إلى تهجئة الكلمة في نفس الوقت . والجهاز تم تنظيمه على حسب تراكيب الآلة الطابعة العربية وهو مع ذلك يعرف تراكيب اللغات الأخرى .
والشيء المهم هنا إلى جانب التعلم ومحو الأمية في مقدورنا أن نستخدم اللغة العربية في التخطيط بواسطة الكمبيوتر لمختلف المشروعات التي تتطلبها التنمية » .

وسائل نشر اللغة العربية

عن الوسائل المطلوب اتباعها لنشر اللغة العربية في الخارج يقول الدكتور قيسر فرح :

« في رأيي أن أهم شيء يمكن عمله من أجل نشر اللغة العربية في العالم هو أن تبذل الدول العربية جهودها لتحضير الكتب وأن تبعث للمؤسسات التي تدرس العربية في أميركا وغيرها من بلاد العالم كل المعلومات التي تحتاجها . ويجب أيضاً أن تعمل على تشجيع الإقبال على الدراسات العربية في الخارج بواسطة المنح والمساعدات المادية .

كما أن من المفيد والمهم تبادل الزيارات بين الأساتذة للاستفادة من الاحتكاك ، ولا شك أن ذلك يولد آراء وأفكار جديدة .
ومن المفيد أيضاً أن تؤسس معاهد خاصة تقع تحت اشراف الدول العربية في بلدان مهمة في نشر الثقافة كأميركا .

وتعليم العربية للأجانب يفيدهم فالدارس يستطيع أن يخدم اللغة العربية بعد أن يلم بها فيدرس الطلاب في أماكن أخرى .. وجزء من الدارسين يدخل في السلك الدبلوماسي .. وآخرون يهتمون بالاقتصاديات والاتجار مع العالم العربي .

وبشكل عام الشيء الذي أتمناه أن تظهر البلدان العربية نشاطاً إيجابياً في دعم الحركات المساهمة في نمو فكرة صحيحة وغير منحازة عن الثقافة والحضارة العربية وعن السياسية في العالم العربي واقتصاده » .

يعرف المرشد الخطوات وترتيبها وما تحتويه خزانات الكمبيوتر من معلومات .. ويعرف الطالب كيف يستفيد مما قرأه نظرياً من واقع الكتاب عن طريق ممارسته لمعلوماته التي حصل عليها . وتم تلك الممارسة عن طريق الكمبيوتر . كما أنه يستطيع أن يسترجع أي معلومات يريدتها مع تمرين نفسه على استخدام القواعد ويستطيع من جهة أخرى معرفة الخطأ وتداركه بسرعة إلى جانب تحديد المستوى الذي وصل إليه .. كل ذلك يقوم به الطالب بنفسه بعد أن يمر بمرحلة تدريب بسيطة على كيفية استخدام الجهاز » .

العربية في أميركا ونوعية الدارسين

وعن مدى الإقبال على اللغة العربية في أميركا ونوعية الدارسين الذين يستفيدون من هذه التجربة ، يقول الدكتور فرح :

« يمر العالم الآن بمرحلة تاريخية يقوم فيها العرب بدور كبير خاصة من النواحي الاقتصادية والسياسية .. وازاء هذا زاد الاهتمام بالعرب وبكل ما يمت إليهم في جميع أنحاء العالم .. وطبيعي أن يكون من ضمن هذا الاهتمام باللغة .. وهذا ما حدث في أميركا ، فقد أخذ الاهتمام بالعربية وتعلمها يتزايد يوماً بعد يوم لأنهم بدأوا يشعرون أن المستقبل للمناطق العربية من ناحية الاقتصاد والتنمية وأنها مركز لذلك .. ولا شك أن هناك تياراً دعائياً مضاداً للعرب في أميركا بالذات .. ولكن الرؤية الآن بدأت تتضح لدى الأميركيين فزاد اهتمامهم بالعرب ولغتهم وشؤونهم بشكل عام .

أما نوعية الطلاب فهم في غالبيتهم من الأميركيين المبتدئين في اللغة العربية إذ ليس لهم دراسات سابقة فيها .
ويلاحظ إلى جانب ذلك أنهم طلاب يدرسون في الجامعات في نفس الوقت . والإقبال عامة مجده بين طلاب الدراسات العلمية » .

الباحث .. والكمبيوتر

لا مراء في أن لدى الكمبيوتر طاقة هائلة في الاستيعاب ومن ثم الإخراج وهذا ما يحتاج إليه الباحث عموماً .. لما مدى الفائدة التي يمكن أن يقدمها الكمبيوتر للباحث اللغوي على الخصوص ما دمنا بصدد تعلم اللغة بواسطة الكمبيوتر ؟

عن هذا السؤال يجيب الدكتور :

« الكمبيوتر آلة بقدر ما تعطى أو تغذى بقدر ما تفيد فهي تعكس ما تغذى به ليس كما هو ، وإنما لديها مقادرة على التحليل والمقارنة والتصنيف ... كما أن لها سرعة هائلة في استرجاع المعلومات التي يحتاج إليها الباحث .

وفي رأيي أنه لهذا السبب يعتبر الكمبيوتر عاملاً فعالاً في مساعدة المدرس والطالب ، والباحث الذي يحتاج إلى أكبر عدد وقدر من المعلومات ، حيث يستطيع أن يستودع في خزانته نحو ألفين ونصف مليون حرف إنجليزي .. وهذه ولا شك طاقة هائلة .. وإلى ذلك فإنه يستطيع أن يعكس على شاشته مئة وثمانين كلمة في وقت واحد .

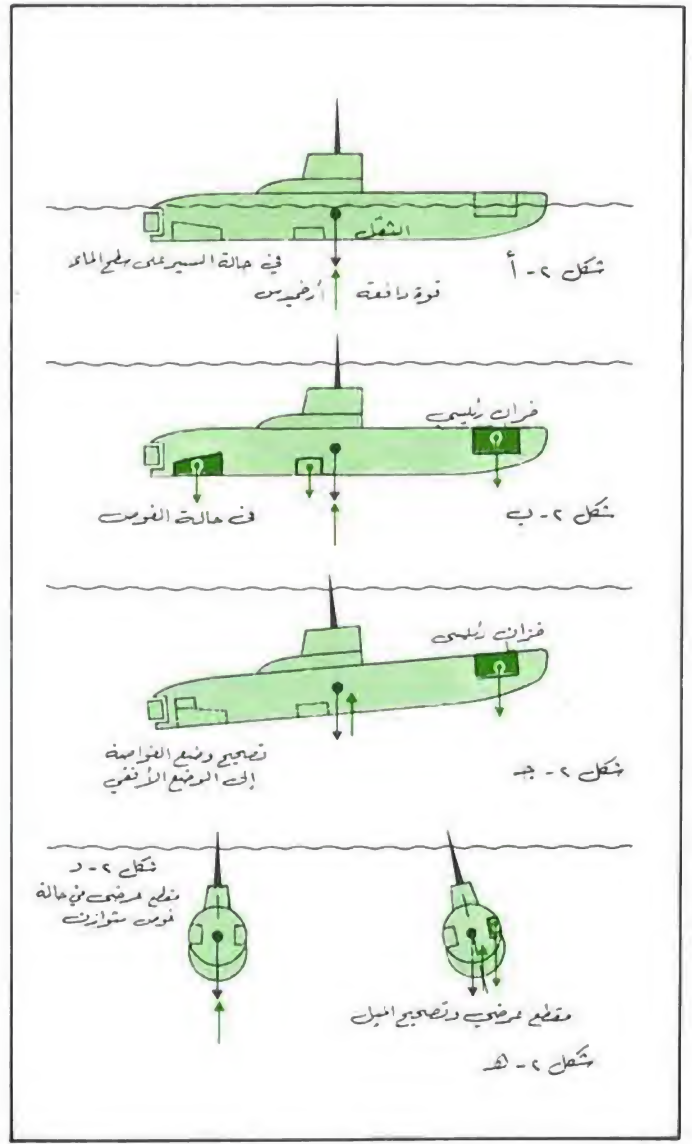
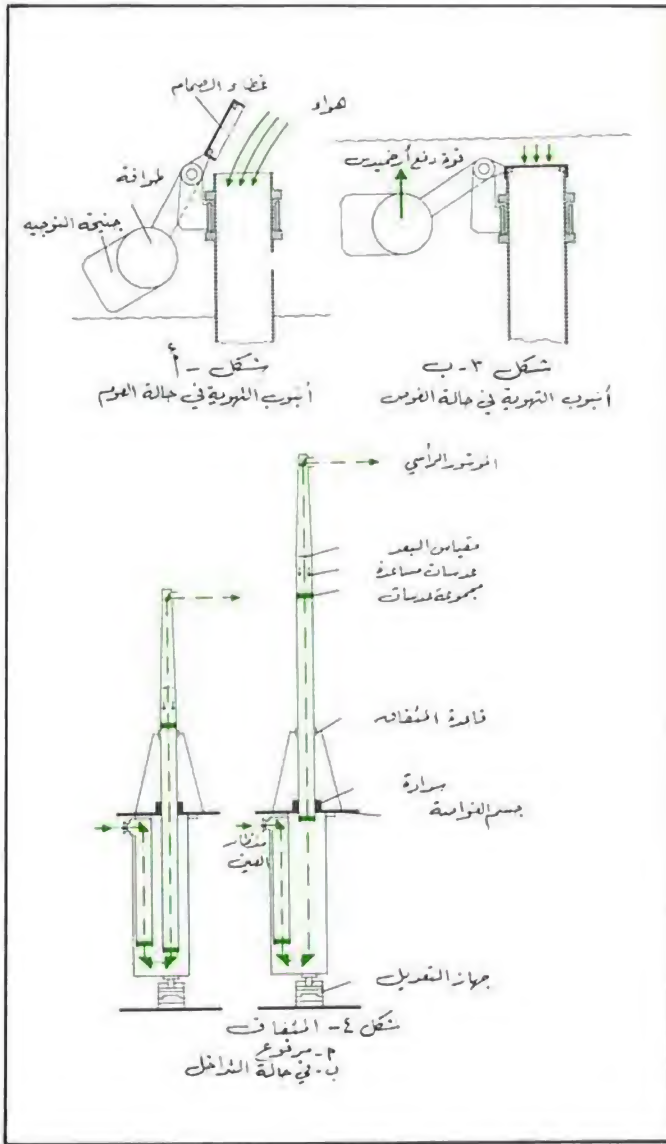
وخلاصة القول إن الخدمة الكبيرة التي يستطيع الباحث الحصول عليها من الكمبيوتر هي السرعة والقادرة على التحليل إلى جانب القدرة

الغواصات

- حالة الطفو
- حالة الغوص

أما الغواصات الحديثة فتختلف أحجامها وإزاحتها باختلاف الهدف الذي صُنعت من أجله ، وتتراوح أحجامها بين تلك الغواصات الصغيرة التي تستخدم في المياه الساحلية (مثلاً طوها ١٤٠ قدماً ٤٦,٥ م تقريباً) ، وإزاحتها في حالة الطفو ٣٥٩ طناً (وفي حالة الغوص ٤٣٠ طناً) ، إلى الغواصات ذات المسافات البعيدة وعابرة المحيطات (طوها ٤٢٠ قدماً أو ما يعادل ١٤٠ م ، وإزاحتها في

وبما أن مركز ثقل الغواصة لا يتفق تماماً مع مركز طفوها فإنه ليس ممكناً من الناحية العملية إيقاف الغواصة في حالة سكون تام ، ولذلك يجب على الغواصة أن تسير إلى الأمام بسرعة تسمح لها بالحفاظ على عمق غوص ثابت ويتم ذلك عن طريق الزلاقات المائية hydroplanes وهذه الزلاقات تستطيع أن تدبر الغواصة



وتوجد داخل الغواصة وخارجها خزانات متعددة أهمها خزانات الوقود وخزانات ماء التوازن (الشكل ٢- أ إلى ٢- هـ) . وخزانات ماء التوازن Water ballast تنقسم إلى خزانات رئيسية - وتكون هذه فارغة تماماً في حالة الطفو و لموءة في حالة الغوص - وخزانات توزيع الثقل Trimming tanks التي تكون في مقدمتها ومؤخرتها ، والخزانات المساعدة وتكون في وسط الغواصة . والهدف من هذه الخزانات المساعدة هو حفظ الغواصة في حالة توازن مستمر بواسطة تعويض تبدلات الثقل الناتجة عن استهلاك الوقود وغيره . أما خزانات توزيع الثقل فالهدف منها تصحيح مستوى الغواصة أفقياً . كما أن امتلاء أو تفريغ هذه الخزانات يؤثر على وزن الغواصة الإجمالي .

ومن الضروري أن تكون سرعة امتلاء خزانات التوازن الرئيسية كبيرة حتى تمكن الغواصة من الغوص بسرعة . ولهذا النوع من الخزانات فتحات كبيرة وصمامات تعمل آلياً .

إلى الزاوية المطلوبة .

والجزء الرئيسي في الغواصة هو جسمها الخارجي ويسمى « الغلاف المقاوم للضغط » Pressure hull وهو يبدو على شكل دائري في المقطع العرضي للغواصة (الأشكال من ١- أ حتى ١- هـ) . وقد تبين نتيجة التجارب العديدة أن الشكل الأسطوانى - المغزلى هو أكثر الأشكال ملائمة للسير تحت الماء وللمقاومة الضغط الكبير الذي تتعرض له الغواصة في الأعماق الكبيرة . ويتألف الجسم الخارجي من صفائح من الفولاذ السميك مقسم إلى حجيرات يفصل بينها حواجز قوية مقاومة للضغط bulk heads .

ويوجد في الجزء الأوسط العلوي من الغواصة سطحها الرئيسي بعلوه برج المراقبة والمنصة . وفي البرج فتحات للدخول والخروج يمكن إغلاقها بإحكام . وتحت برج المراقبة توجد غرفة القيادة . ويغلف جسم الغواصة غلاف خارجي يستطيع الماء الدخول بينه وبين جسم الغواصة ويسمح بذلك للماء بالدخول إلى الخزانات .

وهو منظار يسمح برؤية الأفق فوق سطح الماء بينما تكون الغواصة سائرة تحت سطح الماء . وقد تحول المنفاق من جهاز بسيط إلى جهاز معقد في الغواصات الحديثة ، إذ أصبح يحتوي على مواشير Prisms وعدسات تسمح للملاحين برؤية الأفق المحيط بهم فوق سطح الماء من كافة الاتجاهات .

وبلغ ارتفاع المنفاق العادي أربعون قدماً (١٤ م تقريباً) ويمكن رفعه إلى أعلى أو خفضه بواسطة (عملية التداخل) Telescopic action (الشكل ١-٤ و ٤-ب) وقد زود بموشور رأسي قابل للحركة بحيث يمكن مراقبة الجو أو الملاحية ليلاً اعتماداً على النجوم مع استخدام آلة السدس Sextant . كما توجد تدريجات خاصة لقياس المسافات والأبعاد وبالتالي تقدير أحجام الأجسام الواقعة في ساحة النظر وتزود الغواصة عادة بمثاقين أحدهما عادي والثاني أقوى وأدق بحيث يستعمل هذا الأخير في مراحل الهجوم أو التحضير له .

أما على سطح الماء فيمكن للغواصة أن تستخدم أجهزة الملاحة العادية والرادار مثل أي سفينة عادية . وفي حالة الغوص إلى عمق أكبر من ارتفاع المنفاق فيستعمل المسبار الصوتي Sonar ومبدأ المسبار يشبه الرادار من حيث المبدأ ولكنه يرسل نبضات صوتية تمكن الغواصة من قياس المسافة بينها وبين سفينة عدوة مثلاً وذلك عن طريق تسجيل صوي النبضة الصوتية . أما الغواصات الكبيرة ففيها أجهزة أكثر تعقيداً تغنيها عن استعمال المسبار الصوتي . والطورييد هو السلاح التقليدي للغواصات سواء في الدفاع أو الهجوم ، ومن الممكن إطلاقه يدوياً أو كهربائياً سواء في حالة الغوص أو العموم . وقد تطورت الطورييدات حتى أصبحت تتوجه تلقائياً نحو هدف عن طريق الاستشعار الحراري أو المغناطيسي - Remote Controlled .

وأهم تطور حدث في السنوات العشر الأخيرة هو الصاروخ الذي يطلق من الغواصات وهو من نوع (بولاريس) ويمكن إطلاقه في حالة الغوص أو العموم على حد سواء . وتحمل الغواصات الأمريكية ستة عشر صاروخاً مدى كل منها ٢٥٠٠ ميل .



وعادة تغوص الغواصة في الماء وهي سائرة على سطحه وتحتل الحزانات الأمامية قبل الخلفية بعدة ثوان ولذلك ينغمر الجزء الأمامي من الغواصة بالماء وتغوص مقدمتها أولاً يساعدها في ذلك الزلاقتها إلى الأمام بفعل زلاقتها المائية .

ويم التحكم بحركة الغواصة تحت الماء بالزلاقات المائية وجنيحات العمق depth fins الموجودة في مقدمتها ومؤخرتها ، وهذه الجنيحات تساعد في المحافظة على العمق المطلوب كما أنها تدير الغواصة إلى الزاوية المطلوبة . وكلما ازدادت سرعة الغواصة ازدادت قوة تحكم الزلاقات المائية فيها . ويتم تعويم الغواصة بعملية عكسية وذلك عن طريق نفخ الهواء المضغوط في خزانات الغوص والتوازن مما يطرد الماء خارجاً ويخفف وزنها فتعوم .

والغواصة التقليدية تستمد قوة دفعها وتسير بواسطة محركات الديزل . وبما أن هذه المحركات تحتاج إلى الهواء كي تعمل ، فإنها كانت تستعمل سابقاً في تسير الغواصة على سطح الماء فقط . أما تسيرها تحت الماء فكان يتم بواسطة محركات كهربائية تستمد طاقتها من مدخرات كهربائية (بطاريات) . ويوجد في الغواصة الكبيرة أربعة محركات ديزل قوة كل منها ١٦٠٠ حصان .

أما في الغواصات الحديثة فإن محركات الديزل لا تتصل اتصالاً مباشراً - بوسائل ميكانيكية - بمراوح الدفع Propellers ، بل إنها تشغل مولدات كهربائية generators وهذه بدورها تمد بالكهرباء المحركات الكهربائية التي تدير مراوح الدفع .

وفي الحرب العالمية الثانية أدخل تطور جديد على الغواصات ذلك هو جهاز (الشتركل) Schnorkel أو أنبوب التهوية ، وهو أداة تتألف من أنبوب طويل يمكن أن يمتد إلى ما فوق سطح الماء ويمكنها من التزود بالهواء النقي طالما أنها تعمل على عمق غير كبير ولا يتجاوز طول الأنبوب أو طول منظار الأفق (البيروسكوب) . ويمكن دخول الهواء اللازم للمحركات من خلال هذا الأنبوب . أما غازات العادم والدخان فإنها تخرج من أنبوب آخر . وهكذا أصبح من السهل على الغواصة أن تسير تحت الماء بقوة محركات الديزل . أما إذا كانت الغواصة ستغوص إلى أعماق كبيرة فإنها توقف محركات الديزل وتستخدم الكهرباء المخزونة في المدخرات الكهربائية (البطاريات) لإدارة المحركات الكهربائية . وبالطبع تم تعبئة المدخرات عندما تكون الغواصة طافية على سطح الماء . ويلاحظ أن رأس أنبوب التهوية مزود بصمام أوتوماتيكي سريع الإنغلاق يمنع دخول الماء إلى الغواصة . (الشكل ١-٣ و ٣-ب) .

وأول غواصة ذرية أمريكية بنيت عام ١٩٥٥ م وسميت (نوتيليوس) Nautilus . وتعتمد الغواصات الذرية على الطاقة الحرارية المتولدة من مفاعلها الذري وتستخدم الحرارة الناتجة في توليد بخار الماء الذي يدور عنفات الدفع Propulsion Turbines وعنفات توليد الكهرباء Turbogenerators سواء كانت الغواصة داخل الماء أو على سطحه وهذا ما يجنبها الصعود إلى سطح الماء لشحن مدخراتها الكهربائية مما يمكنها من البقاء عدة أسابيع تحت الماء إذا اقتضى الأمر . وحرارة المفاعل الذري تنقل إلى ما يدعى جهاز الماء الأول Primary Water System وفيه يسخن الماء تحت ضغط عال ويستعمل لتوليد البخار في جهاز الماء الثانوي حيث يمر الماء ضمن مرجل على شكل مبدل حراري heat exchanger ومن ثم ينطلق بخار الماء الجاف والساخن بقوة على العنفات . والبخار الخارج من العنفات يعود ثانية إلى المبدل الحراري ، فيبرد ويتكاثف ويتحول إلى ماء من جديد . وتزود الغواصات كلها بما يسمى منظار الغواصة أو المنفاق Periscope

من شواعر صدر الإسلام

ح

الحارثية بنت زيد بن بدر العرائي:

شاعرة من شواعر العرب في صدر الإسلام، قالت تربي زياد بن عبيد
القرشي، وكان قد توفي في ابتداء الإسلام:

زُنت إليه قرش نعل سيدها فلم كل التقي والبر مقبوض
أبنا المغيرة والدنيا مغيرة وإن من غرت الدنيا لغرور

ح

خولة بنت الأزور:

شاعرة إسلامية من بني كندة من ربات الفروسية والشجاعة، خرجت مع
أخيها ضرار بن الأزور إلى الشام، وأظهرت بسالة فائقة في الحروب التي دارت
بين العرب والروم، فلما أسر أخوها في إحدى الوقعات حزنت لأسره حزناً
شديداً، وقالت:

ألا غر بعد الفراق بُحيرنا فمن ذا الذي يا قوم أشغلكم عنا
فلو كنست أدري أنه آخر اللقاء لكننا وقفنا للذواع... ووذعنا
لقد كانت الأنعام نزهو لقرهم وكنا بهم نزهو، وكانوا كما كنا
ألا قاتل الله النوى ما أمره وأفتح ما يريد النوى بنا
ذكرت ليالي الجمع كنا سوية ففرقنا رب الزمان وثقتنا
فما هذه الأيام إلا معازة وما نحن إلا مثل لفظ بلا معنى
سلام على الأحباب في كل ساعة وإن بُعدوا عنا، وإن مُنعوا مِنّا

ح

درة بنت أبي لهب بن عبد المطلب:

شاعرة أدركت الإسلام وأسلمت، وحذت عن النبي صلى الله عليه
وسلم، وعن عائشة أم المؤمنين - رضي الله عنها - ثلاثة أحاديث.
وكانت قد قالت في يوم الفجار:

ملسوة خرساء يحسبها من راقها موجاً من البحر
والجزء كالعقبان كاسرة تهوي أمام كتابي تحضر
فيهم ذعاف الموت أبرده ينغي بهم وأحمره يحمر

ذكرها ابن حجر وابن الأثير وابن عبد البر والذهبي وغيرهم.

ل

أروى بنت عبد المطلب:

أروى بنت عبد المطلب بن هاشم، من قرش، شاعرة أسلمت وهاجرت
إلى المدينة وكانت قبل إسلامها تعبد النبي صلى الله عليه وسلم، فلما مات
أبوها عبد المطلب رثته بقولها:

بكت عيني وحزها البكاء على سمح سجيته الحياء
على سهل الخليفة أبطحي كريم الخيم نيته العلا
وكان هو الفتى كرمًا وجوداً وبأساً حين تنسكب الدماء
طويل الباع أملس شبطمي أغر كان غرته ضياء

وقالت تربي النبي صلى الله عليه وسلم:

ألا يا رسول الله كنت رجاءنا وكنت بنا برأ، ولم تك جافنا
كأن على قلبي لذكر محمد وما جمعت بعد النبي الجافنا

ب

بزة بنت عبد المطلب:

هي بزة بنت عبد المطلب الهاشمية - أخت أروى - شاعرة أدبية، رثت أبيها
عبد المطلب في حياته، فقالت:

أغني جوداً بدمع دُرٍّ على طيب الخيم والمغصّر
على شبيه الحمد ذي المكرمات وذي الجهد والعز والمفخر
على ماسد الحذواري الزناد جميل الحيا، عظيم الخطر
أنته المنايا فلم تنسوه بصرف الليالي وريب القدر

ج

أم جميل بنت حرب:

شاعرة من شواعر العرب، أخت أبي سفيان بن حرب، وعممة معاوية
أدركت الإسلام، ولكنها لم تسلم، بل كانت أشد الناس معارضة للدعوة
وأكثرهم إيذاء للنبي؛ فكانت تحمل الشوك وتطرحه في طريقه، ومن ماثور شعرها
أنها قالت تملح:

زُين العثيرة كلها في البدو منه والحضر
ورئيسها في الثانيا ت وفي الرجال وفي السفر
ورث المكارم كلها وغلاً على كل البشر
ضخم الدسيسة ماجدٍ يعطي الجزيل بلا كدر

ذ

أم ذر الغفاري :

هي زوجة أبي ذر الغفاري ، شاعرة إسلامية ، كان عندها قبل إسلامها صنم يقال له نهم ، فوضعت له ذات يوم لبناً ، فإذا كلب يشرب اللبن ، ويسول على الصنم ، فقالت أم ذر :

الا فلتُنِينَا رِئاً كَرِيماً جواداً في الفضائل يَا ابْنَ زُهَبٍ
لما من سامه كلب حقيرٌ فلم يمتنع يداؤه لنا برَبِّ
لما عبد الحجارة غير غاوٍ ركيكُ العقل ليس بأيِّ لبٍ
فلما بلغ النبي ﷺ ذلك قال : « صدقت أم ذر : لما عبد الحجارة غير غاوٍ » . وأسلمت وحسن إسلامها .

ر

الرباب بنت امرئ القيس بن غدي :

هي الرباب زوجة الحسين بن علي بن أبي طالب ، كانت شاعرة من خيرة نساء عصرها ، قالت تروي زوجها الحسين لما استشهد بكريلاء :

إن الذي كان نوراً يُنْتَضاء به بكريلاء قتيلاً غير مدفونٍ
سيُبط النبي جزاك الله صالحاً عثاً ، وجُنُبت خُسرانُ الموازين
قد كنت لي جبلاً صعباً الود به وكنت نصحين بالرحم والدين
مَنْ للينامي ، ومن للسائلين ومن يُفتي ، ونأوي إليه كل مسكين
والله لا أبتغي صهراً بصهركم حتى أغيب بين الرمل والطين

ز

زينب بنت العوام بن خويلد القرشية :

شاعرة صحابية ، أسلمت وقيت وعاشت إلى أن قتل ابنها عبد الله بن حكيم بن حرام يوم معركة الجمل ، قرنته ، وذكرت أحباها الزبير بالآيات الآتية :

أعني جوداً بالدموع فأسرعاً على رجل طلق اليدين كريم
زبيرٌ وعبد الله يدعو لحادثٍ وذئ خلع مناء ، وحمل يتم
قتلتم حوارِي النبي ، وصهره وصاحبه ، فاستبشروا بحجيم
وقد هدني قتل ابن عفان قبله وجادت عليه غربي بسجوم
وقد توفيت زينب نحو سنة أربعين هجرية .

س

سعدى بنت كريض :

هي سعدى بنت كريض بن ربيعة بن عبد شمس العيشمية شاعرة إسلامية وهي خالة سيدنا عثمان بن عفان رضي الله عنه ، كانت كاهنة من كاهنات العرب ، قالت في إسلام عثمان بن عفان حين دعاه النبي فاستجاب له :

هدى الله عثمان الصني بقوله فأرشدته ، والله يهدي إلى الحق
فبايع بالرائي السديد عمداً وكان ابن أروى لا يصد عن الحق
وأنكحه المبعوث إخذى بناتيه فكان كبدل مازج الشمس في الأفق
فأنت أمين الله أُرْسِلت في الخلق فدارك يا ابن الهاشميين مهجتي

ش

الشيبيانية :

هي الشيبيانية زوج عبد الله بن عمر بن الخطاب ، وكانت شاعرة من

شواعر الإسلام ، وما يروى من شعرها :

وقلت له لا تطلبن لقاءهم فلأنك إن لاقيتهم غير آيل
لما الناس إلا من قتل وتائل وآخر مأكول دليلاً لا كل .

ص

صفية بنت عبد المطلب :

شاعرة إسلامية ، وسيدة فاضلة أسلمت وبايعت النبي ﷺ ، وهاجرت إلى المدينة . تزوجت في الجاهلية الحارث بن حرب بن أمية ، ثم خلف عليها العوام بن خويلد بن أسد ، فولدت له الزبير بن العوام وشهدت صفية غزوة أحد ، وغزوة الخندق ، وفرض عمر بن الخطاب لصفية ستة آلاف درهم ، وروت عن النبي صلى الله عليه وسلم ، وروى عنها وقالت تفتخر :

الا من مبلغ عني قرئشاً فقيم الأمر فينا والإمار
لنا السلف المقدم قد علمم ولم توفد لنا بالغدر نائر
وكل مناقب الخيرات فينا وبعض الأمر منقصة وعار
وما قالته في الفخر أيضاً :

نحن حفرنا للحجيج زمزم سفيا نبي الله في المحرم
ركضة جريل. ولما يُنْظَم

ومن أبيات لها في رثاء النبي ﷺ قولها :

لِفَقْدِ رسول الله إِذْ خَانَ يَوْمَهُ فَبَا عَيْنُ جُودِي بِالْدموعِ السَّوَاجِمِ
وأيضاً قولها :

إن يؤمأ ألى عليك ليوم كزُرتْ ثمنه وكان ضياء
وتوفيت صفية في خلافة عمر بن الخطاب سنة عشرين هجرية ، ودفنت بالبقيع .

ض

ضباعة بنت غامر بن قرظ :

شاعرة إسلامية ، كانت من أجل نساء العرب وأعظمهن خلقاً ، أسلمت مع النسوة اللاتي أسلمن بمكة ، تزوجت هودبة بن علي الحنفي ثم خلفه عليها هشام بن المغيرة ، أسلم ابنها سلمة بن هشام بن المغيرة ، وهاجر إلى المدينة فقالت في هجرته :

لاهمم رب الكعبة المحرمة انصر على كل عدو سلمة
له يدان في الأمور المبهمة كف بها يُعطى وكف مُنعمة
أجراً من ضرغامة في أجمه يحمي غداة الروح عند الملحمة
بسيفه عورة ميرب المنلحمة

ع

عاتكة بنت زيد :

هي ابنة زيد بن عمرو بن نفيل القرشية ، شاعرة من شواعر العرب ذات جمال وكمال وحسن خلق ورجاحة عقل ، تزوجها عبد الله بن أبي بكر الصديق فقلبت على رأيه وشغلته عن مغازيه ومعاشه وتجارته ، فطلقها ثم راجعها فلما مات عنها تزوجها عمر بن الخطاب ، فلما قتل تزوجها الزبير بن العوام ، ولما قتل الزبير تزوجها الحسين بن علي - رضي الله عنهم أجمعين . وقد رثت عاتكة أزواجها جميعاً ، ومن رثائها لزوجها الأول عبد الله بن أبي بكر :

فله عيناً ممن رأى مثله فنى
إذا شرعت فيه الأسنة خاضها
فأقمت لا تنفك عيني سخينة
مدى الدهر ما غئت حمامة
أكر وأخسى في الهياج وأصبها
إلى الموت حتى يترك الرمح أحمرها
عليك ولا ينفك جلدي أغبرها
وما طرد الليل الصباح المنورا



الفريرة بنت همام :

يقال إنها أم الحجاج بن يوسف الثقفي ، كانت شاعرة ، عشقت فتي من بني سليم يقال له نصر بن حجاج ، وكان أحسن أهل زمانه صورة ، حتى لمحت به النساء في خدورهن ، ومز عمر بن الخطاب ذات ليلة بالمدينة قسّم الفريرة بنت همام نقول :

إلى فنى ماجد الأعراق مقبّل
سهل الهيا كريم غير ملجج
تعميه أعراق صدق غير كاذب
أخي وفاء عن المكروب فرّج
فلما كان الصباح دعاه عمر إليه ووجهه إلى البصرة بعيداً عن المدينة .



قتيلة بنت الحارث بن كلدة :

من الشواعر المحسنات ، روي أنه لما كان النبي صلى الله عليه وسلم بالصفراء ناحية المدينة ، أمر علياً عليه السلام أن يضرب عنق أخيها النضر بن حارث بن كلدة ، فغضبت قتيلة للنبي ﷺ وهو بطوف بالبيت ، واستوقفته ، وجذبت رداءه حتى انكشف منكبه وقالت :

يا ركباً إن الأئيل مظنة
من صبح خامسة ، وأنت موفق
أبلغ به مينا فلان نجمة
ما إن تزال بها الركائب تخفق
فلنسمع النضر إن ناديت
إن كان يسمع ميت أو ينطق
أحمد ولأنت صنو نجيب
من قومها والفحل فحل مفرق
ما كان ضرك لو مثلت وربما
من الفتي وهو الغيظ المحتق
والنضر أقرب من أصبت وسيلة
وأحقهم إن كان عنق يفتق

فبكى رسول الله ﷺ حتى ابتلت لحيته ، وقال : « لو بلغني شعرها قبل أن أقتله لعفوت عنه » .



أم كلثوم بنت عبدود :

هي شاعرة من شواعر العرب ، أخت عمرو بن عبدود بن قيس العامري الذي خرج يوم الحندق يبارز علي بن أبي طالب ، فتنازلا وتحاولا ، فقتله علي بن أبي طالب وذلك سنة ٥٠ هـ ، فنعى عمرو إلى أخته أم كلثوم ، فسألت من قتله ؟ فقيل لها : علي . فقالت : لم يأت يومه إلا على يد كفه كريم وأنشدت :

أسدان في ضيق المكر تحاولا
وكلامهما كفء كريم باسل
فتخالسا سلب النفوس كلامها
وشط المجال مجالد ومقاتل
وكلامهما حر القناع حفيظة
لم يشه عن ذاك شغل شاغل
فأذهب علي فا ظفرت بمثله
قول سيد ليس فيه تحامل



لبابة بنت الحارث بن حزن :

هي لبابة بنت الحارث بن حزن الهلالية الصغرى زوج الوليد بن المغيرة .

وأم خالد بن الوليد ، كانت من فواضل نساء عصرها ، أسلمت وبايعت النبي ﷺ بعد الهجرة فلما توفي ابنها خالد رثته بقولها :

أنت خير من ألف ألف من الد
أسجاع فأنت أشجع من لي
أس إذا ما كبت وجوه الرجال
ث عرين جهنم أبي أنشبال
ل أتى يسيل بين الجبال
أجواد فأنت أجود من سيب



ميمونة بنت عبد الله المزندية :

شاعرة إسلامية ، قالت تحبب كعب بن الأشرف بمرانيه التي رث بها شهداء بدر :

تحت هذا العبد كل تحن
بكث عين من بكى لبدر وأهله
بيكي على قتلى وليس بناصب
وعلت بمثلها لؤي بن غالب
فليت الذين ضرجوا بدعائهم
يرى ما بهم من كان بين الأخاشب
فيعلم حقاً عن يقين ويصروا
بجرهم فوق اللحى والحواجب



نائلة بنت الفرافضة :

هي زوجة عثمان بن عفان ، زوجها أخوها صلب لعثمان ، فلما لمحت إليه ، كرهت الغربة وحزنت لفراق أهلها ، فأنشأت تقول :

ألت ترى يا صلب بالله أني
إذا قطعوا حزناً تحت ركايبهم
مصاحبة نحو المدينة أركبا
كما زعزعت ربح يراعا مثقبا
لقد كان في أبناء حصن بن ضمضم
قضى الله حقاً أن تموت غريبة
وقالت نائلة ترثي عثمان بن عفان :

ألا إن خير الناس بعد ثلاثة
ومالي لا أبكي وبككي قرابي
قتيل النجيب الذي جاء من مصر
وقد غيبت عنا فضول أبي عمرو



هند بنت أثالة :

هي هند بنت أثالة بن عباد بن المطلب ، شاعرة من شواعر العرب ، أسلمت وبايعت النبي ﷺ ، ولما كان يوم أحد ، ووقفت هند بنت ربيعة ونادت قائلة :

نحن جزيناكم بيوم بدر
فأجابتها هند بنت أثالة :
خزيت في بدر وبغد بدر
صبخك الله غداة الفجر
يا بنت وقاع عظيم الكفر
بالهائمين الطوال الزهر
بكل قطاع حسام يقري
إذ رام شيب وأبوك غدري
والحرب بعد الحرب ذات سعر
فأجابتها هند بنت أثالة :
ونذرك السوء فشر نذر

وقالت ترثي عبيدة بن الحارث بن المطلب :

لقد ضمن الصفراء مجداً وسودداً
عبيدة فألكيه لأضياف غربة
وحلم أصيلاً وأمر اللب والعقل
وأزمنة تهوي لأشعث كالجذل
وتشتيت قدر طالما أزيدت تغلي
وبكيه للأيتام والريح زفر

مدينة الاسكندرية

نشرتم في العدد السادس عشر (شوال ١٣٩٨ هـ) مقالاً للسيد جلال العشري من مصر عن (الاسكندرية) .

ولكون مجلتكم مجلة ثقافية تصدر عن الرياض، عاصمة المملكة العربية السعودية، حامية الحرمين الشريفين ومنطلق الدعوة الإسلامية ذات الثقافة الإنسانية الصحيحة، يبرجوا الشباب المثقف (الذي اجتاعه اللغظ) - في دمشق وسورية كلها بسبب ما ورد في المقال المذكور- الإجابة على صفحات مجلتكم الزاهرة عن الأسئلة التالية :

١ - ما هي الآراء الحاشطة التي قضى عليها ثيوفيلوس (الاسكندري) في مجمع القسطنطينية عام ٣٨١ ميلادية (ص ٤٥) .

٢ - ما هي بدعة نسطور وغيره من الهرطقة التي كان لـ (كيرلس الأول) أسقف الاسكندرية الفضل الأكبر (١٩) للقضاء عليها في مجمع افسوس عام ٣٤١ ميلادية (ص ٤٥) .

٣ - ذكر السكاك المذکور في ذات الصفحة (٤٥) ، أن مصر دخلت تحت راية الإسلام في النصف الأول من القرن السابع الميلادي ، فمن كان سكان مصر قبل ذلك التاريخ ، وحتى وقت ذلك التاريخ ، بل ومن هم سكان مصر وقتذاك حتى دخلوا تحت راية العرب والإسلام . وما هي اللغة التي كان النطق بها سائداً بينهم ١٩ .

إننا بشوق زائد لقراءة الأجوبة المطلوبة في صفحات المجلة بأقرب عدد يصدر منها لأهمية وحظوة الموضوع .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

خير الله صبحي الجعفري

سورية - دمشق

المجلة : بعض استلثك نأمل أن يطالعها الكاتب . علماً بأن مساحة النشر للموضوع لا تسمح بنشر التفاصيل ، ويمكن تسليط الضوء على بعض الجوانب في الوقت الذي يستطيع القارئ الذي يرغب في التفاصيل مراجعة كتب التاريخ . . . وتستطيع الاطلاع على كتب التاريخ المصري والموجودة في كل المكتبات لتجد الإجابة على استلثك التي لا

تتبع صفحات المجلة كلها للإجابة عليها بشكل جيد وموسع .

طفل الأنابيب

تردد في الأيام الماضية نبأ ولادة مواليد أنابيب الاختبار ، ففي لندن رأينا على شاشة التلفزيون العربي السوري قبلها عن ولادة مولود أنبوب الاختبار في ٢٥ حزيران (يوليو) ١٩٧٨ م . كما اعتقد . وقد قال العلماء الإيطاليون بأنهم سبقوا الانكليز في هذه التجربة ونجحت . إنما خوفهم من رجال الدين حال بينهم وبين إذاعة هذا الخبر على الملأ . كما أن العلماء المهتد أيضاً قد قاموا بمثل هذه التجربة والسؤال الآن : ما هو رأي الشرع في هذه المواليد أهـي شرعية ؟ وكيف تم هذه العملية وما هي الظروف التي تم فيها هذه التجارب ؟ وما هو تأثيرها على الجنس البشري في المستقبل ؟ فكما هو معلوم أن معظم الناس يرغبون بالذكور ، أليس هناك خطر ، وما هي الدول التي قامت بها حتى الآن ، أرجو في الأعداد القادمة أن أقرأ في مجلتكم القراء موضوعاً بهذا الخصوص .

منذر قباني

حلب - سورية

المجلة : طالع العدد ١٨ من مجلة الفيصل الصادر في شهر ذي الحجة ٩٨ (سنة الشهر) عن هذا الموضوع ستجد أنه يرد على استلثك .

لكل مجلة طابعها الخاص

إن المجلة لا تهتم الاهتمام الكافي برسائل القراء إليها . والدليل على ذلك هو تخصيص صفحة واحدة للرد على تساؤلات القراء وهي الصفحة الأخيرة . واعتقد من جهتي بأن هذا إهمال غير مقصود . . . بسبب ضغط المواد المنشورة . ولكن من جهة أخرى ، وبما أن مجلة الفيصل مجلة حديثة الصدور نسبياً . . . وبالتالي يهمل إدارة المجلة الاطلاع على أكبر قدر ممكن من رسائل وآراء واقتراحات القراء لتكوين فكرة من قبل الإدارة عن مدى استيعاب القراء للمجلة وردود الفعل من جهة ثانية . . . كذلك لو أننا باجاء مقارنة بسيطة بين الاهتمام الذي توليه

مجلات عربية أخرى برسائل وآراء القراء . ثم قارنا بين ما توليه «الفيصل» لرسائل القراء من اهتمام ، لرأينا بأن الفارق كبير . . . السمع معي في هذا الأمر ؟! إن مقدار الاهتمام لأي مجلة كانت بأراء القراء يتحدد في الاهتمام بهذه الآراء وتنفيذ الجيد منها مع تخصيص العدد الكافي من صفحات المجلة للرد على تساؤلات القراء .

لذلك بناء على ما سبق ، أرجو منكم الاهتمام بهذا الموضوع ومنح رسائل القراء الاهتمام الكافي .

مع جزيل الشكر سلفاً

محمد فتحي الداغستاني

سورية - حمص

المجلة : تهتم المجلة اهتماماً كبيراً برسائل القراء بغض النظر عن المقارنة التي أوردتها في رسالتك . والدليل على ذلك تلك الأبواب الثابتة والمتنوعة التي تدور جميعها حول رسائل القراء ، وهي «مع الأصدقاء» ، «ردود قصيرة» ، «سؤال وجواب» ، «اكتب وردت إلى المجلة» ، وجميعها يصل إلى ست صفحات . ولعل توزيع الرسائل على هذه الأبواب هو الذي جعلك تتصور أن الرسائل محصورة وقاصرة على باب «مع الأصدقاء» . فإذا أضفنا إلى هذه الأبواب سبل الرسائل الخاصة بالمسابقة ، والتي تقرأ بعناية وتفرز فزراً دقيقاً لأدركت مدى الجهد الذي تقوم به المجلة من أجل قرائها الأعزاء . ولانتمت أننا لا نعمل ولا يمكن أن نعمل أي رسائل تصل إلى المجلة . . . ومع هذا فنحن نشكرك على هذا الشعور الطيب نحو المجلة .

علماء العرب المجهولين

* أرجو أن تزودنا المجلة بمعلومات عن العلماء العرب الذين تتأسسهم البشرية وأفادت من أعمالهم أوروبا من أمثال الكاشي والكرجي والحازن . . . على أن نقرأ في كل عدد دراسة عن أحدهم .

فائق الطباع

سورية

●● المجلة : الكاشي هو «غياث الدين الكاشي» الذي ظهر في أواخر القرن الرابع عشر الميلادي وتوفي في القرن الخامس عشر الميلادي . واشتهر في علم الفلك برصد الكسوفات التي حصلت في

الأعوام ١٤٠٦ ، ١٤٠٧ ، ١٤٠٨ ميلادية . . من مؤلفاته ما يبحث في كيفية تعيين سنة محيط الدائرة إلى قطرها . وله كتابان هما «مفتاح الحساب» و «تلخيص المفتاح» جمع فيها بين الحساب والهندسة والجبر . أما «الكرجي» فهو «الكرخي» واسمه بالكامل «أبو بكر محمد بن الحسن الكرخي» من كبار الرياضيين العرب وله كتاب بعنوان «الكافي في الحساب» وكتاب «الفخري في الجبر» وتوفي في بين عامي ١٠١٩ و ١٠٢٦ م . وأما الحازن فهو «أبو جعفر الحازن» الشوفي حوالي ٩٦٠ م . والتولى بحراسان وهو رياضي وفلكي عربي ، كتب تعليقات على أعمال اقليدس وخاصة الكتاب العاشر وقد حل معادلة الماعاني باستخدام القطاعات الخروطية .

هذه معلومات أولية نأمل أن يغنيها مستكملة في دراسات منفصلة ومنحصصة في الأعداد المقبلة من المجلة بإذن الله

لوحة الموناليزا

* قرأت في عدد ١٥ (رمضان) في صفحة ١٣٠ ، موضوعاً بعنوان لوحة وفنان . أما اللوحة فأعرف أن اسمها «موناليزا» ولكن لا أعرف عنها أكثر من ذلك . . أرجو أن تكتبوا عنها في عدد قادم بالتفصيل ولكم جزيل الشكر .

إبراهيم محمد الخطاني

عنزوة - المملكة العربية السعودية

●● المجلة : «الموناليزا» هو اسم اللوحة التي رسمها الفنان الإيطالي «ليوناردو دافنشي» ١٤٥٢ - ١٥١١ م . وقد كان إلى جانب موهبته في التصوير ، مثلاً ومعمارياً وموسيقياً ومهندساً وعالمًا في الميكانيكا والتشريح والجيولوجيا والنبات . . . وأما لوحته فقد تالت شهرتها لتصبحها الذي ينح للمعاهد من كل جانب أن يرى عيني المرأة المشعة وهي تنظر إليه . . . وتفسير ذلك أن «دافنشي» لم يكتف بتصويرها تصويراً فنياً حياً ولكنه استخدم معرفته الهندسية في هذا التكنيك الذي افترد به حتى الآن .



● الأخ محمد سعيد نوري المسة .

دمشق . سورية

رئيس التحرير يشكرك على غيتك بمناسبة عيد الأضحى ، راجين الله تعالى أن يعيده على الأمة الإسلامية والعربية بالخير والاستقرار والتضامن .

● الأخ عماد مختار . حمص . سورية

الأمور لا تناقش بغضب .. لقد أعطيت القضية التي أشرت إليها أكبر من حجمها . ومع ذلك فنحن نحترم رأيك ، ونأمل أن تكون المجلة كما تحب لها أن تكون .. ولك أطيب مشاعرنا .

● الأخ محمد سلطان زمزمي . مكة المكرمة ، السعودية

طالع ص ١٦٢ م . من كل عدد لمعرفة كيفية الاشتراك في المجلة .. مع تحياتنا .

● الأخت ردينة عبد الهادي الحكيم . مصياف . سورية

طريق الشعر والأدب شاق ، وطويل تتطلب زادا كبيراً من المعرفة والقدرة ، والثقافة ، والنضج ، وهذا يعني أن دراستك في الوقت الحاضر تحتاج إلى جهودك ، وتركيزك ، وهذا لا يمنع من تنمية موهبتك الشعرية .. لكن الوقت بالنسبة لك ما زال مبكراً في الوقت الحاضر .. نرجو لك مستقبلًا حافلًا بالنجاح .

● الأخ غسان العظم . حماة . سورية

لقد غمرتنا بفيض مشاعرك النبيلة .. نشكر لك شعورك ، ونسأل الله أن يوفقنا لخدمة الثقافة العربية والإسلامية .

● الأخ فتى الزلبي . الزلبي . السعودية

أطمئن فالمجلة سوف تكتب عن كل المدن السعودية .. وكما تلاحظ فهي رغم عمرها القصير ، إلا أنها كتبت عن المدن التاريخية الكبيرة في المملكة .. وسوف يأتي دور مدينتك .

● الأخ عدنان البهلول . جدة ، السعودية

نشكراً لشعورك نحو المجلة .. وموضوعك وصل متأخراً ، وكما تلاحظ عنايتها بالموضوع الذي تعرضت له ، ولكن يتوسع ، ونعتقد أن ذلك فيه الكفاية .. مع عميق تحياتنا .

● الأخ يحيى محمد موسى . صنعاء . اليمن

بإمكانك الاطلاع على الصفحة ١٦٢

من المجلة لمعرفة قيمة الاشتراك السنوي في المجلة ، وكيفية التحول .

● الأخ عدنان السائس . دمشق - سورية

أسباب عدم نشر نتائج مسابقة المجلة وأجوبتها انشغال لجنة المسابقة بمناسبة الحج .. وسوف نشر النتائج مع الأجوبة مستقبلاً كالمعتاد .. وشكراً .

● الأخت عمرة سيد العاصي . الجربا - القامشلي - سورية

نشكرك على غيتك بالعام الفجري الجديد سائلين الله أن يجعله عام خير وبمن ونصر واستقرار ، وطيبك صورة للشهيد الملك فيصل نأمل أن تكون الصورة المنشورة في العدد ٢١ كافية ، داعين للشهيد بالرحمة والغفران .

● الأخ عصام هيبان . حماة - سورية

شكراً على مشاركتك الطيبة نحو المجلة ، وننقل إليك تحيات رئيس التحرير وجميع العاملين في المجلة .. وطيبكم نشر صورة لواعير حماة على الغلاف نأمل تحقيقه عند الكتابة عن هذه المدينة .. أما تأخير المجلة فإذا حصل في السابق فإنه لن يحصل مستقبلاً ، خاصة بعد أن أصبحت ترسل إلى سورية قبل بداية موعد صدورها بيومين تقريباً .. والدليل على ذلك العدد ٢٠ ، وما سيليه من أعداد .

● الأخ محمد عبد الرحمن عبد الله السببين . الرياض - السعودية

اقتراحتك جيدة ، إلا أن المجلة أساساً موجهة للمثقفين وليست للأطفال ، لهذا السبب يتعذر تحقيقها .. مع شكرنا وتحياتنا .

● الأخ محمد أحمد محمد فضل . المولى - الخرطوم - السودان

بإمكانك الكتابة إلى جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض ، أو الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة مباشرة مع إرفاق صور شهادتك ، وهذه هي الطريقة الصحيحة لتقديم الطلبات ، وسوف تتلقى ردماً على عنوانك .

● الأخ إبراهيم أحمد جمعة . دمشق - سورية

لقد غمرتنا بشعورك النبيل .. وسعدنا أن ننقل إليك شكر رئيس التحرير وكل العاملين في المجلة على هذا الشعور سائلين الله أن يوفق الجميع لما فيه الخير والصلاح .

● الأخ محيي الدين اليافي . دمشق - سورية

دمشق - سورية

بإمكانك الحصول على العدد ١٨ من المجلة من شركة التوزيع في دمشق ، أو بسؤال أية مكتبة .. أما طلبك الإجابة عن الرجل الذي اتضح أنه حامل نتيجة التحاليل التي أجريت له مع الصور فنأسف لعدم توفر طلبك ، وعدم إمكانية الإجابة على شيء لأن جوابك لم يتضمن أي سؤال ، وفيما يخص هدية المجلة فقد عوضنا القاري عنها بكثير من الأبواب ، واللوحات ولن نبخل بذلك إذا توفرت هدية مناسبة ذات قيمة تاريخية .

● الأخ جمال صلاح فقير - سورية

شكراً لأعجابك بالمجلة ، ونأسف لعدم استطاعتنا تحقيق رغبتك في نشر صورة لاعبي كرة القدم ، لأن هذا الموضوع له علامته التي تعني به .

● الأخت حنة حامد أحمد عبد الجبار - الطائف

نشكر لك مشاعرك الكريمة نحو المجلة .. وفيما يتعلق بدائرة المعارف ورغبتك في أن تكون عامة كما كانت في السنة الأولى وجهة نظر ، ومع ذلك فهناك وجهات نظر تطالب بالتخصيص .. وعموماً سوف نحرمص على إرضاء الطرفين بقدر استطاع .. والمجلة للجميع .

● الأخ أحمد البوزيدي - صفرد - المغرب

اقترحك تأخذ به المجلة ، ومع ذلك سوف نحرص على التركيز على القضايا التي أشرت إليها .. مع شكرنا الصادق لمشاركتك الراقية .

● الأخ مروان العرجي - السلمية - سورية

نأمل أن ينشر اسمك صحيحاً دون تحريف كما حدث في المرة السابقة .. ومع اعترافنا في شجاعة بالأخطاء المطبعية التي تحدث رغم حرصنا ، وحرص الصحاحين الشديد على تلافي هذه الأخطاء إلا أن رسائل القراء ، وخطوطهم تساهم أحياناً في هذا الخطأ ، ولو راجعت رسالتك لوجدت أنك كتبت اسمك مرة «مروان» ، وأخرى «محوان» فكيف نوفق بينهما ، ومع ذلك نعود ونكرر القول إن الكمال لله وحده . ونحن نقدر مشاركتك النبيلة نحو المجلة والعاملين عليها ، ونعزز مشاعر كل الأخوة القراء .. والمقترحات ، والأفكار كثيرة ، إلا أن المهم توافر القدرة على التنفيذ مع الاستمرار .. ونشكركم لأننا لا نألو جهداً في تقديم ما يقيد القاري ، ويسري عقله ووجدانه .. والله الموفق .



شوقي أمير الشعراء ..

لماذا

كتب صدر عن سلسلة «كتابك» ، التي تصدرها دار المعارف المصرية .. عبارة عن قراءة ، بقلم فتحي سعيد نفع في ٥٦ صفحة ، من القطع الصغير ، تعرض من خلالها لجوانب من حياة الشاعر أحمد شوقي ، وشعره وبعض معاصره .

المسحوق السحري ..

ومسرحيات أخرى

تأليف غبريال وهبة .. ضمت أربع مسرحيات قصيرة هي «العدو» ، باللهجة العامية ، «محكمة العدو» ، بالفصحى من شخصياتها : المدة ، القلب ، الصحة الجيدة ، بالعلوم الخ ، ومسرحية «المسحوق السحري» ، التي جعلها عنواناً للمسرحيات الأربع ، أما المسرحية الرابعة ، فهي بعنوان «رفقاً بأبني» ، وقد مزج حوارها بين العامية الشامية ، والزجل إلى جانب الفصحى ، ويشير المؤلف في أهدائه إلى أنها مجموعة من المسرحيات العلمية ، تقع المجموعة في ١٢٦ صفحة من القطع الصغير ، الناشر مكتبة الانجلو المصرية بالقاهرة .

ملح على جرح

رواية طويلة ، من تأليف محمد حنين شرف ، أهداها إلى والديه ، وجعل شعارها «المأساة الإنسانية» .. تقع في ٢٤٠ صفحة ، مطبعة دار الكتاب بدمشق .. وقد سبق أن أصدر المؤلف بعض الأعمال ، مثل «فيسوس» ، «أمر الغرياء» ، «هس الغروب» ، وسوف يصدر له عملان : «دستون الحب» ، «غزل» ، «القرين» رواية .

القنقاع بن عمرو

فارس بني تميم

دراسة فيها تمحولات تناول فيها المؤلف «محمد أمين الميداني» ، حياة الفارس العربي المسلم القنقاع بن عمرو ، من قبيلة تميم بن مر ، نشأته في الجاهلية ، ثم إسلامه والمعارك التي خاضها ببسالة وشجاعة ، وقد استطاع المؤلف أن يسلط الضوء على شخصية القنقاع من خلال عدد من المصادر والمراجع القديمة والمعاصرة .. طباعة أنيقة من القطع المتوسط ، ويقع في ٢٠٤ صفحات ، إصدار «مؤسسة الرسالة» في لبنان .

حركة الشعر الحديث

«حركة الشعر الحديث من خلال

أعلامه في سورية» ، هو عنوان الكتاب الذي ألفه الدكتور أحمد بسام ساعي ، مدرس الأدب الحديث بجامعة تشرين في اللاذقية .. وقد قسم الكتاب إلى أبواب ثلاثة ، أولها عن الفنون الشعرية الحديثة من شعر العروض الخليلي إلى الشعر المرحي والقصيدة الحديثة ، وثانيها عن التعبير الفني فيما يتعلق بالشكل والمضمون والظواهر اللغوية ، وموسيقى الشعر والرموز والصور ، وثالثها عن المضمون الحضاري من الناحية الفكرية ومظاهر الاغتراب والتمرد وقضايا الالتزام ، ثم يختم البحث بدراسة عن مستقبل الشعر السوري .. والكتاب يقع في ٥٦٠ صفحة من القطع المتوسط ، ونشرته دار المأمون للتراث بدمشق ، في العام ١٣٩٨ هـ / ١٩٧٨ م .

أمسي

مجموعة من القصائد الشعرية كتبها الشاعر السوري عمر بهاء الدين الأميري بخط يده ، ومن عنوان الديوان يتضح مضمونه فقصائده كلها عن أمه ، وقد سبق أن صدر للشاعر ديوان «أب» .

والديوانان يعكسان مدى تعلق الشاعر بوالديه ومكانتهما في نفسه .

ضم الديوان مجموعة كبيرة من القصائد ، وفي نهايته بعض رسائل وقصائد الرثاء التي تلقاها الشاعر بمناسبة وفاة أمه .. والديوان يقع في ٣١٨ صفحة من القطع الصغير .. طباعة دار الفتح ، بيروت .

* الإنسان والحرمان *

ديوان الشاعر أحمد عصام الدين الغزالي ، ويضم أكثر من مئة قصيدة تناولت أغراضاً مختلفة ، في الوطنية والعقيدة ، والغزل ، والنسائيات ، وغيرها . بعض القصائد لا تتعدى الأربعين أبيات ، هذا احتوى الديوان على مجموعة كبيرة من القصائد . يقع الديوان في ٥٦ صفحة من القطع المتوسط ، إصدار اتحاد طلاب كلية الهندسة - جامعة القاهرة .

العسل

فيه شفاء للناس

تناول فيه مؤلفه الدكتور محمد نزار الدقر ، اختصاصي الأمراض الجلدية والتناسلية والعلاج التجميلي ، العسل ، من جميع الجوانب ، تاريخياً من خلال استعراضه لمكانة العسل عند الشعوب القديمة ، واستطباته ، ومكوناته ، وخواصه ، والأمراض التي يعالج بها العسل . وقد برز جهد المؤلف في إخراج هذا الكتاب القيم ، من خلال تلك المراجع والمصادر باللغات العربية ، والإنجليزية ، والإسبانية ، والروسية ، والإيطالية ، والبلغارية ، والألمانية .. وقد حاز الكتاب على جائزة المنظمة العربية للثقافة والعلوم ، جامعة الدول العربية .. إصدار المكتب الإسلامي ، دمشق ، سورية ، وهذه هي الطبعة الثانية .. يقع الكتاب في ٢٤٧ صفحة من القطع المتوسط .. مزود بالصور والرسوم البيانية .

اعتقاد السلف

كتب من تأليف الشيخ عبد الله خياط ، الخطيب بالمسجد الحرام ، في مكة المكرمة . ومستشار وزارة المعارف ، سلط من خلالاته الأخوة على معالم العقيدة الإسلامية ، وتبيان أظهر أصولها وقواعدها .. كتب مقدمته ابنه «أسامة عبد الله الخياط» ، الناشر دار الثقافة للطباعة والتركيب .. ويوزع مجاناً على نفقة معالي الشيخ عبد الرحمن بن حسن العمران .. يقع الكتاب في ٢٤ صفحة من القطع المتوسط .

احصائية الحجاج

لعام ١٣٩٨ هـ / ١٩٧٨ م

أصدرت وكالة وزارة الداخلية للجوازات والأحوال المدنية ، هذه الاحصائية لعام ١٣٩٨ هـ / ١٩٧٨ م ، وقد اعتادت إصدار مثل هذه الاحصائية كل عام .. وقد بلغ عدد الحجاج القاصدين من خارج المملكة ، لهذا العام (٨٣.٢٣٦ حاجاً) ، في الوقت الذي كان عددهم في العام الماضي ٧٧.٩٩٧ م ، (٧٣.٣١٩ حاجاً) ، أي بزيادة (٩.٩١٧ حاجاً) .. كتب المقدمة صاحب السمو الملكي الأمير نايف بن عبد العزيز وزير

الداخلية .. وقد طبعت الاحصائية في كتاب ، احتوى على كلمة صاحب السمو الملكي الأمير فهد بن عبد العزيز نائب جلالة الملك وولي العهد ، في وفود حجاج عام ١٣٩٨ هـ / ١٩٧٨ م .. يقع الكتاب في ٤٧ صفحة باللغة العربية + ٤٧ صفحة باللغة الإنجليزية

نبضات لا تموت

رواية للاديب أحمد فريد ، يصور فيها حياة الإنسان المتهور نتيجة إخلاله وأمانته ، فإذا ما تخلى عنها فتحت أمامه الأبواب .. ومع هذا يظل يقاوم حتى يكسب نفسه .. الرواية تقع في ٢٩٠ صفحة من القطع الصغير ، مقسمة إلى سعة فصول ، صدرت عن مطبعة المعرفة عام ١٣٩٦ هـ / ١٩٧٦ م ، بالقاهرة .

تعليم اللغة العربية

أقام اتحاد الجامعات اللغوية العربية ، ندوة عن «تيسير تعليم اللغة العربية» بالجزائر عام ١٣٩٦ هـ / ١٩٧٦ م .. وقد أصدر الاتحاد كتاباً سجل فيه وفائع الندوة .. قدم للكتاب الدكتور إبراهيم مذكور رئيس الاتحاد ، وكان قد قدم الندوة الدكتور أحمد طالب الإبراهيمي ، وزير الإعلام والثقافة الجزائري .. يقع الكتاب في ١٥٢ صفحة من القطع الكبير ، وصدر عام ١٣٩٧ هـ / ١٩٧٧ م .

قاموس عربي - إنجليزي

في الخامسة

صدر هذا القاموس للسيد طلال أبو غزالة ، ويعد الأول من نوعه ، حيث ضم حوالي ٨٠٠٠ مصطلح من المصطلحات المتداولة عادة في علم الخامسة الذي تدور في أطواره أعمال ومشاريع ومؤسسات طلال أبو غزالة نفسه إلى جانب مفتاح خاص بالمفاهيم في أول القاموس . ويقول مؤلفه إن هدفه من إصدار هذا القاموس ، هو توحيد اللفظة الخامسة ذات المعنى الواحد .. يقع القاموس في ٢١٠ صفحات من القطع الكبير ، نشر مؤسسة مأكيميلان البريطانية .

مسابقة مجلة الفيصل

نتيجة مسابقة العدد السادس عشر

شروط المسابقة وإيضاحات أخرى

١- قيمة المسابقة عشرة آلاف ريال سعودي .. موزعة على عشر جوائز على النحو التالي :

أ - الجائزة الأولى ٣٠٠٠ ريال

ب- الجائزة الثانية ٢٠٠٠ ريال

ج- الجائزة الثالثة ١٥٠٠ ريال

إلى جانب سبع جوائز مالية أخرى قيمة كل جائزة (٥٠٠ ريال سعودي)

٢- المطلوب الإجابة على جميع الأسئلة .. ورافقها مع قسيمة العدد الخاصة بالمسابقة موضحا عليها الاسم ثلاثيا أو رباعيا - إن أمكن - مع وضع العنوان بوضوح لضمان وصول قيمة الجائزة إلى المشترك في المسابقة حالة الفوز .

٣- ترسل الاجابات على العنوان التالي :

(الرياض-المملكة العربية السعودية -مجلة الفيصل- ص.ب. (٣) المسابقة) .

مع ذكر رقم المسابقة على الغلاف من الخارج .

٤- أية إجابة تصل بعد ٤٥ يوما من صدور العدد لا يلتفت إليها .

٥- ننصح بمتابعة أعداد المجلة لأن أغلب أسئلة المسابقة سوف يجدها القارئ في ثنايا المواضيع المنشورة فيها .

٦- من حق القارئ أن يشترك باسمه في المسابقة الواحدة أكثر من مرة على شرط ارفاق قسيمة المسابقة مع كل رسالة .

● من السعودية فاز الأخ (خالد محمد علي يماني- مكة المكرمة- حي العزيزية م ٣٧) بالجائزة الأولى وقيمتها (٣٠٠٠) ريال سعودي .

● من سورية فاز الأخ (محمد واصل صوان- جامعة حلب- كلية العلوم الأساسية) بالجائزة الثانية وقيمتها (٢٠٠٠) ريال سعودي .

● من مصر فاز الأخ (الدكتور محمد عبد الرزاق شرف الدين- مستشفى طنطا الجامعي) بالجائزة الثالثة وقيمتها (١٥٠٠) ريال سعودي .

كما فاز كل من الأسماء التالية بجائزة قيمتها (٥٠٠) ريال سعودي، وهم :

١ - من لبنان الأخ (فاضل فياض سكرية- مدرس تكيلي- البقاع- بعلبك- الفسكهة- حي الجامع) .

٢ - من الأردن الأخ (عبد ربه خليل الحواجرة- جريدة الدستور- عمان- ص.ب. ٥٩١) .

٣ - من المغرب الأخت (كريمة سباعي- ٣٠ زنقة فرانسفيل الوازيس- الدار البيضاء) .

٤ - من الإمارات العربية المتحدة الأخ (غالب أبو عابيد، مهندس زراعي- الشارقة- ص.ب. ٣٨٥) .

٥ - من مصر الأخت (هبة عبد الجليل عمشة- المجلس المحلي- محافظة بور سعيد) .

٦ - من المدينة المنورة الأخ (عبد الرحمن عبد العزيز الشيل- ص.ب. ١٤٩٨) .

٧ - من سورية الأخت (نادرة مصطفى الحلواني- حماة- شارع الجاحظ رقم ٧ قرب البريد) .

نهائينا للفائزين ، ونتمينا لبقية الأخوان بالفوز في مسابقات قادمة .. والله الموفق .



السؤال الأول :

للقنص عند العرب - ويطلق عليه البيزرة - مكانة هامة .. اذكر اسم أول من صاد بالصقر ، وأول من صاد بالفهود في التاريخ العربي والإسلامي (مجلة الفيصل - العدد الأول - السنة الثانية) .

السؤال الثاني :

ما هي اللغات الرسمية هذه البلدان (أفغانستان - سويسرا - إسبانيا - الحبشة - رومانيا) ؟

السؤال الثالث :

كيف تم عملية المداعبة والتزواج بين الذكر والأنثى عند الفُراش ؟ (مجلة الفيصل - العدد السابع - السنة الأولى) .

السؤال الرابع :

أول مؤذن في الإسلام .. كان مولى ثم اشتراه أبو بكر الصديق وأعتقه .. أذن عام الفتح .. اشترك مع أبي عبيدة في فتح الشام .. ما اسمه ، وأين توفي ؟

السؤال الخامس :

رباعيات الخيام ترجمت شعراً ونثراً إلى العربية من اللغتين الفارسية والإنجليزية .. اذكر أسماء الأدباء الذين نقلوها إلى العربية (مجلة الفيصل - العدد ٢١ - السنة الثانية) .

السؤال السادس :

ما اسم أول جريدة صدرت باللغة العربية .. وفي أي عام صدرت ؟

السؤال السابع :

في أية مناسبة يضرب كل من الأمثال التالية :
(سبق سيله مطره - ثار حابلهم على نابلهم - تحككت العقرب بالأفعى - اتبع الدلو الرشاء - كالحادي وليس له يعير) . (راجع مجلة الفيصل) .

السؤال الثامن :

سباق في العدو لمسافة طويلة .. ارتبط اسمه بقرية إغريقية .. وبروى أنه في عام ٤٩٠ ق . م ، عدا شاب من هذه القرية إلى مدينة أثينا لينقل نبأ انتصار الانيين على الفرس .. أدخل هذا السباق في الدورة الأولى للألعاب الأولمبية الحديثة عام ١٨٩٦ م ، ويقام هذا السباق في الولايات المتحدة سنوياً برعاية جمعية بوسطن للألعاب الرياضية .. ماذا يطلق على هذا السباق ؟

السؤال التاسع :

ما اسم أول مجلة أسبوعية للأطفال صدرت في المملكة العربية السعودية .. ومتى ؟ (مجلة الفيصل - العدد ٢١) .

السؤال العاشر :

من أول من وضع أصول علم النحو .. وأول من وضع النقاط على الحروف في اللغة العربية ؟

تقسيمية
مسابقة مجلة
الفيصل

● العدد ٢٣ ●

أجوبة مسابقة العدد السادس عشر

- ج ١ القدس فتحت بقيادة أبي عبيدة بن الجراح - الإسكندرية فتحت بقيادة عبادة بن الصامت ، صقلية فتحت بقيادة أبي عبد الله أسد بن الفرات .
- ج ٢ ★ لا في العير ، ولا في النفر : يضرب للرجل يحط أمره ، ويصغر قدره .
★ تقطع أعناق الرجال المطامع : يضرب في مذلة الطامع .
★ اسمع جمعة ، ولا أرى طحناً : يضرب لمن يعد ، ولا يفي .
★ المزاحه تذهب المهابة : يضرب في ذم المزاح .
★ جاء بالهيل والهيلان : يضرب لمن جاء بالماء الكثير .
- ج ٣ مخترع التليفزيون (جون بيرد) ، مكتشف الراديو (ماري كوري .. أو مدام كوري) ، أشعة اكس (رونجن) ، آلة التصوير السينمائي (الفرنسي لوي لوميير) ، الطباعة (جوتنبرج) .
- ج ٤ واضع علم العروض الخليل بن أحمد الفراهيدي .
- ج ٥ أول صحيفة يومية صدرت في العالم « لاغازيت لايتسغ » عام ١٦٦٠ م .
- ج ٦ سمي جبل المكبر في فلسطين بهذا الاسم لأن الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه وقف عليه أثناء الفتح الإسلامي للقدس بقيادة أبي عبيدة بن الجراح ، بعض الوقت ، ثم رفع صوته مكبراً الله أكبر ، فارتفعت من بعده أصوات المسلمين فسمي منذ ذلك الحين « جبل المكبر » ، وكان يسمى جبل « سكوبس » .
- ج ٧ هناك من يرى أن مدينة الرياض عاصمة المملكة العربية السعودية نشأت في الفترة الواقعة بين نهاية القرن الحادي عشر ، وبداية القرن الثاني عشر ، وكانت تسمى قديماً (حجر) .
- ج ٨ ★ الجامع الأموي في دمشق ، شيده الوليد بن عبد الملك .
★ الجامع الأزهر في القاهرة ، شيده جوهر الصقلي .
★ مسجد خالد بن الوليد في حمص ، شيده الظاهر بيبرس .
★ جامع قرطبة ، شيده عبد الرحمن الداخل .
★ جامع الكتبية في مراكش ، شيده يعقوب المنصور الموحيدي .
- ج ٩ الأمانة العامة للأمم المتحدة يرأسها الأمين العام ، ومهمتها إدارة أعمال وجلسات مجلس الأمن ، وحفظ الوثائق والمستندات ، وتقديم التقارير السنوية للجمعية العامة عن نشاطات المجلس خلال العام .
- ج ١٠ النيتروجين غاز يحتل أربعة أخماس الهواء الجوي ، ضروري للحياة ، عديم اللون ، والطعم والرائحة ، لا يحترق ، ولا يساعد على الاحتراق ، قليل الذوبان في الماء ، لا يتحد بسهولة مع العناصر الأخرى .

ALFAISAL MAGAZINE

MONTHLY CULTURAL MAGAZINE
PUBLISHED BY
AL-FAISAL CULTURAL HOUSE

All Correspondence To :
Riyadh-Saudi Arabia
Al-Faisal Magazine
P.O.Box 3
Tel.: 41968

الفصل

مجلة ثقافية شهرية
تصدر عن
دار الفیصل الثقافية

المراسلات
الرياض - المملكة العربية السعودية
مجلة الفصل
ص.ب (٣)
هاتف : ٤١٩٦٨

في أوروبا.. وأمريكا.. وآسيا

١.٢٥ جنيه استرليني	بريطانيا وأيرلندا
١٠ فرنكات	فرنسا
٧.٥ فلورن هولندي	هولندا
١٠٠ فرنك بلجيكي	بلجيكا
٧ فرنكات سويسرية	سويسرا
٧ ماركات ألمانية	ألمانيا الغربية
٢٠٠٠ ليرة إيطالية	إيطاليا
١٠٠ بيتزا اسباني	إسبانيا
٨٠ اسكودو	البرتغال
١٠٠ درهما	اليونان
١٥ كرونا	الدانمرك
١٥ كرونا	النرويج
١٥ كرونا	السويد
١٥ كرونا	فنلندا
٢.٥٠ دولاران ونصف	الولايات المتحدة الأمريكية
١٠ روبيات	الباكستان

الإعلانات :
يتفق عليها
مع الإدارة

أسعار بيع النسخ في البلاد العربية

٦ ريال	المملكة العربية السعودية
٣٠٠ فلس	الكويت
٥ دراهم	الإمارات العربية المتحدة
٥ ريال	قطر
٤٠٠ فلس	البحرين
٣٠٠ فلس	سلطنة عمان
٢٥٠ فلساً	الأردن
٣ ريال	ج.ع.ع. اليمنية
٤٠٠ فلس	ج.ع.ع. اليمن الديمقراطية الشعبية
٢٠٠ ملجم	مصر
٢٥٠ ملجم	السودان
٤ دراهم	المغرب
٤٠٠ ملجم	تونس
٤ دينار	الجزائر
٣٠٠ فلس	العراق
٣٠٠ قرش	سوريا
٣٠٠ قرش	لبنان
٤٠٠ درهم	ليبيا

أسعار الاشتراكات السنوية

للأفراد ١٠٠ ريال سعودي
لغير الأفراد ٢٠٠ ريال سعودي
ترسل قيمة الاشتراك باسم مجلة الفصل